الجمهـــورية الـــجزائـــرية الـــدّيمقراطيـــة الشعبيّـــة

وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي

جـــامعة الأميـــر عبد القادر
للعلـــوم الإسلاميـــة
قسنطيـــنة

كلية أصول الدّين والشّريعـــة
والحضارة الإسلامية
قسم : العقيدة ومقارنة الأديان

التّفسير في القرآن الكريم

سورة "النّحل" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

إعـــداد الطـــالبة :
نور الهدى كحال

إشـــراف الدكتـــور:
صالح نعمان

– لجنـــة المنـــاقشة –

أمام اللّجنـــة	الاسم واللّقب	الرّتبـــة	الجامعة الأصلية
1 – الرئيـــس	الدكتور : مولود سعادة	أستـــاذ محـــاضر	جامعة الأمير عبد القادر
2 – المشـــرف	الدكتور : صالح نعمان	أستـــاذ محـــاضر	جامعة الأمير عبد القادر
3 – العضـــو	الدكتور: منصور عفيفي	أستـــاذ محـــاضر	جامعة الأمير عبد القدر
4 – العضـــو	الدكتورة : وافق صونيا	أستـــاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر

– السنـــة الجـــامعيـــة –

– 2006-2005 /1427-1426 –

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

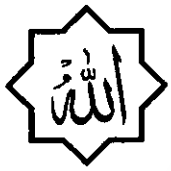

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<< إِنِي رَأَيْتُ أَنَّهُ لاَ يَكْتُبُ أَحَدٌ كِتَابًا فِي يَوْمِه إِلاَ قَالَ فِي غَدِه : لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنُ، وَلَوْ زِيدَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَـــل، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَل، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَر، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى استِيلاَءِ النّقْص عَلَى جُمْلَةِ البَشَر >> .

العماد الإصفهـــانى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

- إلى من أوجدا دمي في عروقي إليك يا أمي، إليك يا أبي.
- إليك يا روح أخي الطاهرة " هبة الرحمن ".
- إلى من تسعد بقربك نفسي إليك يا أختي " سعيدة".
- إلى من كانوا لي عونا في السرّاء والضرّاء إلى إخوتي وأخواتي : " نجاة رياض، رابحة يوسف، زينبة عبد القادر" وكل أبنائهم من قرة عيني بلال إلى خير الأسماء محمد.
- إلى قريباتي ورفيقات الدرب والحياة: راضية حفيظة سامية مسعودة فريدة وأختها الصغيرة مليكة.
- إلى من عرفت معهن الأخوة في الله إلى قسم: العقيدة دفعة 2002.
- إلى أخوات الإيمان: ليلية سعاد إيمان هواء وسيلة دلال فهيمة فتيحة نعيمة جليلة كريمة مباركة وداد نوال سلاح.
- أهدي إليكم خير الكلمات كلمات الله سبحانه وتعالى.

ابنتكم وأختكم وصديقتكم

نسرين الطيبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الشكر لله أوّلا وآخرا.

لكن من لم يشكر النّاس لم يشكر الله.

فيقتضي مقـــام الاعتراف بالفضل والجميل أن أتقدم بجزيل الشّكر وخالص الامتنان إلى أساتذتي الذين أناروا لي الدّرب بما حباهم الله تعالى من علم .

- وأتوجه بالشّكر الخاص لأستاذي الفاضل الدكتور "صـــالح نعمـــان" أستاذا ومشرفا لما كان كان منه من مساعدة مادية ومعنوية منذ أن عرفته إلى أنّ ألهمني هذا الموضوع إلى إخراجـــه رسالة على ما هي عليه.
- وأتوجه بخالص شكري إلى الدكتور "بوجنـــانة" لما قدمه لي من خالص جهده ووقته وخبرته وأسأل الله أن يديمه رمزا للعطاء كما عرفته هذه الجامعة.
- وإلى كل أساتذة أصـــول الدّين وأخصّ بالذكر :

الدكتور "سعـــادة"، "عليوان"، والدكتور، والدكتور "فرحـــات"، والأستاذ "طسطاس"، والأستاذ "جحيش"، والأستاذ "ونتـــن"، والدكتورة "شيـــدخ" وإلى كلّ من علّمني حرفا.

- وأشكر العمال القائمين على هذه الجامعة وأخصّ بالذكر عمال مكتبة "أحمد عروة".
- كما لا يفوتني أن أوجه شكري إلى أساتذتي الأفاضل من لجنة المناقشة الدكتور "عفيفي" والدكتورة "صونيا" والدكتور "سعادة" على ما يتفضلوا به من نصائح وتوجيهات.

فجزى الله الجميع بالخير الكثير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أوّلا : التعريف بالموضوع والإشكاليـــة :

الحمد لله الذي خلق الأكوان، وجعل فيها الإنسان، ووهبه نعمة العقل والبيان، فأنعم عليه بالسّمع والبصر والجوارح والجنان، وسخر له ما في السّموات وما في الأرض، ليعرف بما أنعم عليه صاحب الجلال والإكرام، وجعل في كل ذلك دلائل باهرة مفضية إلى طريق الإيمان، ثم الارتقـــاء منه إلى درجة الإحسان.

ونصلي ونسلم على سيّدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدّين، ونستفتح بالذي هو خير أمّا بعد :

منذ أن وجد الإنسان على الأرض وهو يتساءل : هل الكون بأجزائه ونواميسه وجد عبثا أم أنّه وجد لحكمة ما ؟ ومضى الإنسان حينا من الدّهر يحاول الإجابة عن هذا السؤال، الذي شكل مجالا هاما لدى الكثيرين ممن ينتمون إلى المذاهب الفكرية والعلمية على اختلاف بيئاتهم وعصورهم، إلاّ أن إجابته كانت ناقصة، ضالة في كثير من الأحيان، متغيرة متطورة، لتغير وتصور مصالحه ومعارفه النّاقصة، فكان القرآن الكريم وحده كفيل بالإجابة لأنّ قضية الإنسان والكون من القضايا الكبرى التي لم يشهد حدوثها الإنسان ويحتاج فيها إلى الوحي قال تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : 51]. فالمستقرئ لآيات الذّكر الحكيم يجدها زاخرة بألفاظ : (التّسخير) و(الجعل) و(التدليل) لذلك جاء موضوع بحثنا بعنوان (التّسخير في القرآن الكريم).

ونظرا لاتساع الموضوع حددناه بسورة النّحل أنموذجا لأنّها من أكثر السّور ذكرا للموضوع، فهي من السور المكية التي عالجت قضايا العقيدة على سبيل التفصيل.

فالله سبحانه وتعالى أنزل الإنسان على هذه الأرض، وجعله خليفة وهيأ له سبل الانتفاع بها وزوده بملكات للوصول إليها فسخّر له السّمع والأبصار والأفئدة، ولما كانت الأرض مصدر حياة ومعاش الإنسان فإنّ جميع ما فيها مخلوق له بالإضافة إلى ما يحيط بها من أفلاك وعوالم تؤدي للإنسان خدمات كبرى لقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : 14].

لكن الإنسان اعتمد على جهده فذهب فقط إلى تفسير العلاقة بينه وبين الكون التّي تجلت في منحيين :

- **الأوّل** : تأليــه الإنسان لعناصر الكون والخضوع له.
- **والثــاني** : إخضاع الكون للإنسان واستدماره وقهره لخدمته وذلك لعدم إدراك حقيقة هذه العلاقة التوحيدية بينه وبين الكون.

فأدى الأوّل إلى شعور الإنسان بالدونية وتعطيل جانب من جوانب علاقة الإنسان بالكون بتأليهه وعدم استثماره لخدمته كما شاء الله تعالى له، وأدى الثّاني إلى الشعور بالاستعلاء فأدى به إلى استنــزاف الكون، فكان لزاما لأنّ يشقى الإنسان في هذه الحياة بدل أن يسعد، وكانت نتائج سعيه عكس غاياته ورغباته بل مدمرة لحياته. وقد بدت نتائج ذلك في الفساد الكوني لقوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[الروم : 41]، وحاد الإنسان عن مهمته الخلافية التي وجد من أجلها. فأصبح يتخبط في مشاكل كبيرة في كلّ المجالات تنغص عليه حياته قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه : 124].

فلا بد إذن من تصور بديل لعلاقة الإنسان بالكون نستمدها من القرآن الكريم كلام الله المنــزل على عبده الموحى إليه، المطلق الثابت المفارق للزمان والمكان، فالأولى إذن الرّجوع إليه لتوضيح العلاقة الصّحيحة وتصحيح الخاطئ منها لإصلاح ما أفسده الإنسان، وعليه ما هي حقيقة الرؤية الكونية التوحيدية ؟ وما هي العلاقة الحقيقية بين الإنسان والكون ؟ وما هو الجانب الوظيفي لعلاقة الإنسان بالكون ؟

- ما هي علاقة الإنسان بالكون في غير الإسلام ؟
- ما معنى التّسخير وما هي حقيقته في القرآن الكريم ؟
- ما هي علاقة التّسخير بوظيفة الإنسان الوجودية ؟
- كيف تمكننا المسخّرات الكونية من معرفة الله تعالى ؟
- كيف عالجت سورة النّحل قضية التّسخير ؟
- ما هي النّعم المسخرة للإنسان من خلال القرآن الكريم وسورة النّحل خاصّة ؟

ثــانيا : أهميــة الموضــوع :

ومن هذه الإشكالية البحث يكتسي أهمية بالغة باعتباره يتناول إحدى القضايا التي وجدت مع وجود الإنسان على الأرض ذلك أن علاقة الإنسان بالكون إشكالية مطروحة عبر العصور باعتباره مسرح حياته، يقتضي منه ضبطها بمنهج صحيح أبدي لتحقيق وظيفته الوجودية وسعادته

في هذه الحياة، والإخلال بمنهج هذه العلاقة هو إخلال بالوظيفة وجني الشقاء.

وهذه العلاقة المتعددة الأبعاد تحتاج إلى تظافر جهود الدارسين والباحثين في مختلف الميادين قصد التنقيب عنها ودراستها بموضوعية بعيدا عن المصالح الدّنيوية التي تسعى إلى استدمار الكون دون استثماره وذلك لغياب التصور الصّحيح لعلاقة الإنسان بالكون فلا بد من تبيينه خاصّة وأن الحفاظ على الكون هو الحفاظ على الإنسان.

ثالثا : أسباب اختيار الموضوع :

كانت هذه الأهمية وتلك الإشكاليات من أهم دوافع اختياري لهذا الموضوع إلى جانب أسباب أخرى ترجع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية والتي منها :

- رغبتي في دراسة المواضيع المتعلقة بالقرآن الكريم.
- رغبتي في دراسة مثل هذه المواضيع المتعلقة بالكون والإنسان.

أمّا الموضوعية :

- تعود إلى نقص الدّراسات في مجال التّسخير عامّة وسورة النّحل خاصّة.
- ما تعانيه البشرية من شقاء وتعاسة ناتجة عن غياب التّصور الصّحيح لعلاقة الإنسان بالكون.
- توجيه القرآن الكريم العقول إلى النّظر في الأفاق وفي الأنفس وما فيهما من عجائب وأسرار ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : 21].

كما وجهها إلى النّظر في الافاق والآيات الكونية علويها وسفليها ظاهرها وخفيها عما تنضوي عليه من النّعم، وما أودع الله فيها من خواص وسنن وأفاض في ذلك في غير ما آية وسورة. وذلك لاستثمارها مادة وسنن والانتفاع بها.

رابعا : أهداف الدّراسة :

- تبيين انحراف قصور تصور علاقة الإنسان بالكون قديما وحديثا.
- تصحيح الاعتقادات الخاطئة عن الكون من خلال القرآن الكريم وحقيقة العلاقة التي تربطهما.
- إبراز مكانة الإنسان في الكون من خلال القرآن الكريم.

- التّعريف بحقيقة التّسخير وأقسامه ومستوياته وأهدافه وميادينه.
- إبراز أسرار وفوائد تسخير الكون للإنسان من خلال القرآن الكريم وسورة النّحل خاصة.
- الاستدلال بالمسخّرات الكونية على وجود الله تعالى.
- إبراز حقيقة العلاقة بين الخلق الإلهي والأمر الإلهي.
- المساهمة في توضيح أحد الأسس العقدية في إسلامية المعرفة في العلوم الكونية.

خـــامسا : منهجية البحث :

1 – **المنهـــج** : تقتضي طبيعة الدّراسة أن نستعين بمناهج متعددة نذكر منها : المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي لأنّها المناسبة لطبيعة البحث حيث عمدت إلى استقراء الآيات القرآنية في السّورة المتعلقة بموضوع الدّراسة، ثم سعيت إلى تحليل تلك الآيات إلى عناصرها الأولية وتبيين حقيقتها وبعدها استنباط الجانب العقدي منها.

2 – **تخريج الآيات** : اعتمدت في تخريج الآيات على رواية حفص، لأنّ التفاسير المعتمدة في البحث تعتمد على هذه الرواية.

3 – **تخريج الأحاديث** : التزمت في تخريج الأحاديث بإحالتها إلى مضانها مرتبة على حسب أهمية الكتاب بادئة بالبخاري وابن ماجة فإذا لم أجد الحديث في هذه المصادر خرجته من مصادر أخرى.

4 – ترجمة الأعلام : كما ترجمت للأعلام الدين ورد ذكرهم في المتن.

- وختمت الرسالة بفهارس للآيات والأحاديث والأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع والمحتويات.

ســادسا : الدّراسات السّابقة :

ممّا لاشك فيه أن أي بحث لا ينطلق من فراغ بل ينبني على دراسات سابقة له تعد المحرك الأساس للبحث ومن هذه الدراسات التي تناولت سورة النّحل بالبحث ما كتبه عبد الحميد محمد طهماز في كتابه <<التوحيد والشكر في سورة النّحل>> وهي دراسة في التفسير الموضوعي، كما توجد دراسة للطالبة زهرية محمد بن صالح الفادائي الساعاتي بجامعة أم القرى بقسم الكتاب والسنة عنوانها : تسخير ما في الكون للإنسان على ضوء سورة النحل وآثار ذلك في توحيد الخالق

-ﷻ- لكنني لم أستطع الحصول عليها.

أمّا الدّراسات العقدية المستقلة بموضوع التّسخير فهي غير موجودة في حدود علمنا إلاّ أنّه توجد بعض الإشارات في الكتابات العقدية كالذي كتبه ابن رشد في باب دليل العناية في كتابه "مناهج الأدلة في عقائد الملة"، وكذلك كتابات عبد المجيد النّجار خاصة كتابه "قيمة الإنسان" وكذلك في سلسلة "الشهود الحضاري" وكان ذلك في باب الاستخلاف وعمارة الأرض، بالإضافة إلى ما أشار إليه ماجد عرسان الكيلاني في كتابه "فلسفة التّربية الإسلامية".

سابعا : أمّا مراحل هذه الدّراسة وفصولها فتتمثل في ما يلي :

- **المقدمة** :
- **الفصل الأوّل : علاقة الإنسان بالكون وحقيقة التّسخير**
  - **المبحث الأوّل : علاقة الإنسان بالكون.**
    - المطلب الأوّل : علاقة الإنسان بالكون في غير الإسلام.
    - المطلب الثّاني : علاقة الإنسان بالكون في الإسلام.
    - المطلب الثّالث : نتائج علاقة الإنسان بالكون.
  - **المبحث الثاني : حقيقة التسخير.**
    - المطلب الأوّل : التسخير وأقسامه ومستوياته.
    - المطلب الثّاني : أهداف التسخير.
    - المطلب الثّالث : ميادين التسخير.
  - **المبحث الثالث : التعريف بسورة "النّحل".**
    - المطلب الأوّل : ترتيب السّورة وعدد آيها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها وأسباب نزولها.
    - المطلب الثّاني : المحاور الكبرى للسّورة.
    - المطلب الثّالث : آيات التسخير في السّورة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

▪ الفصل الثّـانيي : التّسخيـر المعـرفي والجمـالي.

• المبحث الأوّل : تسخيـر وسـائل المعرفة.

- المطلب الأوّل : تسخيـر السّمـع.
- المطلب الثّـاني : تسخيـر البصـر.
- المطلب الثّالث : تسخيـر الفـؤاد.

• المبحث الثـاني : التسخيـر المعـرفي.

- المطلب الأوّل : خلق السّمـوات والأرض.
- المطلب الثّـاني : خلق الإنسـان والحيـوان.
- المطلب الثّالث : خلق النّبـات والمـوجودات.

• المبحث الثـالث : التسخيـر الجمـالي.

- المطلب الأوّل : واقعيـة الجمـال الكـوني.
- المطلب الثّـاني : المتـاع الجمـالي في الكون.

▪ الفصل الثّـالث : تسخيـر النّعـم.

• المبحث الأوّل : تسخيـر الكـون.

- المطلب الأوّل : تسخيـر النّجـوم.
- المطلب الثّـاني : تسخيـر الشّمـس.
- المطلب الثّالث : تسخيـر اللّيل والنّهار.

• المبحث الثّـاني : تسخيـر الأرض.

- المطلب الأوّل : تسخيـر القمـر.
- المطلب الثّـاني : تسخيـر البحار والأنهـار.
- المطلب الثّالث : تسخيـر الجبـال.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

• **المبحث الثّـالث : تسخيـر المـاء.**

- المطلب الأوّل : تسخيـر المـاء للحياء.
- المطلب الثّـاني : تسخيـر المـاء للإنسان.
- المطلب الثّالث : تسخيـر المـاء للنّبـات.

• **المبحث الـرّابع : تسخيـر الحيوانـات.**

- المطلب الأوّل : الثروة الحيوانية والهدف من تسخيرها.
- المطلب الثّـاني : فـوائد الأنعـام.
- المطلب الثّالث : تسخيـر الحيوانـات للنّقـل.

• **المبحث الخـامس : تسخيـر النّحـل.**

- المطلب الأوّل : حيـاة النّحل والحكمة من خلقها.
- المطلب الثّـاني : مكـونـات العسـل.
- المطلب الثّالث : فـوائد العسـل.

▪ **الخـاتمـة** : ضمنتها أهم النتائج لكل فصل، وبعدها النتائج العامّة للرسالة، وبعدها التوصيات.

وفي الختام أسأل الله الإخلاص في القول والعمل، والنّصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأن يسخرني في مراضيه، وأن يوفقني للقيام بالعمل على أحسن وجه يرضيه، ويمنحني رضوانه الأكبر في الحياة الدّنيا والآخرة.

وأدعو بالخير والرضوان من الله لمن اهتدى إلى نصحنا، ودعا لي بخير في ظهر الغيب، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل

علاقة الإنسان بالكون وحقيقة التسخّير

- المبحث الأوّل : علاقة الإنسان بالكون.
- المبحث الثّاني : حقيقة التسخّير.
- المبحث الثّالث : التعريف بسورة " النّحل".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل

علاقة الإنسان بالكون وحقيقة التسخّير

تمهيد :

خلق الله تعالى الكون وبثّ فيه من المخلوقات ما بثّ وجعل الإنسان محور هذا الكون وعلى قمّة مخلوقاته وموضع عنايته، فاستخلفه في الأرض وكرّمه ومن مظاهر هذا التكريم التسخّير الذي يعد مبحث من مباحث العقيدة الإسلامية حيث جاء الذكر الحكيم يزخر بآيات التسخّير ومن بين السور التي أسهبت الحديث عنه سورة " النّحل" وبما أنّ الإنسان يستخلف في الكون فما هي علاقة الإنسان بالكون في الإسلام ؟ وفي غيره ؟ وما هي نتائج هذه العلاقة ؟. وما هي حقيقة التسخّير ؟.

وإذا كنّا قد خصصنا البحث في سورة النّحل فلا بد لنا من التعريف بالسّورة، وهذا ما سنتطرق إليه في المباحث التّالية إن شاء الله تعالى : - فالمبحث الأوّل : علاقة الإنسان بالكون والمبحث الثّاني : حقيقة التسخّير، أمّا المبحث الثّالث : التعريف بسورة " النّحل".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : علاقة الإنسان بالكون

قبل أن نتطرق إلى علاقة الإنسان بالكون في الإسلام، لابد لنا من تبيين علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة، واليهودية، والمسيحية، وبعدها نعرض العلاقة البديلة التي جاء بها القرآن الكريم ثم نذكر بعض النتائج لهذه العلاقة.

- المطلب الأوّل : علاقة الإنسان بالكون في غير الإسلام.

يتألف الكون من مجموعة من الظواهر تتحدد وفق قوانين يمكن اكتشافها من خلال الدراسة العلمية، وينتاب دارس العلوم كالفيزياء والفلك والطّب انطباع عميق بأن الوجود الطبيعي خاضع لنظام دقيق ومحكم، وأنّ معرفة ثوابت هذا النّظام، تعد الخطوة الأولى نحو توظيف الكون لخدمة الحاجات البشرية والأغراض الإنسانية، بيد أنّ الدّارس لتاريخ تطور المعرفة والعلوم يلحظ أن التصور العلمي للكون لم يكن دائما التصور السائد بين بني البشر.

فما هي علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة، واليهودية،والنصرانية ؟

أ/- علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة :

لم تكن الحضارات القديمة ترى في الكون نظاما خاضعا لقدرة إلاهية، بل ربطت الظواهر الكونية بإرادات خاصة متعددة، إرادات الأرواح وآلهة خيِّرة وشريرة، لذلك لجأ النّاس إلى الكهّان والعرّافين والسحرة لعلاج الأمراض وتفادي النكبات والكوارث الكونية بل إنّ الحضارة الإغريقية التي لاحظت ظاهرة النظام في الحركة الفكرية للعقل البشري وطورت علوم الهندسة والحساب والمنطق وغيرها من العلوم العقلية لم تستطع التحرر من التصور الخرافي للطبيعة، وتفسر الظّواهر الكونية والاجتماعية بردها إلى الآلهة المتنازعة، ونرى كبار الفلاسفة الإغريق، مثل أفلاطون[1]

---

(1) – هو من مواليد سنة 427 ق.م من أسرة غنيّة عريقة بالمجد والشّرف، أبوه أرسطون كان أحد كبار الحكماء في عصره، تثقّف أفلاطون كما يتثقّف أبناء الطبقات الرّاقية، ونظم الشّعر التمثيلي وأقبل على الرّياضيات وأظهر ميلا خاصا لها. يقال أنّه أخذ الحكمة عن فيثاغورس ثمّ تعرّف على سقراط فأصبح يميل إلى الحكمة، وبعد وفاة سقراط غادر أثينا وفي عام 387 ق.م أنشأ مدرسة، من آثاره : ترك أفلاطون مصنّفات كثيرة معظمها كان على طريقة المحاورة بالإضافة إلى بعض المقالات عن الشّرائع والجمهورية، انظر : مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية : أفلاطون، بيروت : دار ومكتبة هلال، 1405هـ، 1985م، جـ7، ص : 13- 24.

وأرسطو[1]، يعتقدون أنّ الكواكب والنّجوم أرواح عاقلة مهيمنة على الوقائع الطّبيعيةوالاجتماعيّة.

واعتقدوا كذلك بعبادة المخلوقات كالهندوسية[2]، التي حظيت فيها البقرة بأسمى مكانة وأرفع درجة وهي العبادة[3].

إذا كانت علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة تقوم على عبادة الإنسان لمظاهر الكون من شمس وقمر وغيرها، فإن علاقة الإنسان بالكون في الأديان السّماوية المحرفة من يهودية ومسيحية تقوم على مبدأ الصّراع والاستغلال.

فالإنسان خلقه الله تعالى ليسيطر على الكون ويقهره لخدمته وهذا ما سنوضحه من خلال ما جاء في كتبهم :

ب/- علاقة الإنسان بالكون في اليهودية.

بالنّسبة لليهود جاء في كتابهم المقدس مقاطع صريحة تحدد علاقة الإنسان بالكون من خلال وصفها لعناصر الكون فهي تزرع بذور الصراع بين الإنسان والكون وتغرس في الإنسان العداء والتسلّط على الكون بكل مكوّناته، ويتضح لنا ذلك من خلال ما جاء في سفر التكوين[4] حيث يذكر في الإصحاح الأوّل : <<وقال الله لتخرج الأرض ذواب أنفس حيّة كجنسها وبهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها، وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها، ورأى الله ذلك أنّه حسن، وقال الله نعمل الإنسان

---

(1) – هو أرسطو طاليس بن نيقوما خس بن خاؤن، وأبوه نيقوما خس كان طبيبا، لمّا بلغ الثّامنة عشرة من عمره توجه إلى أثينا ليستكمل علومه، ولزم أرسطو الأكاديمية عشرين سنة. ولما مات أفلاطون غادر أثينا إلى آسيا الصّغرى حتّى استدعاه الإسكندر ليكلّفه بتعليم ولده وعاد أرسطو إلى أثينا عام 225 ق.م حيث أسس مدرسة هناك عرفت بالمشائيّة، حتّى توفي سنة 322 ق.م. مؤلفاته كانت عبارة عن محاورات في البداية، ومن كتبه : الفلسفة، الأخلاق، المرأة. أنظر : مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية أرسطو : مرجع سابق، ج8، ص ص : 15 – 31.

(2) – الهندوسية : أو البرهمية، ديانة من أديان الهند، يدين بها الغالبية، ليست لها مؤسس يمكن الرّجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، وهذه الدّيانة تجمع بين الوثنية السّاذجة، والآراء الفلسفية السامية، والزّهد الصّادق نجد كل هذا ممتزجا بعضه ببعض حتى يتعذر الإلمام بالدّين كله جملة واحدة، كتابهم أسمه "الفيدا" وآلهتهم هي الطبيعة، والسّماء، وإله المطر، وإله النّار وما شاكلها، أنظر : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق : محمد سيّد الكيلاني، مصر : مطبعة مصطفى البابي وأولاده/1387هـ، 1967م، ص : 9 – 10 .

(3) – أنظر : محمد ضياء الرحمن الأعظمي، فصول في أديان الهند : الهندوسية، والبوذية، والجينية، والسيخية، وعلاقة التصوف بها. ط1، المدينة المنوّرة : دار البخاري، 1417هـ، 1997، ص : 93.

(4) – سفر التكوين : هو أحد الأسفار الخمس للقسم الأوّل من الثورات تدعي اليهود نسبته إلى موسى عليه السلام .

على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السّماء وعلى بهائم وعلى كـــلّ الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى فخلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وإملأوا الأرض وأخضعوها وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السّماء وعلى كلّ حيوان يدّب على الأرض>>(1).

فهذه إذن نظرة اليهود للكون من خلال الكتاب المقدس، فهي نظرة إذلال واســـتغلال لـــه بشتى مجالاته وهي التي تعطيهم كامل الحرية للتصرف فيه.

جـــ/- عـــلاقة الإنســـان بالكون في المسيحيّة

علاقة الإنسان بالكون في المسيحية تبدأ من الخطيئة وطرده من الجنّة فبعدما كان في الجنّـــة في طمأنينة بمعية الله تعالى ينعم بما خلق من كائنات وخيرات كيف يشاء هو وذريتـــه، جـــاءت الخطيئة فطرد من الجنّة، وأنزل إلى الأرض فعلاقته بالكون هي الشّقاء والكدح والصّراع مع سنن هذا الأخير، هذا الكون الذي طرد إليه من أجل رسالة العيش انتظارا للموت المحتوم الـــذي هـــو عقاب مستحق جزاء خطيئته ؛ والعبارة الآتية : من الكتاب المقدس تبين طبيعة العلاقة بين الإنسان والكون فيذكر كتابهم : <<ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيّام حياتك، وشوكا وحَسَكًا(2) تنبت لك... بعرق وجهك تأكل خبزا حتّى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنّك تراب وإلى التّراب تعود>>(3).

<< فأخرجه الرّب الإله من جنة عدن يعمل الأرض التي أخذ منها>>(4)، فهذه العلاقة بين الإنسان والكون القائمة على العقوبة نتيجة للخطيئة لا يختص بها آدم وزوجه فحسب بـــل كـــل ذريتهما من بعدهما.

فهذه العقائد تجعل من الخطيئة علّة لوجود الإنسان على الأرض ومحورا لفلسفتها بتـــوارث الأجيال خطيئة الإنسان الأوّل ولنظرياتها في تناسخ الأرواح والتعذيب الجسدي أو التكفير بالآلام وفلسفة الصلب والفداء(5)، ومن خلال ما تقدم حول علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة

---

(1) – سفر التكوين، الإصحاح الأوّل، الفقرات : 24 - 28، الكتاب المقدس المعتمدة لدى الكنسية البروتستانتية.

(2) – الحَسَكُ : نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم، بها أشواك. أنظر : ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، جـــ2، ص : 874.

(3) – سفر التكويـــن : الإصحاح الثالث : الفقرات، 17 - 19، الكتاب المقدس المعتمد لدى الكنيسة البروتستانتية.

(4) – سفر التكويـــن : الإصحاح الثالث : الفقرات، 23، الكتاب المقدس المعتمد لدى الكنيسة البروتستانتية.

(5) – أنظر " صابر طعيمة، الشّريعة الإسلامية، بيروت : دار الجيل، 1988م، ص : 123.

واليهودية والمسيحية يتبيّن لنا أنّ هذه العلاقة في جميع هذه المعتقدات محكومة بإحدى التعاستين فهو إمّا عبدًا للكون بسبب عبادته لمظاهر الكون وإمّا سيدا متجبرا كما جاء في اليهودية والمسيحية من صراع ليكون الكون عبدًا للإنسان.

- المطلب الثّاني : علاقة الإنسان بالكون في الإسلام.

تمكنت رسالة الإسلام الخالدة التي أراد الله -ﷻ- أن تكون خاتمة الرّسالات السّماوية في الأرض من أن تنقل الإنسان في علاقته مع الكون << من عالم الكهانة والشعوذة إلى عالم البحث العلمي و المعرفي ، عندما خلّصته من التّصور السّحري للطبيعة وزوّدته بتصور "علمي" لها>>[1].

فمن الاعتقادات التي كان عليها النّاس تأليه الكواكب، وعبادة الأصنام والإيمان بالدّهر،[2] ولعلّنا نسوق هنا بعض آيات الكتاب لتوضيح الصّورة التي يرسمها القرآن للوجود الطّبيعي ابتداء بإظهار إبطال هذه الاعتقادات أوّلا، وبعدها إبراز العلاقة البديلة من خلال آي الذكر الحكيم.

أوّلا : إبطال الاعتقادات الخاطئة عن الكون.

أ/- تأليه الكواكب : من الآيات التي أبطلت تأليه الكواكب، ما جاء عن قصة إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، إنّه أسلوب حكيم في محاورة الجاهلين، وإبطال مزاعمهم، فهذا قول من ينصف خصمه، فيحكي قوله من غير تعصّب لمذهبه، لأنّ ذلك أدعى

---

(1) – لوي صافي، إعمال العقل : من النظرة التجزيئية إلى الرّؤية التكاملية، ط1، لبنان : دار الفكر المعاصر، 1998، ص : 213.

(2) – أنظر : محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دمشق : دار الفكر، 1405هـ، ص : 95.
وأنظر : سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ط4، القاهرة، بيروت : دار الشروق، 1988م، ص : 342.

(3) – سورة الأنعام : الآية 76-79.

إلى الحق[1]، فإذا سلّم الخصم بالبدهيات لم يعد أمامه سوى الإيمان بالحجة، أو الاستكبار ظلما وعلوا[2].

وقد جاء في السنّة المطهّرة ما يصحح تلك الاعتقادات الفاسدة، فقال النّبي -ﷺ- [***فأمّا من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأمّا من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب***][3].

قال صاحب جامع الأصول : <<وعلم النّجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستجيء في المستقبل، وأنّهم يدركون تسيير الكواكب ومعرفتها وانتقالاتها واجتماعها وافتراقها، وأن لها تأثيرا اختياريا في العالم، فأمّا ما يعرف من النّجوم لمعرفة الأوقات، والاهتداء بها في الطرقات، ومعرفة القبلة وأشباه ذلك، فليس به بأس>>[4].

وكانوا يعتقدون أنّ الكسوف يحدث تغييرا في الأرض من موت، أو ضرر أو غير ذلك[5]، فجاء في الصحيح ما يبطل هذا الزعم، فقال النّبي -ﷺ- : [***إنّ الشّمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من النّاس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا***][6].

---

(1) – أنظر : محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف : عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، مصر : 1354هـ، جـ2، ص : 38.

(2) – أنظر : محمد فخر الدّين الرّازي، تفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، لبنان، بيروت : دار الفكر، 1401هـ-1981م، جـ13، ص : 51. أنظر : عماد الدّين أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، لبنان، بيروت : دار الأندلس، جـ3، ص : 285. أنظر : شهاب الدّين محمود الآلوسي، روح المعاني : في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت : دار الفكر، 1403هـ-1983م، جـ3، ص : 188. وانظر : محمد حسين الطبا طبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط1، لبنان، بيروت، مؤسّسة الأعلى للمطبوعات، 1411هـ-1991م، جـ7، ص: 177. وانظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزائر : المؤسّسة الوطنية للكتاب، تونس : الدّار التونسية للنّشر، 1984، جـ7، ص : 319.

(3) – أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾. رقم الحديث 77، محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتعليق : إدارة الطّباعة المنيرية، جـ2، ص : 86.

(4) – المبارك بن محمد الشيباني الجزري بن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ، بيروت : دار الفكر 1970، جـ2، ص : 613.

(5) – أنظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم وتبويب : محمد فواد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدّين الخطيب، لبنان، بيروت : دار المعرفة، جـ2، ص : 613.

(6) – أخرجه البخاري : كتاب الكسوف، باب الصّلاة في كسوف الشّمس، رقم الحديث 79، البخاري (مرجع نفسه)، جـ2، ص : 87.

ب/- تأليـــه الـــدهر :

ومن الآيات التي أبطلت القول بالدّهر قـــوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1].

فهذه الآية إبطال لما اعتقدوه من تأثير بعض المكوّنات بحركة النّاس، من موت أو حياة.

جـــ/- عبـــادة الأصنـــام :

نهى القرآن الكريم عن عبادة الأصنام وهي من الاعتقادات الخاطئة، فمن ذلـــك قـــــوله تعالى: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[2].

وقوله تعالى أيضا:﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾[3].

وقوله تعالى كذلك : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾[4].

والمقصود بالآلهة عند معظم المفسرين الأصنام التي لا تستطيع دفع الضّرر عن نفســـها، ولا أن تبعد السوء، وتكشفه عن غيرها[5].

فالآية الأولى يقصد بها : <<كيف اتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ولاتغني عـــن عابدها شيئا فلو أراد الله أن ينزل بي شيئا من الضّرر والأذى وشفعت لي لم تنفـــع شـــفاعتهم و لم يقدروا على انقاذي >>[6].

أمّا الآية الثّانية فالمقصود منها أن الآلهة <<لا تقدر على نصر عابدها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر>>[7]. وبهذا نجد أن القرآن الكريم طهّر العقول من الاعتقادات الباطلـــة

---

(1) – ســـورة الجاثيـــة : الآيـــة 24.

(2) – ســـورة الأنعـــام : الآيـــة 74.

(3) – ســـورة يس : الآيـــة 23.

(4) – ســـورة يس : الآيـــة 75.

(5) – أنظر : أبو الفرج جمال الدّين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المســـير في علـــم التفســـير، تحقيـــق : محمـــد بـــن عبد الرحمن عبد الله، ط1، لبنان، بيروت : دار الفكر 1398هـــ-1987م، جـــ6، ص : 267.

(6) – أنظر : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط4، لبنان، بيروت : دار القرآن الكريم، 1981م، جـــ3، ص: 10.

(7) – ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق : جـــ5، ص : 630.

الموروثة، كالوثنية والشرك. وتأليه الدّهر إلى غير ذلك، هذه هي أوّل خطوة في منهج القرآن الكريم في عرض الآيات الكونية، وهي إبطال التصورات والاعتقادات الباطلة عن الكون وظواهره، ومقابل هذا تأتي الخطوة الثّانية وهي العلاقة البديلة من خلال آي الذكر الحكيم.

ثانيا : أصول العلاقة بين الإنسان والكون في الإسلام.

حرص القرآن الكريم على بيان الوحدة بين الإنسان والكون مقلبا تلك الوحدة في مظاهر شتى، هادفا إلى تعمير الشّعور الإنساني بمعنى التّقارب والتآلف بين العنصر الإنساني والعنصر الكوني.

وتنطلق هذه الوحدة أساسا من الثنائية الوجودية التي أقرتها العقيدة الإسلامية، تلك الثنائية التي تشتمل على إله خالق مدبّر، وعالم مخلوق مدبَّر، فالإنسان والكون كلاهما ينتسبان إلى طرف واحد، ويتساويان في اعتبارات الرّبوبية لله تعالى كلها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (1).

وتنشأ من هذه المساواة في المربوبية مظاهر متنوعة للوحدة بين الإنسان والكون، منها وحدة المأتى والمصير : فكل منهما ناشئ من العدم بالإرادة الإلهية، فالله تعالى يقول : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (2).

وكل منهما يتحرك إلى النهاية المحتومة وهي الرّجوع إلى الله والمصير إليه : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (3)، ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (4).

وفيما بين هذا المبدأ وهذا المصير المشتركين يتوحد الإنسان والكون في مراحل شتى من المسيرة المقطوعة بين البداية والنّهاية سواء على مستوى طبيعة التكوين المادي أو على مستوى

---

(1) – سورة النور : الآية 41.

(2) – سورة الفرقان : الآية 2.

(3) – سورة المائدة : الآية 18.

(4) – سورة آل عمران : الآية 109.

الحركة[1]. أو استعلاء الإنسان على الكون، وهذا ما سنبينه ابتداء بوحدة التكوين وبعدها وحدة الحركة وأخيرا استعلاء الإنسان على الكون.

أ/- وحـــدة التّكويـــن :

الوحدة بين الإنسان والكون تتمثل في رجوع الإنسان والكون إلى نفس العناصر في المنشأ، فالإنسان في أولى مراحله قد تكوّن من العناصر الأرضية وتحتفظ بها ذريته إلى اليوم في أجسادهم، فهم يحتفظون بعناصر الأرض من يابس وماء، فالإنسان على ما يبدو من اختلافاته الظاهريـــة إلا ناشئا مثلها من تراب لقوله تعـــالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾[2].

فلو أننا أخذنا قطعة مادية من جسم الإنسان وحللناها معمليا لوجدناها تحتوي على العناصر الترابية في الأرض، بل نرى أنّ الإنسان بعد أن تنتهي حياته ويوارى التّراب يتحلل جسمه إلى عناصر ترابية ، والجانب الرّطب في الإنسان الذي يعبر عنه بالمائية[3]، يمكن أن نفهمه من قـــوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4]. ويشير ألكسيس كاريل[5]، إلى المطابقة بين تركيب الجسم البشري الكيميائي بجميع أجزائه وتركيب التّراب ويقول

---

(1) – أنظر : عبد المجيد عمر النّجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط1، لبنان : دار الغرب الإســـلامي، 1992م، ص : 18- 19.

(2) – ســـورة الحج : الآيـــة 5.

(3) – أنظر : طـــه الدّسوقي، عقيدتنا وصلتها بالكون والإنســـان والحيـــاة، دار الهـــدى، 1405هـــ-1984م، ص : 149، وانظر : محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، دار الفكر، ص : 53.

(4) – ســـورة الأنبياء : الآيـــة 30.

(5) – هو من مواليد سنة 1873م بالقرب من ليون بفرنسا، حصل على إجازة في الطّب من هذه المدينة، كما حصل على إجازة في العلوم من ديجون، وبعد أن تعلّم ومارس التدريس في ليون عدّة أعوام، رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عـــام 1905م، وتوظّف في معهد روكفلر للأبحاث العلميّة بنيويورك، وبقي قرابة ثلاثين عاما حتّى اعتزل وعاد إلى فرنسا في عـــام 1924، ولقد مُنح كاريل جائزة نوبل عام 1912م لأبحاثه الطّبية، وبعد اعتزاله في عام 1939م، استمر في أبحاثـــه، تـــوفي كاريل في نوفمبر سنة 1944م، أنظر : ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب : شفيق أسعد فريـــد، ط1، لبنـــان، بيروت : مكتبة المعارف، 1423هـــ-2003م، ص : 5.

الرّازي[1] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[2]. <<قيل المراد آدم -عليه السلام- فإنّه خلق من طين، ويمكن أن يقال أنّ الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي أصله مني، والمني أصله غذاء، والأغذية إمّا حيوانية وإمّا نباتية، والحيوانية بالآخرة ترجع إلى النباتية، والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين>>[3].

ولا شك أن لخلق الإنسان من تراب مقصد جلي وهو إيجاد إلانسجام والتكافؤ على مستوى التكوين فيكون الإنسان جزء من الأرض ليستطيع التكيّف معها.

وتتجاوز وحدة التكوين وحدة العناصر المادية إلى وحدة الكيفية الوجودية :

1 – : الزّوجيــة :

فالإنسان يتوحّد مع الموجودات الكونية في أنها خلقت جميعا أزواجا أزواجا كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

فقد اكتشف العلم الحديث أن الذّرة تحتوي قلبا يسمى النّواة الذرية، وهذه النّواة مؤلفة من أجزاء أصغر، فتحتوي على وحدتين أساسيتين من وحدات البناء في نواة ذرة الهيدروجين، ويقول سيّد قطب[5]، <<وقد أصبح معلوما أن الذّرة أصغر ما عرف من قبل من أجزاء المادة، مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي، سالب وموجب ويتزاوجان ويتحدان، كذلك شوهدت ألوف من الثنائية النجمية، تتألف من نجمين مرتبطين يشد بعضها بعضا، ويدوران في مدار

---

(1) – هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدّين الرّازي، ولد سنة 544هـ، الإمام المفسّر توفي سنة 606هـ، له مصنفات كثيرة منها : مفاتيح الغيب، معالم أصول الدّين وأسرار التأويل، انظر : خير الدّين الزركلي، الأعلام، ط7، لبنان، بيروت : دار العلم للملايين، 1986م، جـ6، ص : 113.

(2) – سورة السّجدة : الآية 7.

(3) – محمد فخر الدّين الرّازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مرجع سابق : جـ25، ص : 174.

(4) – سورة الذاريات : الآية 49.

(5) – هو سيّد قطب إبراهيم حسن الشاذلي، ولد في قرية موشنة، بتاريخ 9 أكتوبر 1906م، تحصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم، واشتغل بعدة وظائف في الوزارة في سنة 1954م، اعتقل مع مجموعة كبيرة من زعماء الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالسّجن لمدة 15 سنة، ثم إعدامه في 29-07-1966م، من أهم كتبه التصوير الفني في القرآن، خصائص التصوير الإسلامي، في ظلال القرآن، معالم على الطريق. أنظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دمشق، بيروت : دار القلم، 1999م، وانظر : أحمد محمد البدوي، سيّد قطب ناقدا، القاهرة : الدّار الثقافية، 2002م.

واحد>>[1].

وهكذا نجد أن مفهوم الأزواج قد شمل كل شيء في هذا الوجود، بما فيها الإنسان.

2 - التقديـــر :

كما أنّه يتوحد معها في قانون التقدير الذي خلق الله تعالى به الأشياء جميعا لقوله تعـــالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2].

وهو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مع مكانـــه وزمانـــه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه، فلا يعطل وظيفتـــها، أو يعـــوق سيرها لما خلقت له، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل به ينتظم سير الوجود كلّه.

فالتقدير يكون بالقدر الذي ينفع في نفسه ولا يضر غيره، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى وذلك يتم إذا وقع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه[3].

وهو القانون الذي يضبط المقادير الكمية المحددة في ذاتها وصفاتها فيتم به توازن الموجودات جميعا وتكاملها.

ب/- وحـــدة الحـــركة :

تبدو فيما عليه الكائنات كلّها من حركة تغير مستمر، بحيث لا يثبت منها شـــيء علـــى حال واحدة.

فالكون ليس كما اصطلح عليه القدماء ثابتا، بل إنّه متحرك متغير[4]، فهـــي إذن حركـــة تسري على الكون كلّه من نجوم وأقمار، وموجودات أرضية.

1 - النّجـــوم والأقمـــار :

خلق الله تعالى النّجوم والأقمار في حركة مستمرة لقوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا

---

(1) – سيّد قطب، في ظلال القرآن، ط7، لبنان، بيروت : دار الشّروق، 1398هـ-1978م، جـ7، ص : 24.

(2) – سـورة القمر : الآيـة 49.

(3) – أنظر : يوسف القرضاوي، وجود الله، دار البعث، 1987م، ص : 47.

(4) – أنظر : محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة : عباس محمود، بيروت : دار آسيا، 1985م، ص : 168.

أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

فالعلم الحديث يؤكد ما جاء في الآية الكريمة حول حركة النّجوم والأقمار فقد اكتشف العلم أنّ الشّمس كما هو مذكور في الآية الكريمة تجري بسرعة تبلغ 270.000 كيلو متر في السّاعة والفعل (تجري) يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية للشّمس، ولكن يدل أيضا على عظم تلك الحركة، ومع الشّمس تجري كل الكواكب[2] الإنسانية إليه أيضا[3]، وهو ما يتضمنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

ويقول في ذلك ابن عاشور[5] : << فأمّا منّة التكريم فهي مزية خصّ بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية وأمّا التفضيل على كثير من المخلوقات فالمراد به التفضيل المشاهد لأنّه موضع الإنسان وذلك الذي جماعه تمكين الإنسان من التسلط على جميع المخلوقات وسنة الحركة في الكون لا تقتصر على الشّمس فقط بل القمر كذلك يدور حول الأرض في مدار شبه دائري يتراوح نصف قطره بين 356 ألف و 407 ألف كيلو متر، ولما كان القمر هو أقرب الأجرام السّماوية إلينا، كانت دورته هي أدق وسائل التقويم الزّمني للأرض[6].

فالله تعالى خلق هذه العوالم بعلمه، وسخرها بقدرته، وأقامها على نظام محكم بحيث لا تتعداه، فلا يصطدم بعضها ببعض، ولا يتغير موقعها الذي أقامه عليها خالقها، فالشّمس مع سرعتها المذهلة التي تبلغ ألوف المرات بالنّسبة للقمر لا تدركه، فهي لها فلك تدور فيه، وللقمر مداره الخاص به كذلك[7].

---

(1) – سورة يس : الآية 38-39-40.

(2) – Voir G.alli Mard jeunesse, dictionnaire visuel pour tous decouvertes 1997, p : 32.

(3) – أنظر : أبو الوفا الغنيمي التفتزاني : الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة للنّشر والتوزيع، 1995م، ص : 85.

(4) – سورة البقرة : الآية 258.

(5) – هو محمد الطّاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور ولد سنة 1216هـ-1879م، نقيب أشراف تونس، وكبير علمائها ولي القضاء سنة 1267هـ، ثم الفتية سنة 1277هـ، وتوفي بتونس سنة 1313هـ-1973م، له كتب منها : شفاء الغليل، مقاصد الشّريعة، التحرير والتنوير، انظر : الزركلي، الأعلام، مرجع سابق : مج6، ص : 183.

(6) – أنظر : هارون يحي، المعجزات القرءانية، ط1، مؤسسة الرّسالة، 1424هـ-2003م، ص : 80.

(7) – أنظر : عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، مج6، جـ22، ص : 934.

2 - المـــوجودات الأرضيـــة :

فالحركـــة تســـري أيضـــا علـــى الموجـــودات الأرضـــية مـــن إنســـان وحيـــوان ونبات.

أ/- الإنســـان : فالحركة من حيث وحدتها بين الإنسان والكون، نجدها في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ﴾[1].

فهذا بيان للحركة في حياة الإنسان فيبيّن تعالى أصل خلق الإنسان، وأنّه مـــن تـــراب، ثم أصبحت سلالته من ماء مهين، وبعدها تستقر النطفة في الرّحم فتتطور إلى أن يخرج طفلا، ثم بعد فترة الولادة يبلغ ثم يصل إلى درجة الكهولة، ثمّ تأتي مرحلة الشيخوخة ثم يأتي الموت، فيبيّن لنـــا تبارك وتعالى في صورة بديعة حركة حياة الإنسان من التراب إلى التراب.

ب/- النّبـــات : ففي نطاق النّبات يجري الله تعالى الماء في الأرض ثمّ يخرج به زرعا لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾[2].

إن هذه الحركة كقانون موحّد يشتمل الإنسان والكون جميعا، تزداد وحدتها متانة وتأكيدا لما ينضاف إلى وحدة قانونها وحدة مصدرها، فالله تعالى هو المصدر الوحيد الذي يحرك الموجودات كلها ويسوقها بإرادته من البداية إلى النّهاية[3]، وقد كانت هذه الحقيقة حجّة مهمـــة اســـتعملها إبراهيم الخليل في البرهان الإلهي استدلالا بانتساب الحركة الكونية إلى الله تعالى علـــى انتســـاب الحركة الأرضية برأيه وحيلته، وكفى بذلك تفضيلا على البقية[4].

جـــ/- استعـــلاء الإنســـان على الكـــون :

تعتبر مظاهر الوحدة الآنفة الذكر بين الإنسان والكون ى تتعدى في دلالتها معنى الاشتراك بينهما في جزء من الطّبيعة المادية بحكم الانتماء إلى نفس الطرف في ثنائيـــة الوجـــود، ولكـــن في التفاضل القيمي يبقى الإنسان متميزا على الكون تميّز استعلاء ورفعة.

---

(1) – ســـورة غـــافر : الآيـــة 67.

(2) – ســـورة الزّمر : الآيـــة 21

(3) – أنظر : عبد المجيد النّجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، مرجع سابق : ص : 20.

(4) – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق : جـــ15، ص : 166.

فالإنسان بحسب ما ورد في القرآن هو محور هذا الكون وعلى قمة مخلوقاته وموضع التكريم والعناية الإلهية فيه[1].

والقرآن الكريم يؤكد استعلاء الإنسان كلّما ذكر في معرض الموجودات وجماع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره ولا شك أن استخدام لفظ كثير في قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3]. مراد منه التقييد والاحتراز والتعليم الذي لا غرور فيه، فيعلم منه أن ثمة مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم تكون مساوية أو أفضل إجمالا أو تفصيلا.

ويبدو هذا الاستعلاء الإنساني على موجودات الكون في مظاهر عدّة، ربما رجعت في معرض كثرتها إلى ثلاثة معان أساسية · استعلاء في أصل الوجود، واستعلاء في التكوين واستعلاء بالاستيعاب والتمثل وهذا ما سنوضحه فيما يلي :

1/- الاستعلاء الوجودي

والمقصود به الوضع المحوري الذي وهبه الله تعالى للإنسان في نسبته من سائر الموجودات الأخرى حتّى وكأن الإنسان منذ وجوده أصبح كقطب الرّحى في تراجع الموجودات إليه تراجع تقدير وخدمة[4].

فقد حظي الإنسان في القرآن الكريم بما لم يحظ به أي مخلوق آخر، وليس مرجع ذلك إلى أن هذا القرآن الكريم خطاب تكليفي للإنسان فهذا أمر بد هي ولكن في التنويه بقدره ومكانته بين سائر المخلوقات وتبدو عناية القرآن الكريم بالإنسان في أنّه المخلوق الوحيد الذي فُصّل قصة

---

(1) – أنظر : عبد المجيد عمر النّجار، الإنسان في العقيدة الإسلامية : قيمة الإنسان، ط1، المملكة المغربية، الرباط : دار الزّيتونة، 1417هـ-1996، ص : 68.

(2) – سورة الإسراء : الآية 70.

(3) – سورة الإسراء : الآية 70.

(4) – أنظر : عبد المجيد النّجار، قيمة الإنسان ، مرجع سابق ، ص : 69. وانظر : محمد عبد المحسن التقاوي،"تكريم الله للإنسان"، مجلة الأزهر، القاهرة، جـ2، السنة 67، 1415هـ-1994م، ص : 168.

خلقه، وبدا ذلك واضحا منذ بداية الوحي، فقد افتتحت سورة العلق بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (1).

2/- الاستعلاء التكويني :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان متميزا ومنفردا في تكوينه وتركيبه، ومن الخصائص التي امتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات أنّه ذو طبيعة منفردة، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون هذا المخلوق -دون غيره- ذا تركيبه مزدوجة وذلك تبعا للعناصر المكونة لذاته(2)، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه التركيبة المزدوجة في أكثر من موضع كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (3). وفي نفس المعنى جاء قوله -ﷻ- : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(4)، فالآيات الكريمة تشير إلى عنصرين في تكوين الذات الإنسانية أحدهما مادي وهو التّراب، والثاني معنوي وهو الرّوح، فمن الحمإ المسنون أو الطين كان الجسد ومن النفخة كانت الرّوح، والجسد والرّوح بعد ذلك هما << ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ولا ينكر أحدهما في سبيل الآخر >>(5).

وقد أشار الإمام الرّازي إلى هذه القطبية التكوينية للإنسان بالنسبة للكون في قوله : << إنّ المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام : إلى ما حصلت له القوة الحكمية ولا تحصل له القوة

---

(1) – سورة العلق : الآية 1-2.

(2) – أنظر : محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، مرجع سابق، ص:98، وانظر : عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، مرجع سابق،ص:22، وانظر : لنفس المؤلف،قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص:71، وانظر : لنفس المؤلف، " الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 77، 1416هـ - 1995م، ص:21، وانظر : أحمد عطية السعودي،"الاستلهام الإبداعي لمفهوم التكريم الإنساني"، مجلة البيان، العدد 142، 1420هـ - 1999م، ص 111، وانظر : حسين شرفة، "خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم"، مجلة الإحياء، الجزائر باتنة، العدد 2، 2000م، ص 340، وانظر : محمد سراح، "منهج الحضارة الإنسانية في القرآن"، مجلة الأمّة قطر، العدد 72، 1406هـ- 1986م، ص:65.

(3) – سورة الحجر : الآية 28 - 29.

(4) – سورة ص : الآية 70 - 71.

(5) – عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، الجزائر، مكتبة رحاب، ص:25.

الشّهوانية الطبيعية وهم الملائكة، وإلى ما يكون بالعكس وهم البهائم، وإلى ماخلا من القسمين وهم النّباتات والجمادات، وإلى ما حصل النّوعان فيه وهو الإنسان>>[1].

فهذا الجمع بين المادة والروح يجعل الإنسان يشتمل على كل عناصر الوجود المادي الأرضي والروحي السّماوي فلا هو روحاني خالص، ولاهو مادي حيواني خالص.

وليس هذا الجمع لما هو في الكون كميا فحسب، ولكنه جمع كيفي أيضا، وهو ما بيّنه الراغب الأصبهاني[2] في قوله : <<الإنسان قد جمع فيه قوى العالم وأوجد فيه الأشياء التي جمعت فيه وقد جمع الله تعالى في الإنسان قوى بسائط العالم ومركّباته، وروحانياته وجسمانياته، ومكوناته، فالإنسان من حيث إنّه بواسطته العالم حصل، ومن أركانه وقواه أوجد هو العالم، ومن حيث إنّه صغّر شكله وجمع فيه قواه كالمختصر من العالم، فإنّ المختصر من الكتاب هو الذي قلّ لفظه واستوفى معناه، والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم، ومن حيث إنّه جعل من صفوة العالم ونبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزّبد من المخيض والدّهن من السّمسم... وكما كان كل مركّب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهنّ على انفرادهن كالمركبات من الأدوية والأطعمة، كذلك في نفس الإنسان حصل معنى ليس في شيء من موجودات العالم، وذلك المعنى هو ما يختص به من خصائصه التي بها تميّز عن غيره>>[3].

فما جعل الإنسان ذا طبيعة مزدوجة اعتباطا ولكن روعي فيه القيام بدوره في خلافة الأرض فالإنسان كما يحرص العقاد [4] على تسميته "بالكائن المكلف"[5] والقاعدة في الاستخلاف هي تنمية الكيان المزدوج بالعدل بين عنصرية، فترقى الرّوح بإشباعها من عالم الخير المعنوي :

---

(1) – محمد فخر الدّين الرّازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مرجع سابق ، جـ21، ص : 14.

(2) – هو الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني (الأصبهاني)، المعروف بالرّاغب، أديب من حكماء العلماء، يركن ببغداد، واشتهر حتّى كان يقرب بالإمام الغزالي، توفي سنة 502هـ-1108م، من كتبه : الذريعة إلى مكارم الشّريعة الأخلاق، جامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن، انظر : الزركلي، الأعلام، مرجع سابق : جـ2، ص: 24-25.

(3) – الرّاغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تقديم : أسعد السحمراني، طـ1، دار النّفائس، 1988م، ص : 18.

(4) – هو من مواليد سنة 1889م، بمصر، صحافي وشاعر وناقد مصري، دعا إلى التجديد في الأدب والحياة متأثرا بالمطالعة الواسعة، في الأدب، يعد من أغزر الكتاب العرب المعاصرين إنتاجا، توفي سنة 1964م، من أشهر آثاره : عبقرية محمد، ابن الرّومي، أنظر : منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، إعداد : رمزي البعلبكي، بيروت : دار العلم للملايين، 1992م، ص : 287.

(5) – عبّاس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص:18.

فضيلة ورحمة وعلما وتقوى. ويرقى الجسم بإشباعه من مطالب المادة، ولكن في غير إسراف.

فالإنسان بروحه يظل موصولا بخالقه سبحانه وتعالى يعبده ويتبع هداه، وبجسده يظل موصولا بالأرض يساهم في أعمارها وفق هدي الله تعالى، وهو في كلا الأمرين يقوم بالعبادة التي ما خلق إلا من أجلها، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1].

3/- استعـــلاء التمثـــل والاستيعاب :

إضافة إلى استعلاء الإنسان عن الكون من ناحية الوجود والتكوين، فكذلك الإنسان خصّه الله تعالى بالقدرة على الاستيعاب المعرفي للكائنات ويقول عبد المجيد النجار[2] في هذا الصدد : << إنّ الإنسان قد خص بقدرة معرفية تمكنه من أن يستجمع صورة الكون في ذهنه تمثلا واستيعابا، مثلما استجمع عناصره تكوينا، فهو مبوأ بوسائله الإدراكية لأنّ ينقل العالم الخارجي في صورته الكمية والكيفية إلى عالمه الدّاخلي فيصبح هذا الكائن الصغير يحمل في ذاته ذلك العالم الكبير >>[3].

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[4]. فقد زوّد الخالق -ﷻ- الإنسان بملكة العلم والتعلم، وعلّمه القدرة على معرفة الأشياء والحقائق، وفهم الأسرار والدقائق، وجلب المنافع والمصالح، واستخراج ما في الأرض من خيرات وكنوز وذخائر واستكشاف مجاهيلها وخفاياها، واستنباط قوانينها.

---

(1) – ســـورة الذاريات : الآيـــة 56.

(2) – هو من مواليد 1945م بقرية بني خداش بتونس، حصل على شهادة الليسانس في أصول الدّين من الجامعة الزيتونيـــة سنة 1972م، وحصل على الماجستير في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر سنة 1974م، وحصل على شهادة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من نفس الجامعة : سنة 1981م، درّس بالجامعة الزيتونية، ومتعاقدا بجامعة الأمـــير عبـــد القـــادر للعلـــوم الإسلامية، بالجزائر شارك في العديد من المؤتمرات والنّدوات العالمية، وهو الآن بفرنسا.

من مؤلفاته : المعتزلة بين الفكر والعمل (بالاشتراك)، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، الإنسان في العقيدة الإسلامية : مبدأ الإنسان، قيمة الإنسان، الإيمان بالله وأثره في الحياة، الشهود الحضاري للأمّة الإســـلامية، ثلاثة أجزاء،وغيرها من الكتب ما يزيد عن عشرين مؤلفا. أنظر : كتابه الشهود الحضاري للأمة الإسلامية:فقه التحضر، ط1. لبنان، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1999م، جـــ1.

(3) – عبد المجيد النّجار، قيمة الإنسان مرجع سابق ، ص:73 – 74.

(4) – ســـورة البقرة : الآيـــة 31.

ثـــالثا : صلـــة الإنســـان بالكـــون في الإســـلام.

الإنسان في القرآن الكريم له موقع خاص من هذا الكون لما يتميّز به من حواس نامية وعقل يجمع حصائل هذه الحواس وينسقها ويصنّفها فيصل إلى كثير من حقائق الكون، ومن روح قادرة على النّمو والصعود والرقي، لذلك كانت صلة الإنسان بالكون كما يصفها القرآن الكريم ويعرفها هي :

صلة الاستثمار والانتفاع والتسخّير لمنافعه ومصالحه وصلة الاعتبار والتأمل والـــتفكير في الكون وما فيه، فما هي حقيقة كل منهما ؟

أ/- صلـــة الاستثمار والانتفاع والتسخّير لمنافعه ومصالحه :

هذه الصلة تبدو واضحة في آيات كثيرة من القرآن الكريم،فلا يذكر القرآن جزءا من أجزاء الكون إلا ويشير إلى ما فيه للإنسان من منافع ويذكر ذلك من خلال وصفه للمسخرات الكونية من بحر وماء ونبات.

1 - وصـــف البحـــر :

لقولـــه تعـــالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (1).

فبقدرته ورحمته تعالى دلّل البحر للركوب فيه والغوص في أعماقه ليأكل منه الإنسان اللّحم الطري وسيتخرج منه الجواهر النفيسة لينتفع به النّاس في معاشهم.

2 - وصـــف المـــاء والنّبـــات :

لقولـــه تعـــالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2).

أنزل الله تعالى المطر بقدرته من السماء ليشرب منه الإنسان ويصنع منه جميع أنواع المشروبات، ويستثمره الإنسان في الزّراعة ليخرج به جميع أنواع المطعومات.

---

(1) – ســـورة النّحل : الآيـــة 14.

(2) – ســـورة النّحل : الآيـــة 10 - 11.

3 - وصـــف الأنعـــام :

لقوله تعـــالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (1).

خلق جلّ شأنه الأنعام لمصالح العباد لينتفع بها النّاس في ملبسهم،وفرشهم،وأكلهم وركوبهم وحمل أثقالهم،وفوق كل هذا متعة لمناظرهم.

ومجمل القول أن الأرض بما فيها مذلّلة خاضعة للإنسان كما يشير إلى ذلك قوله تعـــالى في سورة الملك : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (2).

ومما سبق يتبين أن هذا الاتجاه يدفع الإنسان إلى استثمار الكون والانتفاع به إلى أقصى حدود الإمكان، واعتبار كل ما في الكون نعما مقدمة من الله خالق الكون للإنسان، لينتفع ويتمتع بها.

ب/- صلـــة الاعتبار والتّـــأمل والتفكيـــر في الكـــون ومـــا فيه.

هو اتخاذ الكون مسرحا لتأمله وموضوعا لتفكيره، فالآيات الكونية جميعا تشهد على فاطرها، وتفرده بالخلق والأمر(3)، ولهذا أمر الله تعالى أن ينظر إليها بتأمل وتدبر، وحثّ على الاجتهاد في ذلك، ففي معرض الكلام على ظواهر الطّبيعة وحوادث الكون في القرآن الكريم نرد كثيرا الألفاظ الدالة على الحواس كالرّؤية والنظر، والبصر والسّمع والألفاظ الدّالة على التفكير كلفظ يعقلون ويتفكرون ويعلمون ويتدبرون ويوقنون ويفقهون، والقرآن الكريم يفتح عين الإنسان على ما حوله من مشاهد وآفاق ويدعوه إلى التأمل فيها والنّظر إليها، ووعد بأن يبين للنّاس الحق من خلال النّظر في تلك الآيات، فقـــال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

---

(1) – ســـورة النّحل : الآيـــة 4 - 5 - 6.

(2) – ســـورة الملك : الآيـــة 15

(3) – انظر : محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، مرجع سابق ، ص:93، وانظر : أديب إبراهيم الدباغ، أحمد بهجت بديع، عبد الرّحيم السايح، وآخرون، بديع الزمان النورسي في مؤتمر علمي حول تجديد الفكر الإسلامي، القاهرة : 1992، ص:178.

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

فقوله تعالى : ﴿الآفاق﴾ يعني : أقطار السّماوات والأرض، من الشّمس والقمر، والنّجوم، واللّيل والنّهار، والرياح والأمطار، والرّعد والبرق، والصّواعق، والنّبات، والأشجار والجبال والبحار، وغيرها. وقوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة[2].

فقد تضمّن القرآن الكريم صيغا كثيرة تدعو إلى التعقل والتفكر والتدبر.

فجاءت مادة : الفكر : في نحو ثماني عشرة آية، والفقه بمعنى الفهم في نحو عشرين آية، العلم مراد به علم النّاس، لا علم الله تعالى في نحو مائة وست آيات كريمة، ومادة الرأي في نحو ثمانين آية، ومادة النّظر في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة البصيرة في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة العقل في نحو مائة وثلاث وثلاثين آية، ومادة النُّهى بمعنى العقول في آيتين، والفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة آية، ومادة التدبر في أربع آيات ومادة الفهم في آية واحدة[3].

فالقرآن الكريم كما تبين يدعو إلى التّأمل أو التفكر إمّا بالإشارة الواضحة أو القول الصريح فهو يدعوه إلى التأمل والنّظر فيها بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾[4].

ويختم القرآن الكريم كثيرا من الآيات المشتملة على بعض مشاهد الطّبيعة وأجزاء الكون بهذه الخاتمة الداعية إلى التفكير : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[6].

لقوله تعالى في سورة النّحل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ

---

(1) – سورة فصلت : الآية 53.

(2) – انظر : الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، لبنان، دار المعرفة، 1998م، ص95. وانظر : ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق ، جـ1، ص : 96. وانظر : أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أبو إسحاق ابراهيم اطفيش، 1380هـ-1961، جـ15، ص : 374-375.

(3) – أنظر : شوكت محمد العمري ، "أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير"، مجلة الشّريعة والدّراسات الإسلامية، الكويت : العدد 52، 1423هـ-2003م، ص : 139-140.

(4) – سورة السّجدة : الآية 27.

(5) – سورة النّحل : الآية 11.

(6) – سورة النّحل : الآية 12

شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وقوله كذلك في نفس السّورة.

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

فهذه الآيات وإن كان المراد من كثير منها الاعتبار بها والانتقال منها إلى خالقها، لكن يرد في أثنائها الإشارة إلى سنن هذه الحوادث وارتباط أجزائها وانتظام أمرها ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الزّمر : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾[3].

وقوله تعالى في سورة الرّوم : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

فواضح في هذه الآيات الدّعوة إلى النّظر والتأمل في تتابع هذه الأحداث وتلاحقها وجعل بعضها نتيجة لما قبلها وإن كان القصد إتمام هذا التفكير والاستمرار في طريقه للوصول والاهتداء إلى خالق الكون[5].

وما نخلص إليه أن العقيدة الإسلامية وضّحت بجلاء علاقة الإنسان بالكون، وأنّها علاقة

---

(1) – سورة النحل : الآية 10 – 11.

(2) – سورة النحل : الآية 68 – 69 .

(3) – سورة الزّمر : الآية 21.

(4) – سورة الرّوم : الآية 48 – 49 – 50.

(5) – أنظر : محمد متولي الشعراوي، الله سبحانه انكار الكافرين دليل وجوده، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ص : 9.
وانظر : محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، دار الفكر، ص : 59.

توافق لا تصارع، وأنّها علاقة استثمار واستزادة، لا علاقة استتراف وتدمير، وأنّ الكون بالنسبة للإنسان مسخر تسخيرا واقعيا، <<لأنّ وجود الإنسان على هذا الكون وتصرفه فيه ليس أمرا خياليا، وذلك تمكينا له من أداء مهمته الكبرى التي رسمتها. وأوجبتها وحددت مسارها، ووسائلها أمانة التكليف التي الإنسان يعتبر محورها عبودية خالصة لله -ﷻ-، وإصلاحا وعمارة للدّنيا وإقامة للعدل المطلق في جنابتها>>[1]، فخلافة الإنسان في الأرض تتجلى في قدرته على استثمارها والانتفاع بما فيها وفي قدرته على التأمل والنّظر والتفكر في حوادثها وآياتها وسننها وأسرارها، ولذلك أعطاه الله تعالى من الصّفات ما يمكّنه من ممارسة هذه الخلافة[2].

- المطلب الثـــالث : نتـــائج علاقـــة الإنســـان بالكـــون.

جاء الإسلام ليقيم تفكير الإن ـان على أساس صحيح وعقيدة سليمة في الألوهية ومكوناتها وعرف هذا الإنسان الهدف الصحيح لوجوده وعلاقاته الممكنة مع ما حوله سبيل تحقيق الانسجام معها فنفي بذلك الكثير من جهالته التي كان يؤمن بها، ومن الملامح البارزة في هذا المجـــال :

أولا : تخليص الإنسان من الأوهام والخرافات والتقاليد البالية ومن الهوى والذاتية المنحرفة بحيث يجعل لكل شيء مكانه ومرتبته بالفعل ومن ذلك مثل : منعه من أمور ما كلّف بها حيث كان الكفّار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بمنافعه وقد أوضح القرآن أن هذا باطل لقوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

ثـــانيا : تأكيد مبدأ السببية والوحدة الكونية : فكل مخلوق وكل ظاهرة طبيعية لها سبب يعرف من خلاله بصفة عامّة من صفاته أو فعل من أفعاله. وواجب الإنسان التعرف على تلك الأسباب الفاعلة بإذن الله وقدرته ومشيئته[4] وإلاّ نسبها إلى غير أسبابها ممّا يوقعها في حرج عقدي ومادي. لذلك فقد حدد الإسلام للإنسان منهج التعامل مع عالم الشّهادة وأوضح أنّ الأساس في ذلك هو العقل وإدراك مبدأ السببية أمام عالم الغيب وإن كان للعقل دور في الإيمان به، فإن

---

(1) – فتحي الدّريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، سوريا دمشق : دار قتيبة 1988م، جـ1، ص : 107.

(2) – انظر : محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، مرجع سابق ، ص:64.

(3) – سورة المائدة : الآيـة 103.

(4) – انظر : أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، طـ1، دار الهدى، 1418هـ-1997م، ص : 136.

الإسلام جعل أمر الإيمان به، باعتبار أنّ هناك أمور تستعصي على العقل، وكان في هذا راحة لفطرة الإنسان الذي يميل دوما إلى اكتشاف في المجهول وهنا تمتلئ النّفس الإنسانية بالإيمان الصّحيح، فيسعى جهده إلى وسائل حياته فيما ينفعها ويحفظها.

ثالثا : تأكيد التعامل مع الأشياء على أساس المعاينة والمشاهدة والتجربة وعدم الاعتماد على الظّن والوهم والذاتية بقول الله تعالى :﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

رابعا : الحرص على تكوين الاتجاهات العلمية ومحاربة الخرافات والأوهام من الفكر والسّلوك مثل الاعتقاد بالتعاويذ والأوهام والطّب السّحري و كرامات الأولياء في شفاء الأمراض والاعتماد على السّحر وهو خداع وتخيلات لا حقيقة.

---

(1) – سورة البقرة : الآية 111.

المبحث الثاني : حقيقة التسخّير

تمهيد :

بعد أن بيّنا في المبحث الأوّل بعض جوانب علاقة الإنسان بالكون، الجانب الأوّل متمثل في الوحدة القائمة بين الإنسان والكون والجانب الثّاني هو استعلاء الإنسان على الكون بما ميزه الله تعالى عن باقي المخلوقات.

فبالإضافة إلى هذين الأساسين في علاقة الإنسان بالكون هناك أساس آخر وهو : التسخّير أي ؛ تسخير الكون للإنسان المزوّد بالاستعدادات والامكانات للتفاعل الإيجابي معه فما هي حقيقة التسخّير ؟. وهذا ما سنبينه في هذا المبحث.

المطلب الأوّل : تعريف التسخّير لغة واصطلاحا وتبيين أقسامه ومستوياته، والمطلب الثـــاني : أهـــداف التسخّير، والمطلب الثّـــالث : ميـــادين التسخّير.

- المطلب الأوّل : التسخّير وأقســـامه ومستـــوياته.

بما أنّ علاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير فلابد لناس تبيين حقيقة التسخّير المتمثلة فيما يلي :

أولا : التسخّير لغة واصطلاحـــا.

أ/- التسخّير لغـــة :

سخـــر : <<السين والخاء، والرّاء أصل مطرّد مستقيم يدل على احتقار واستدلال. من ذلك قولنا سخّر الله -ﷻ- الشيء، وذلك إذا ذلله لأمره، وإرادته>>[1]، قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[2].

ويقـــال : سَخَرْتُـــهُ :

بمعنى سخَّرته، أي،قهرته وذلّلته[3]، قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾[4].

---

(1) – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللّغة، طـــ2، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرّسالة، 1986، جـــ1، ص : 490.

(2) – ســـورة الجـــاثية : الآيـــة 13.

(3) – ابن منظـــور، لســـان العرب، مرجع سابق ، جـــ3، ص : 1963.

(4) – ســـورة إبـــراهيم : الآيـــة 33.

أي : دلّلها والشّمس والقمر مسخّرات بجريان مجاريهما، أي سخّرا جاريين عليهما، والنُّجُومُ مسخَّراتٌ وقــوله -ﷻ- : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [1].

ويقــول الرّاغب الأصفهــاني :

التسخير : << سيــاقة إلى الغرض المختص قهرا >>[2]، قــال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ [3].

ويقــول الفيــروز أبــادي[4] :

التسخّير السياقة إلى غرض معين قهرا، وبهذا وردت مشتقات من لفظ السّخرة في القرآن الكريم[5]، قــال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[6]، وقــوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ [7]، وقوله سبحانه كذلك : ﴿ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ [8]، "أي : منقادات ومطيعات لأمره تعالى"[9].

ويقــول القرطبي[10] حول قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

---

(1) – ســورة لقمان : الآيــة 20.

(2) – الرّاغب الأصفهــاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص : 133.

(3) – ســورة إبراهيم : الآيــة 33.

(4) – هو محمد بن يعقوب بن محمد إبراهيم بن عمر أبو الطّاهر مجد الدّين الشّيرازي الفيروز أبادي، من أئمة اللّغة والأدب، ولد بكارزين من أعمال شيراز، (729هــ-1329م)، ثم انتقل إلى العراق، وجال مصر والشّام، ودخل الرّوم والهند، وكان مرجع عصره في اللّغة والحديث والتّفسير، من أشهر كتبه : القاموس المحيط، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وسفر السّعادة. انظر : الزركلي : الأعلام، مرجع سابق، جــ8، ص : 146.

(5) – مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت : دار الكتاب العربي، 1983م، مج2، ص : 46.

(6) – ســورة إبراهيــم : الآيــة 33.

(7) – ســورة إبراهيــم : الآيــة 33.

(8) – ســورة الأعراف : الآيــة 54.

(9) – أحمد عطيّة الله، القاموس الإسلامي، طــ1، القاهرة : مكتبة النّهضة المصرية، 1970م، ص : 280.

(10) – هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر، توفي سنة 671هــ له مؤلفات عديدة منها : كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّن من السنّة وآي الفرقان، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أنظر : ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان، طــ1، لبنان، بيروت : دار الكتب العلمية، 1417هــ، 1996م، ص : 406.

جَمِيعًا مِنْهُ﴾[1]. " يعني أنّ ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وإنعام "[2].

ويقـــول ابن كثير[3] حول نفس الآية : << **الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قـــال : "جميعا منه" أي:من عنده وحده لا شريك له في ذلك**>>[4].

ب/- التسخّير اصطـــلاحا :

عرّف العلماء التسخّير بتعاريف كثيرة منها :

- أنّه جريان الموجودات وفق القانون الإلهي قهرًا حتّى ينتفع بها الإنسان.

- أنّه تذليل القوى الكونية الماديّة والمعنوية، كمًا وكيفًا لصالح الإنسان ذو المؤهلات.

وعرفه ابن رشد[5] : من خلال حديثه عن دليل العناية، حيث يقول :<<**جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان وكونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة اللّيل والنّهار والشّمس والقمر لوجود الإنسان..وكذلك تظهر أيضا موافقة كثير من الحيوان له والنّبات والجماد**>>[6].

ومن معاني التسخّير كذلك :

<<**إنّ الله تعالى مكّن الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة له في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يقدمه لله** >>[7].

---

(1) – ســـورة الجاثية : الآيـــة 13.

(2) – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق : جـــ16، ص : 160.

(3) – هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثمّ الدمشقي أبو الفداء عماد الدّين، مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصري الشّام وتوفي بدمشق، من كتبه : البداية والنّهاية، شرح صحيح البخاري، تفسير القرآن الكريم، أنظر: الزركلي، الأعلام، جـــ1، مرجع سابق ، ص360.

(4) – أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني، ط1، بيروت : دار القرآن الكريم 1981م، مج3، ص 309.

(5) – هو فيلسوف وطبيب عربي أندلسي، ولد سنة 520هـــ-1126م، يعتبر من أعظم الفلاسفة العرب، عرّف بشروحه لأرسطو، حاول التوفيق بين الحكمة والشّريعة، توفي سنة 595هـــ-1198م، من أشهر آثاره : فصل المقام في ما بين الحكمة والشّريعة من اتصال، انظر : مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، مرجع سابق، جـــ5، ص 24، وانظر : منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، مرجع سابق ، ص:24.

(6) – أبو الوليد بن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملّة، تحقيق : محمود قاسم، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964م، ص 159.

(7) – ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية : دراسة مقارنة بين فلسفة التّربية الإسلامية والفلسفات التّربوية المعاصرة، لبنان، بيروت : مؤسسة الرّيان، 1998م، جـــ1، ص : 124.

ومن خلال ما تقدم نستخلص التعريف التـــالي :

التسخّير : هو تدليل الله تعالى الكون لخدمة الإنسان من دون مقابل ليصل العبد للتوحيد والشكر.

ثـــانيـــا : أقســـام التسخّير.

تمهيـــد : أعد الله سبحانه وتعالى الكون ليكون مسخّر للإنسان، لكنه لم يشأ أن يجعله ممهدا تمهيدا كاملا فيميل الإنسان إلى الكسل، ويركن إلى السلبية، كما لم يشأ أن يجعله لغزا محيرا، ومجالا مستغلقا عن النّظر، وغامضا يأبى كل محاولات الفهم والكشف والاستفادة[1]، بل قدّر أن يكون في متناول الإنسان شرط أن يوظف طاقاته العقلية والجسمية، ليبدأ رحلة المقاومة، والتحدي والدأب والمعاناة، والفشل والنّجاح، والإبداع والإخفاق، حتّى تكتسي حياته فوق الأرض طابع الاجتهاد المفضي إلى تحقيق الاستخلاف <<وكل ذلك في سبيل الإعداد لمصير دائم في الحياة الأخرى يكون محكوما في سعادته وشقائه بقدر ما يتحقق من مهمة التعمير التي تثمر الترقية الفردية والجماعية للإنسان>>[2].

لذلك نجد الكون من حيث التسخّير ينقسم إلى قسمين :

الأوّل الكون منفعل للإنسان والثّاني : الكون منفعل بالإنسان.

أ/- الكـــون منفعـــل للإنســـان :

أي أنّ الكون قائم بوظيفته،من دون تدخل إرادة الإنسان، فعطاء هذا القسم عطاء مستمر لا يتوقف على جهد الإنسان[3].

ومن الآيات التي تبيّن هذا النّوع من التسخّير قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾[4]. أي : بمشيئته وتصريفه فقد خلقهنّ الله -ﷻ- وهداهنّ إلى الوظيفة الكونية

---

(1) – انظر : عماد الدّين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ط2، 1983م، ص : 97.

(2) – عبد المجيد النّجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ط1. قطر : 1999م، ص : 77.

(3) – أنظر : بكار الحاج حاسم، " من سنن الطبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم " ، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الإسلاميّة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر : عام 1999م، ص : 120، وانظر : خالص حلبي، الطّب محراب للإيمان، الجزائر عين مليلة : حـــ2، ص : 24 – 25.

(4) - ســـورة الأعراف : الآيـــة 54.

المطلوبة منهنّ يقول الزمخشري[1] : << سمى تلك أمرا على التشبيه كأنّهن مأمورات بذلك >>[2]. بيد أنّ جمهور المفسرين يرون أنّ أمر المكوّنات ليس على التشبيه كما ذهب الزمخشري، بل هو الأمر المعهود، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾[3].

وقوله أيضا : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[4]. فتسخير داود -عليه السلام- للجبال والطّير، وتسخير سليمان -عليه السلام- هو تسخير فوق التسخّير الكوني العام، فهو تسخير متجدد بأمرهم لها ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ أي : بأمر سليمان[5] -عليه السلام-.

هذه بعض الأمثلة في النّوع الأوّل من التسخّير، فالمسخّرات قائمة بأمر الله تعالى. وهي ماضية في وظيفتها.

ب/- الكـــون منفعـــل بالإنســـان :

فالكون يقوم بوظيفته بتدخل إرادة الإنسان، فعطاء هذا القسم عطاء متوقف على حركة الإنسان وجهده، فكلما بذل الإنسان جهدا أكبر نال عطاء أكثر[6]، وإلى هذا المعنى أشار الشّعراوي[7] بقوله : << لقد خلق الله تعالى في هذا الكون أشياء تنفعل لك، وأشياء تنفعل بك، الأشياء التي تنفعل لك تعطيك بلا مقابل وبلا جهد، فالشّمس والقمر والنّجوم والغلاف الجوي كلّها تعطيك دون أن تحتاج منك إلى جهد، وعطاؤها متساوٍ للجميع...أمّا الأشياء التي تنفعل بك كل ما على الأرض، إذا حرثت وبذرت تعطيك الأرض الثمر وإذا لم تحرث ولم تبذر لا تعطيك

---

(1) – هو محمود بن محمد أحمد الخوارزمي الزّمخشري، من أئمّة العلم بالدّين والتفسير واللّغة والأدب، ولد في زمخشر سنة 467هـ - 1075م، وسافر إلى مكه، وتنقل في البلدان ثمّ عاد إلى الجرجانية، فتوفي فيها، من أشهر كتبه : الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة، ومقدمة الأدب، أنظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ، جـ7، ص:178، انظر : أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق : إحسان عبّاس، بيروت : دار صادر، جـ2، ص : 81.

(2) – أنظر : الزّمخشري : الكشاف، مرجع سابق ، جـ5، ص : 105.

(3) – سـورة الأنبيـاء : الآيـة 79.

(4) – سـورة ص : الآيـة 36.

(5) – ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ،جـ7، ص: 140.

(6) – أنظر : بكار الحاج حاسم، " من سنن الطّبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم"، مرجع سابق ، ص:120.

(7) – هو من مواليد 1911م بمصر، تخرج من كلية اللّغة العربية بالأزهر عام 1941م تحصل على العالمية عام 1943م، تقلد مناصب عديدة ثم تفرغ للدعوة حتّى توفي عام 1998م. أنظر :

- WWW. islamiyyat . com/shaarawi . htm.

شيئا>>[1]. وأجد إشارة لهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [2].

فقوله تعالى : ﴿ دائبين ﴾ فرّق بين نوعين من أنواع المسخّرات : الأوّل منفعل بالإنسان كالفلك والأنهار، والثّاني منفعل للإنسان كالشّمس والقمر واللّيل والنّهار، ومعنى ﴿ دائبين ﴾ أي : العمل على عادة مطردة[3].

وأمثلة هذا النّوع من التسخّير كثيرة نذكر منها :

1/- قولـه تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [4].

فالمشي في مناكبها مثال لفرط التذليل ومجاوزته الغاية[5]، ولزيادة بيان تسخير الأرض للنّاس[6]، ومع هذا التذليل فلن تؤتي الأرض أكلها إلاّ إذا قام الإنسان بإذلالها، فقوله تعـالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[7] ذات دالة على العلاقة بين الطبيعة والانسان، فهي مذلّله بتذليل الانسان لها، هكذا اقتضت سنة الله تعالى في خلقه.

2/- قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾[8].

---

(1) - محمد متولي الشّعراوي، كيف نفهم الإسلام، بيروت : دار العودة، 1985م، ص : 50.

(2) – سـورة إبراهيم : الآيـة 32-33.

(3) – انظر : الرّازي ، تفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مرجع سابق ، جـ19، ص : 134.

(4) – سـورة الملك : الآيـة 15.

(5) – انظر : الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق ، جـ4، ص : 568.

(6) – انظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق ، جـ29، ص : 32.

(7) – سـورة الملك : الآيـة 15.

(8) – سـورة الزخرف : الآيـة 10-11-12-13.

فهذه المكوّنات مسخرة بالقوة ؛ إذ هيأها الله تعالى للاستجابة، فتكون مسخرة بالفعل إذا ما تحرك لها الإنسان، ومعنى ﴿ مُقْرِنِينَ ﴾ أي مطيقين[1]، وحاصل المعنى أنّه ليس للإنسان من القوة ما يضبط به هذه المكوّنات وإنّما الله تعالى الذي سخر ذلك وضبطه له[2].

وعلى هذا وجب شكر هذه النّعمة، حيث قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4].

إذا كانت المكوّنات مسخّرة بالقوة فقد تعترض الإنسان صعوبات كبيرة، وأحيانا يعجز عن تسخير بعضها، ذلك أنّ الله تعالى لم يأذن لها بالاستجابة لبعض الحكم، منها : بيان عجز الإنسان حتّى لا يتأله على الله تعالى، فيظن أنّه أصبح قادرا على تسخير كل شيء ، وقد حصل هذا من الإنسان، وخصوصا في هذا العصر، عصر العلم والتقدم العلمي الكبير، حتّى شاعت كلمة "قهر الطّبيعة" أو تحدي "الطّبيعة"، فكلما اكتشفوا سنّة من سنن الله في الكون نسبت إلى صاحبها، فتسمى باسمه، ناسين أو متناسين أنّ الله تعالى هو صاحب الفضل في ذلك الاكتشاف[5].

ثالثا : مستويات التسخير

التّسخير يتم على مستويتين : مستوى مادي، ومستوى معرفي.

أ/- التسخّير المادي : فيراد منه مجموع القوى والطاقات والنّعم والخيرات المبثوثة في الأرض والسماوات، وهي كثيرة جدّا أكثر من أن تحصى أو تعد منها ما هو ظاهر يستطيع الإنسان إدراكه ومنها ما هو مستتر لا يمكن إدراكه. ولكنه يدرك آثاره والقرآن الكريم يشير

---

(1) – انظر : الزمخشري ، الكشاف، جـ4، مرجع سابق، ص : 233. وانظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، لبنان، بيروت : دار الفكر، 1398هـ-1978م، جـ25، ص : 54.

(2) – وانظر : الآلوسي، روح المعاني، مرجع سابق، جـ13، ص : 69.

(3) – سورة يس : الآية 71-72-73.

(4) – سورة النّحل : الآية 14.

(5) – انظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص : 25.

إلى هذه القوى والنّعم بالإجمال مرّة وبالتفصيل أخرى[1]، فمن الآيات التي أجملت المظاهر والظّواهر الكونية المسخرة للإنسان قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾[3].

أمّا الآيات التي فصّلت في بيان النّعم والخيرات التي أسبغها الله -ﷻ- على الإنسان فكثيرة، نذكر منها قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[4].

فهذه الآيات الكريمة فصلت بعض ما أجملته الآيتان السّابقتان، فأشارت إلى جملة من نعم السماوات والأرض، منها إنزال المطر وإخراج الثمرات، ونعمة الفلك التي تجري في البحر ثم الأنهار فالشّمس والقمر واللّيل والنّهار، فهذه آيات ثلاث حول هذا الكم من نعم الله -ﷻ- التي أنعم بها على الإنسان، والسياق يؤكد أنّ ذلك كله مسخر للإنسان ومهيأ له بتكرار فعل "سخّر" أربع مرّات، والإشارة بلفظ "لكم" خمس مرّات.

أمّا صدر سورة النّحل فنقف أمام حشد كبير من قوى الكون ومظاهره، وكلها قد سخرها الله -ﷻ- لخدمة الإنسان، وتدبير أسباب عيشه وتحقيق شروط رفاهيته واستقراره. فالآيات تبدأ بنعمة الأنعام ومنافعها الكثيرة من دفء وأكل وجمال وحمل للأثقال لقوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[5].

---

(1) – انظر : حسين شرفه، "خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم"، مرجع سابق، ص:349.

(2) – سورة لقمان : الآية 20.

(3) – سورة الجاثية : الآية 13.

(4) – سورة إبراهيم : الآية 32-33-34.

(5) – سورة النحل : الآية 5-6-7.

ثم تنتقل إلى السّماء فتتحدث عن نعمة الماء الذي يشرب منه الإنسان ويسقي به مختلف النّبات لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

ثم تشير إلى تسخير اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم، لقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (2).

لتعود بعد ذلك الآيات إلى الأرض فتبرز نعمة البحر وما فيه من خيرات لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (3).

ثم تنتقل إلى الجبال والأنهار والسبل وتبيّن منافعها لقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (4).

لتختم بنفس ما ختمت به آيات سورة إبراهيم في قوله -ﷻ- : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾(5). وهي تشير بأن ما ذكر هنا أو هناك ليس سوى جانبا أو جزءا من نعم الله تعالى الّتي لا تعدّ ولا تحصى.

وهكذا يرسم القرآن الكريم العلاقة بين الإنسان والكون فهي علاقة، تسخير، وما على الإنسان إلا أن يستغل تلك النّعم بالتفكير والتدبير.

هذا عن تسخير الكون في جانبه المادي أمّا عن تسخيره في الجانب المعرفي فستتطرق إليه فيما يلي :

ب/- **التسخّير المعـــرفي** : هو ما يبدو من انبناء الكون مادة وحركة على قوانين وسنن

---

(1) – سـورة النّحل : الآيـة 10-11.

(2) – سـورة النّحل : الآيـة 12.

(3) – سـورة النّحل : الآيـة 14.

(4) – سـورة النّحل : الآيـة 15.

(5) – سـورة النّحل : الآيـة 18.

ثابتة لا تتغير، فكل ما في الكون من ظواهر وقوى وطاقات كالشّمس والقمر واللّيل والنّهار والبحار تحكمه نواميس ثابتة مطردة لا تحيد عنها قيد أنملة، فإذا أراد الإنسان أن يستغلها فما عليه إلاّ أن يهتدي إلى سرّ ذلك النّاموس الذي يحكمها والذي تسير وفقه، وبغير الاهتداء إلى ذلك السّر لا يستطيع الإنسان بقوته الهزيلة أن ينتفع بشيء من قوى الكون الهائلة[1]، ولا سبيل إلى الاهتداء لتلك النواميس إلاّ بإعمال العقل. ولذلك حرص القرآن الكريم على توجيه الأنظار إلى الآيات الكونية والتدبر فيها، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[2]، وقوله -ﷻ- : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[3].

وقوله تعالى كذلك : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، وقوله جلّ شأنه أيضا : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[5].

فهذه جملة من الآيات الكونية، السّماء وما ينزل منها من ماء الأرض وما فيها من جبال ونبات وأشجار وما يحيى عليها من أنعام، يجعل منها القرآن الكريم مجالا للتأمل والتدبر والنّظر للوصول إلى ما يحكمها من نواميس وسنن تسهل على الإنسان أن يسخرها ويجعلها في خدمته.

والحق أن تسخير قوى الكون مبني على معادلة دقيقة تمثل تحديا مناسبا للإنسان، ليس معجزا ولا هو دون الحد المطلوب لإثارة التوتر البشري للرد، فلم يمهّد الله -ﷻ- الكون تمهيدا كاملا ويكشف للإنسان عن قوانينه وأسراره بالكلّية، لأنّ هذا نقض عملية الاستخلاف، كما

---

(1) – انظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق ، جـ5، ص : 26.

(2) – سورة الأعراف : الآية 185.

(3) – سورة ق : الآية 6 – 10.

(4) – سورة يونس : الآية 101.

(5) – سورة الغاشية : الآية 17 – 20.

أنّ الله تعالى لم يشأ أن يجعل الكون على درجة من التعقيد والصعوبة الطّبيعية والانغلاق والغموض يعجز معها الإنسان عن الاستجابة والإبداع الأمر الذي يتنافى أيضا ومهمته الحضارية التي أنيطت به كخليفة له في الأرض[1].

- المطلب الثـــاني : أهـــداف التسخيـــر .

تتولد عن علاقة التسخير أي : علاقة الإنسان بالكون أهداف نلخصها في ثلاثة أهداف، نوضحها في هذا المطلب بادئين بالهدف المعرفي وبعدها الهدف الاجتماعي ثم الهدف الإنســـاني.

أولا : الهـــدف المعـــرفي :

معرفة الله تعالى هي الغاية الأولى والأصلية من خلق الكون وتسخيره ويكون ذلك من خلال التعامل مع الكون واستثماره، فالإنسان في الكون وجد لتحقيق الاستخلاف في الأرض وهذا الاستخلاف لا يكون إلاّ بالعبادة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، هذه العبادة التي تتضمن الإيمان وممارسة العمارة ومن خلال الممارسة يتم اكتشاف نواميس الكون التي بدورها توصلنا إلى معرفة الله تعالى، فالفعل يدل على الفاعل والصّنعة تدل على الصانع لذلك جاء في تفسير الآية السّابقة من سورة الذاريات ﴿ ليعبدون ﴾ أي " ليعرفون "[3]، وهي النّتيجة التي يتوصل إليها الإنسان من خلال التعامل مع الكون وهو ما يقصد من الهدف المعرفي، وغايته استيقان الإنسان بما تخبر به آيات الكتاب من عظيم صنع الله تعالى في خلقه ممّا يفضي إلى إيقان الإنسان بعلم الله المطلق[4] وقدرته المطلقة.

فيقبل على عبادته وطاعته، فالوحي والكون جزءان من سفر إلهي واحد[5] : أحدهما يقدم آيات الله في القرآن الكريم والجزء الثّاني يقدم آيات الله في الآفاق والأنفس، وهو ما يعبر عنها طه

---

(1) – انظر : حسين شرفة، "خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم"، مرجع سابق ، ص : 354.

(2) – ســـورة الذاريات : الآيـــة 56

(3) – الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق، جـــ 27، ص : 27

(4) – أنظر : ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، جـــ1، ص 125.

(5) – أنظر : ماجد عرسان الكيلاني، المرجع نفسه ، جـــ1، ص 126.

جابر العلواني[1] بالجمع بين القراءتين قراءة في الوحي وقراءة في الكون ويعتبرهما فريضتين[2].

وهذا التكامل بين النّوعين من الآيات هو معجزة الرسول -ﷺ- الخالدة، وهو أمر أساسي في مناهج الدعوة. فحين طلبت قريش من رسول الله -ﷺ- معجزة مادية وشواهد حسية لصدق ما جاء به تنزل الوحي بأن في مقدور أولي الألباب، أن يدخلوا مختبر الكون ويشهدوا المعجزات والبراهين التي طلبوها وعن رواية في أسباب النّزول أن أهل قريش ذهبوا إلى اليهود وسألوهم : ما جاء به موسى من الآيات ؟

قـــالوا : عصاه ويده بيضاء للنظارين.

وآتـــوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى فيكم ؟

فقـــالوا : أدع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا[3] وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[4].

فالذي تتكشف عنه المعرفة العلمية والتكنولوجيا وما سوف تتكشف عنه هو معجزات الرّسالة الإسلامية المستمرة بعد عهد الرّسالة، وإلى هذه المعجزات أشار قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[5].

فهذا توجيه إلهي للبحث في مكونات الكون من السّماوات، والشّمس والقمر، والأرض والثّمرات والزّرع والماء وهذا ما سنوضحه في الهدف الموالي.

ثـــانيا : الهـــدف الإنســـاني :

المقصود منه اكتشاف السنن الطبيعية للحفاظ على بقاء النّوع الإنساني والتمتع بنعم الله

---

(1) – هو من مواليد عام 1935م، تخرج من كلية الشّريعة والقانون بجامعة الأزهر عام 1959م، وتحصل على الماجستير والدكتوراه من نفس الجامعة، شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة عام 1981م، تقلّد مناصب عديدة، من مؤلفاته المنشورة : الاجتهاد والتقليد في الإسلام، مناهج التغيير، أدب الاختلاف وغيرها، أنظر : طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين : قراءة الوحي وقراءة الكون، ط1، القاهرة : 1417هـ-1996م.

(2) – أنظر : طه جابر العلواني ، المرجع نفسه، ص : 13.

(3) – أنظر : ماجد عرسان الكيلاني ، مرجع سابق، ص : 126.

(4) – سورة آل عمران : الآيـــة 190.

(5) – ســـورة فصلت : الآيـــة 53.

تعالى[1]، لأنّ الكون في مادته وحركته مبني على قوانين وضوابط ثابتة لا يداخلها الاضطراب والفوضى، وهو ما وصفه الله تعالى في قوله : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾[2]، هذه القوانين الثّابتة التي أخضع لها الكون تتيح للعقل أن يرصد الظواهر الكونية ليتمكن بالمقارنة إلى النفاذ إلى القوانين التي وراءها لاستيعابها وتمثل دلالتها، وبذلك تكون السنن الكونية الثّابتة كمظهر من مظاهر التسخير الإلهي طريقا للعلم بحقائق الكون في ذاته وهذا الاستيعاب المعرفي المتأتي بتسخير الكون بقهره لنظام ثابت هو الأساس في حياة الإنسان من حيث سعيه الخلافي ؛ إذ الخلافة في جانبيها الرّوحي والمادي لا تتأتى إلا بهذا الاستيعاب المعرفي[3] الذي يمكن من معرفة الله ومن عمارة الأرض معا وهو ما يفسر ذلك الإلحاح المؤكد الذي ورد في القرآن الكريم موجها الإنسان للنّظر في الكون من آياته مثل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

ففي الكون يشهد الإنسان دقة خلق الكائنات وقوانين وجودها لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] ، فالقرآن الكريم ينبه إلى حقيقة التكامل الوجودي بين مفردات الكون المتمثلة في توقف الأحياء جميعا على عنصر الماء وللوقوف بعد ذلك على القوانين الكلية الثابتة التي تنسك فيها مفردات الكون كلها في مادتها وكيفياتها، والتي بالوقوف عليها تتم للإنسان المعرفة الحقيقية بالكون ويتم له بذلك النّفع العظيم[6].

---

(1) – أنظر عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ط2، الجزائر عين مليلة : 1992م، ص 122. وانظر : محمد عبد المنعم القيعي، "من نعم الله علينا الإحياء والتسخير"، مجلة الأزهر، القاهرة : جـ6، 1410هـ-1990م، ص: 537.

(2) – سورة الملك : الآية 3.

(3) – أنظر : عبد المجيد الزنداني، كتاب توحيد الخالق، ط1، لبنان، بيروت : مؤسسة الكتب الثّقافية، 1991م، جـ1، ص 167. وانظر : عبد المجيد النّجار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص:78.

(4) – سورة الجاثية : الآية 12-13.

(5) – سورة الأنبياء : الآية 30.

(6) – أنظر : عبد المجيد النّجار، الشهود الحضاري للأمّة الإسلامية فقه التحضر، مرجع سابق، ص:140-141.

ثـــالثا : الهـــدف الاجتمـــاعي :

المقصود منه اكتشاف السنن الاجتماعية للحفاظ على بقاء الأمم واستمرارها، فالقرآن الكريم يأمر الإنسان بأن يفهم قوانين الأنفس والاجتماع الإنساني لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

فالآية الكريمة تبيّن لنا أنّ مخالفة القوانين في الأنفس والمجتمعات كمخالفة قوانينه في الكون، والدين لا يراعون قواعد الإيمان بالله واليوم الآخر سوف يتحطمون ويتكسرون كما يتكسر الذين يقفزون من الأعالي دون مراعاة قانون الجاذبية. مثل ذلك الذين لا يراعون أوامر الله تعالى في حياتهم الشّخصية والاجتماعية.

فكما أن سقوط تفاحة من شجرة هو نتيجة حتمية لأسباب معينة أدّت إلى هذا السّقوط فكذلك يعتبر سقوط دولة أو هلاك أمّة نتيجة حتمية لأسباب أدت إلى هذا السّقوط، وهذا ما تقتضي به سنّة الله العامّة التي لا تقبل التخلف ولا التبديل لقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2]، والفرق بين الأحداث الكونية المادية وبين الأحداث الاجتماعية هو أن الأسباب الأولى واضحة بيّنة مضبوطة، أمّا أسباب الأحداث الاجتماعية فهي بمختلف أنواعها من سياسية واقتصادية وحضارية، أسباب غير دقيقة وكثيرة ومتشعبة ومتشابكة وقد يعسر على الكثير الإحاطة بها تفصيلا[3].

رابعـــا : العلاقة بين أهـــداف التسخيـــر.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أننا أمام سلسلة متدرجة متناسقة من أهداف التسخير وكل حلقة في هذه السلسلة وسيلة إلى ما بعدها حتّى تبلغ الحلقة الأخيرة التي تشكل الغاية

---

(1) – سـورة الـروم : الآيـة 9.

(2) – سـورة الأحزاب : الآيـة 62.

(3) – أنظر : عبد الكريم زيدان، السنن الإلهيه في الأمم والجماعات والأفراد في الشّريعة الإسلامية، ط3، لبنان بيروت : مؤسسة الرّسالة، 1994م، ص:24.

والمقصد النّهائي.

فمثلا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]،

فـ "جريان الفلك" هدف لـ "تسخير البحر" وهذا "التسخير" هو وسيلة لتحقيق هدف يليه هو "الابتغاء من فضل الله "،وهذا الهدف الثّاني وسيلة لتحقيق الهدف النّهائي وهو "شكر النّاس لله ".

ومثله حلقة الأهداف المتضمنة في الآية الثّانية، فـ " أكل اللّحم الطري " و " استخراج الحلية للبس" هما أيضا وسيلة لتحقيق الهدف النهائي وهو " شكر الله ".

وهكذا في جميع الأهداف التي تنبثق من النّظرة الكونية التوحيدية فهي مهما تفرعت وتعددت فإنّها تنتهي إلى هدف هو " شكر الله وعبادته أي محبته وطاعته ".

وبسبب هذه الوحدة في الهدف النّهائي كان محور العقيدة الإسلامية هو التوحيد[2].

- المطلب الثـــالث : ميـــادين التسخّير.

تمهيـــد : حددت ميادين التسخّير التي يجب أن توجه إليها أجهزة الوعي في الإنسان العقل والسّمع والبصر، وقيمة هذا التحديد هو حفظ هذه الأجهزة من التوجه إلى ما لا يمكن البحث فيه، ومن تبديد هذه الطاقات فيما لا طائل تحته من –الميتافيزيقا– التي لا برهان عليها ولا شواهد لها.

ولقد تحددت ميادين التسخّير المذكورة في ميدانين رئيسيين هما : ميدان الكون، وميدان الأنفس، وتركز البحث على ميدان الكون دون الأنفس لعدم علاقة ميدانها علاقة مباشرة بموضوع السّورة والذي كان معظمه يدور حول علاقة الإنسان بالكون.

وتتحدد جوانب التسخّير في ميدان الكون في عناصر الكون الرئيسة الثلاثة : الفضاء المحسوس، والماء الكائن في المحيطات والبحار وما يتفرع عنها. ومن هذه الميادين الثلاثة تتفرع ميادين فرعية لا حصر لها.

---

(1) – سـورة النّحـل : الآيـة 14.

(2) – أنظر : ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، مرجع سابق، جـ2، ص:17. وأنظر : مرتضى مطهّري، الكون والتوحيد : في المنظار الإلهي، ترجمة : محمد عبد المنعم الخاقاني، ط1، لبنان بيروت : دار الأمير للثّقافة والعلوم، 1413هـ-1993م، ص:22-23.

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (1).

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (2).

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (3).

وما في السّماوات والأرض له تفاصيل عريضة منها ما يلي :

أوّلا : ميدان الأفلاك والكواكب : فهذه الأفلاك مسخرة للإنسان باستطاعته اكتشاف قوانينها وخصائصها والاستفادة من ذلك في حياته العلمية والعقلية، لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (4).

ويلحق بميدان الأفلاك والكواكب الفضاء المحيط بها –وما فيه من الرّياح والظّواهر الطّبيعية، وما يجري فيه– أو يتوصل إلى اكتشافه من وسائل التنقل في الفضاء الكبير.

يقول تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ (5).

ثانيا : ميدان البحار والمحيطات : فهذه وما فيها من الكائنات مسخرة للإنسان عليه أن يستفيد منها في حياته المادية ويسترشد بالحكمة الكائنة في خلقها وقوانينها في حياته العقلية والنّفسية.

---

(1) – سورة إبراهيم : الآية 32 – 33.

(2) – سورة لقمان : الآية 20.

(3) – سورة الجاثية : الآية 13.

(4) – سورة النّحل : الآية 12.

(5) – سورة ص : الآية 36 – 37.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

ثالثا : ميدان البر : الآيات التي تتحدث عن هذا الميدان تأتي مقرونة بالبر لنفس الغايات والأهداف المادية والعقلية.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

ويشير "التسخير" في الآية السّابقة إلى وحدة الميادين الرئيسة الثّلاث والتوازن القائم بينها، ومن مظاهر هذا التوازن إنّ الله يمسك ما في الفضاء من شمس وقمر وكواكب وما يمخر فيه من طيارات وصواريخ وحاملات قنابل ذرية أن تقع على الأرض، ولكن هذا الإمساك ليس مطلقا فقد تقدر الإرادة والإذن الإلهي سقوط بعض النيازك والنّجوم والطائرات والصّواريخ ولا ندري مصير هذه الأسلحة النّووية والأقمار الصّناعية التي تحمل الدّمار[3].

ويقدم القرآن كذلك بعض التفاصيل التي توجد في كل من الميادين، الثلاث الرئيسية للتسخير ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾[4].

إذا كانت هذه حقيقة التسخير فما هي علاقته بسورة النّحل ؟

---

(1) – سورة النّحل : الآية 14.

(2) – سورة الحج : الآية 65.

(3) – انظر : ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، جـ1، ص:128-131.

(4) – سورة الزخرف : الآية 9 – 14.

المبحث الثالث : التعريف بسورة " النحل ".

تمهيد :

إذا كان موضوع هذا البحث هو التسخير في القرآن الكريم مخصصًا بسورة النّحل فلا بد من تقديم تعريف لهذه السّورة الكريمة : من حيث ترتيبها، وعدد آيها، وعلاقتها بما قبلها، وما بعدها، وأسباب نزولها، وأهم المواضيع التي جاءت بها لإعطاء صورة مبسطة لمضمونها، ثم بعدها نقوم بعملية إحصاء لآيات التسخّير فيها.

وهذا ما سنبينه في المطالب الآتية من هذا المبحث : فالمطلب الأوّل : حول ترتيب السّورة وعدد آيها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها وأسباب نزولها، أمّا المطلب الثّاني؛فيدور حول المحاور الكبرى للسّورة أمّا المطلب الأخير : فهو عدد آيات التسخّير في سورة النّحل وهي مفصّلة كالآتي:

المطلب الأوّل : ترتيب السورة وعدد آيها، وعلاقتها بما قبلها، وما بعدها وأسباب نزولها.

أوّلا : ترتيب السّورة وعدد آيـــها :

أ/- ترتيـــب السّـــورة :

سورة النّحل هي السّورة التاسع والستون في ترتيب نزول القرآن الكريم بعد سورة الكهف وقبل سورة نوح[1]، وفي ترتيب المصحف هي السّورة السادس عشرة بعد الحجر وقبل الإسراء.

ب/- عـــدد آيـــها :

لقد حظي القرآن الكريم باهتمام العلماء سواء كان ذلك من حيث المبنى أو المعنى، لذلك فقد قسّم العلماء سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي : الطوال، والمئون، والمثاني والمفصل[2]، وعدد آيات سورة النّحل مائة وثمان وعشرون آية.

وبالتالي فهي تعد من المئون أي النّوع الثّاني والتي تزيد آياتها على المائة.

---

(1) – أنظر بدر الدّين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم، بيروت، صيدا : المكتبة العصرية، جـــ1، ص : 193.

(2) – أنظر : محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، جـــ1. ص 345.

ثـــانيا : علاقـــة السّورة بما قبلها وما بعدها.

إنّ ترتيب السّورة في المصحف ليس من عمل الصّحابة أو التابعين بل هو توقيفي من عند الله تبارك وتعالى،وهناك دلائل من سياق ترتيب القرآن في المصحف الشّريف تؤكد أن ترتيبه ما كان إلا بالوحي و لم يكن من صنع بشر.

لذلك نجد ترابط وانسجام بين آيات سورة " الحجـــر" السّابقة لسورة "النّحـــل" وسورة "الإســـراء" اللاحقة لها فما هي،علاقة السّورة بما قبلها وما بعدها ؟.

سورة "النّحـــل" مسبوقة بسورة "الحجـــر" كما ذكرنا فلمّا قـــال تعـــالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1]، وقال بعد ذلك في وعيد المستهزئين : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]. أعقب هذا ببيان تعجيل الأمر فقـــال تعـــالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [3]، وزاد هذا بيانا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [4]، فنزّه سبحانه نفسه عما تفوهوا به في استهزائهم وشركهم وعظمة بهتانهم واتبع ذلك تنبيها وتعظيما فقال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5]. ثم أبلغه تعالى حدا يكون منه الخصام والمحاجة، كل ذلك ابتلاء منه واختبار ليميز الخبيث من الطّيب وأعقب هذا بذكر ألطافه (سبحانه) في خلق الأنعام وما جعل فيها من المنافع المختلفة وما هو سبحانه عليه من الرأفة والرّحمة اللتين بهما أخرّ العقوبة عن مستوجبها، وهدى من لم يستحق الهداية بذاته بل كل هداية فبرأفة الخالق ورحمته، ثم أعقب ما ذكره بعده من خلق الخيل والبغال والحمير وما في ذلك كله قـــوله تعـــالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [6].

تبين أنّ كل الواقع من هداية وضلال خلقه وفعله، وأنّه أو جد الكل من واحد وابتدائهم ابتداء واحد ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ [7]، فلا بد من اختلاف غاياتهم بعد ذلك أرانا سبحانه مثال

---

(1) – ســـورة الحجـــر : الآيـــة 92 – 93 .

(2) – ســـورة الحجـــر : الآيـــة 36.

(3) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 1.

(4) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 1.

(5) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 3.

(6) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 9.

(7) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 4.

هذا الفعل ونظيره[1] في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

فإذا كان ما ذكرناه هو اتصال سورة النّحل بسورة الحجر فما هو وجه اتصالها بسورة "الإســـراء" ؟.

فقد ظهر وجه اتصالها بسورة الإسراء أنّه سبحانه وتعالى لما قال في آخر النّحل ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[3]، فسّر في هذه شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة، وذكر عصيانهم وفسادهم وتخريب مسجدهم، ثمّ ذكر استفزازهم للنّبيّ -ﷺ-، وإرادتهم إخراجه من المدينة ثم ذكر سؤالهم إياه عن الرّوح، ثمّ ختم السّورة بآيات موسى التسع، وخطابه مع فرعون وأخبر أنّ استفزازهم للنّبيّ -ﷺ- ليخرجوه من المدينة هو وأصحابه كنظير ما وقع مع فرعون لما استفزهم، ووقع ذلك أيضا[4].

ثـــالثا : أسبـــاب نـــزول الســـورة :

لم يرد في الأثر سبب نزول واحد لمجمل سورة النّحل بل وردت عدة من الأسباب لبعض آيات السّورة كما يلي :

الآية الأولى : رقم "4" لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، روى الواحدي : << نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي، حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله -ﷺ-، فقال : يا محمد، أترى الله يحيـــى هذا بعدما رمّ. ونظيرة هذه الآية قـــوله تعـــالى:

---

(1) – انظر : أبو جعفر بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق : محمد شعباني، مطبعة فضالة، 1990م، ص : 245.

(2) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 10 –11.

(3) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 124.

(4) – انظر : الحافظ جلال الدّين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، تونس : دار سلامة للطّباعة والنّشر والتوزيع، ص : 113.

(5) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 4.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[1]، إلى آخر سورة "يس" نازلة في هذه القصّة[2].

الآيـــة الثّانية : رقم "80" لقوله : تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾[3].

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد : أنّ أعرابيّا أتى النّبيّ -ﷺ- فسأله فقرأ عليه قـــوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾[4].

قـــال الأعرابي نعم ثمّ قرأ عليه : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾[5].

قـــال : نعم، ثمّ قرأ عليه كل ذلك يقول نعم حتّى بلغ ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[6]، فولى الأعرابي[7] فأنزل الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[8].

- المطلب الثّـاني : المحـاور الكبـرى للسّـورة.

تمهيـد :

سورة النّحل من السّور المكيّة التي تولى الأهمية الكبرى لموضوعات العقيدة من الألوهية والوحي، ولكنها تلم بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية.

تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين ابراهيم -عليه السلام- ودين محمد -ﷺ- بحقيقة

---

(1) – سـورة يس : الآيـة 77.

(2) – انظر : غازي عناية ، أسباب النّزول القرآني، ط1، الجزائر، باتنة : دار الشّهاب للطباعة والنّشر، ص : 250.

(3) – سـورة النّحـل : الآيـة 80.

(4) – سـورة النّحـل : الآيـة 80.

(5) – سـورة النّحـل : الآيـة 80.

(6) – سـورة النّحـل : الآيـة 81.

(7) – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، أسباب النّقول في أسباب النّزول، بيروت : دار إحياء العلوم، ص: 134.

(8) – سـورة النّحـل : الآيـة 83.

الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال، وتلم بوظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم وتلم بموضوع التحليل والتحريم، وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع وتلم بالهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة المعاملة : العدل والإحسان، والإنفاق والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السّلوك القائم على العقيدة وهكذا هي مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التي تعالجها.

أمّا الإطار الذي تعرض فيه هذه الموضوعات، والمجال الذي تجري فيه الأحداث فهو فسيح شامل، وهو السّماوات والأرض، والماء الهاطل والشجر النامي، واللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم والبحار والجبال والمعالم والسّبل والأنهار، وهو الدنيا بأحداثها ومصائرها، والأخرى بأقدارها ومشاهدها، وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس والآفاق في هذا المجال الفسيح يبدو سياق السّورة وكأنّه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير واستجاشه العقل والضمير، حملة هادئة الإيقاع، ولكنها متعددة الأوتار، ليست في جلجلة سورة الأنعام وسورة الرعد، ولكنها في هدوئها تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري، هذه الإيقاعات تتناول التوجيه إلى آيات الله في الكون وآلائه على النّاس كما تتناول مشاهد القيامة، وصور الاحتضار ومصارع الغابرين، تصاحبها اللمسات الوجدانية، والتي تتسرب إلى أسرار الأنفس، وإلى أحوال البشر وهم أجنّة في البطون وهم في الشّباب والهرم والشيخوخة وهم في حالات الضعف والقوة، وهم في أحوال النّعمة والنقمة، كذلك تتخذ السّورة من الأمثال والمشاهد والحوار والقصص أدوات للعرض والإيضاح[1].

فأمّا الظّلال العميقة التي تلوّن جو السّورة كلّه فهي الآيات الكونية تتجلى فيها عظمة الخلق، وعظمة النّعمة وعظمة العلم والتدبير، كلها متداخلة، فهذا الخلق الهائل العظيم المدبر عن علم وتقدير ملحوظ فيه أن يكون نعمة على البشر لا تلبي ضروراتهم وحدها ولكن تلبي أشواقهم كذلك فتسد الضّرورة، وتتخذ للزينة، وترتاح بها أبدانهم وتستريح بها نفوسهم، لعلهم يشكرون ومن ثمّ تتراءى في السّورة ظلال النّعمة وظلال الشكر، والتوجيهات إليها والتعقيب لها في مقاطع السّور وتضرب عليها الأمثال وتعرض لها النماذج وأظهرها نموذج ابراهيم -عليه السلام- لقوله تعالى : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

---

(1) – أنظر : محمود شحاتة ، أهداف على سورة ومقاصدها في القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص : 179-180.

(2) – سورة النحل : الآية 121.

كل أولئك في تناسق ملحوظ بين الصّور والأفكار والعبارات والإيقاعات والقضايا والموضوعات نبينها في أثناء دراستنا لأجزاء السّورة لأن السّورة تبرز فيها بعض المواضيع وأهما التوحيد، التسخّير، وحدة الألوهية، دلالة التسخّير على الوحدانية، دلالة التسخّير على القدرة الإلهية وأخيرا الأوامر والنّواهي وسيأتي بيان هذه المحاور فيما يلي :

أولا : التوحيد في السّورة :

تبدأ سورة النّحل بآية مشهورة تقال كثيرا عندما يحين الأجل ويقف الإنسان عاجزا أمام حوادث القدر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

ومن أسباب نزول هذه الآية أنّ أهل مكة كانوا يستعجلون الرّسول -ﷺ-، أن يأتيهم بعذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة، وكلّما أمتد بهم الأجل و لم يتزل العذاب زادوا استعجالا واستهتارا وحسبوا أنّ محمدا يخوّفهم بما لا وجود له ولا حقيقة ليؤمنوا له ويستسلموا، و لم يدركوا حكمة الله تعالى في إمهالهم ورحمته في انظارهم و لم يحاولوا تدبر آياته في الكون، وآياته في القرآن الكريم.

ثانيا : التسخّير في سورة "النّحل".

تسترسل الآيات في سورة النّحل من الآية "3" إلى الآية "18" في استعراض نعم الله سبحانه على الإنسان فتذكر خلق السّماوات والأرض والإنسان والأنعام والنّبات واللّيل والنّهار والجبال والبحار والشّمس والقمر والنّجوم، وهي ظواهر طبيعية ملموسة ولكننا إذا قرأنا هذه الآيات من سورة النّحل نجد أنّنا أمام لوحة كونية تنتقل بالإنسان من مشهد إلى آخر وكل مشهد يدل على وحدانية الخالق ووحدانية المنعم وتعرض الآيات هذه النّعم المسّخرة فوجا ومجموعة بادئة بخلق السّماوات والأرض، فيقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [2]، فالحق قوام خلقها والحق قوام تدبيرها والحق عنصر أصيل في تصريفها وتصريف من فيها وما فيها من شيء قائم على الحق وملتبس به وسائر في النّهاية إليه ثم يجئ التفصيل كالآتي :

أ/- **تسخير الأنعام** : فتذكر الآيات نعمة خلق الأنعام وتسخيرها لخدمة الإنسان

---

(1) – سورة النّحل : الآية 1.

(2) – سورة النّحل : الآية 3.

من خلال بيان منافعها والأنعام المتعارف عليها في الجزيرة العربية كانت هي الإبل والبقر والضأن والماعز وقد أباح الله تعالى أكلها أما الخيل والبغال والحمير فللركوب والزينة وتقول السورة في هذا المجـــال :

قـــال تعـــالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1).

فيجئ التعقيب على تسخير هذه النّعم بقوله سبحانة ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ليظل المجال مفتوحا في التصور البشري لتقبل أنماط جديدة من أدوات الحمل والنّقل والرّكوب والزينة فالإسلام عقيدة مرنة قابلة لاستقبال طاقات الحياة كلها ومقدرات الحياة كلها ومن ثم يهيئ القرآن الكريم الأذهان لاستقبال كل ما تتمخض عنه القدرة ويتمخض عنه العلم ، ويتمخض عنه المستقبل، واستقباله، بالوجدان الديني المتفتح المستعد لتلقي كل جديد في عجائب الخلق والعلم والحياة. ولقد وجدت وسائل للحمل والنّقل والرّكوب والزينة لم يكن يعلمها أهل ذلك الزّمان. وستجد وسائل أخرى لا يعلمها أهل هذا الزّمان والقرآن الكريم يهيئ القلوب والأذهان بلا جمود ولا تحجر حين يقول الحكيم ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(2).

ب/- تسخيـــر المـــاء :

فالقسم الثاني من آيات الخلق والنّعمة المسخرة هي : إنزال المـــاء وإنبات النّبات والمرعى والزّروع التّي يأكل منها الإنسان مع الزّيتون والنّخيل والأعناب وغيرها من الأشجار والثّمار لقوله تعـــالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(3).

جـــ/- تسخير اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجـــوم :

أمّا القسم الثّالث من الآيات فيتحدث حول تسخير اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم

---

(1) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 5 - 8.

(2) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 8.

(3) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 10-11.

لقولـــه تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1]، فكل من هذه المظاهر الكونية ذات أثر حاسم في حياة الإنسان ومن شاء فليتصور نهارا بلا ليل أو ليل بلا نهار ثم يتصور مع هذا حياة الإنسان والحيوان والنّبات في الأرض كيف تكون، كل أولئك طرق من حكمة التدبر وتناسق النواميس في الكون كله يدركه أصحاب العقول التي تتدبر وتعقل لقوله تعالى في ذيل الآية : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [2].

د/- تسخيـــر ما في الأرض :

سخر الله تعالى لعباده ما خلق لهم من ألوان المنافع، وما أودعه فيها للبشر من مختلف المعادن التي تقوم بها حياتهم في بعض الجهات وفي بعض الأزمان، ولفت أنظارهم إلى هذه الذخائر المخبوءة في الأرض المودعة للنّاس حتّى يبلغوا رشدهم يوما بعد يوم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [3]، ليستخرجوا كنوزها في حينها ووقت الحاجة إليها وكلّما أعتقد النّاس أن كنزا منها قد نفد أعقبة كنز آخر، من رزق الله المدخّر للعباد لذلك ختم الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [4].

هـ/- تسخيـــر البحـــر :

ثمّ امتن الله سبحانه وتعالى بتسخير البحر المالح وما يشتمل عليه من صنوف النّعم، فمنها اللّحم الطّري من السّمك وغيره للطعام، وجواز الحلية من اللّؤلؤ، والمرجان وغيرها من الأصداف والقواقع.

ومنها مرور السّفن التي تمخر عباب البحر، وتيسر المصالح وتبادل المنافع بين النّاس لقوله تعـــالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [5].

---

(1) - سـورة النّحـل : الآيـة 12.

(2) - سـورة النّحـل : الآيـة 12.

(3) - سـورة النّحـل : الآيـة 13.

(4) - سـورة النّحـل : الآيـة 13.

(5) - سـورة النّحـل : الآيـة 14.

وعندما ينتهي من ذكر النّعم المسخرة بين القرآن الكريم أن من يخلق ليس كمن لا يخلق وأن نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى ولو أفنى الإنسان عمره في تعدادها لقوله تعـالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (1).

ثـالثا : وحـدة الألـوهيـة :

تتعرض الآيات من الآية "22" إلى الآية "50" في سورة النّحل لتقرير وحدة الألوهية فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (2).

وكل ما سبق في السّورة من آيات الخلق وآيات العلم يؤدي إلى الحقيقة الكبرى البارزة وهي : أنّ هذا الكون البديع المنظم لا يحفظ نظامه إلاّ إله واحد والذين لا يسلّمون بهذه الحقيقة قلوبهم منكرة فالجحود صفة كامنة فيها، والعلّة أصيلة في نفوسهم المريضة، وطباعهم المعاندة المتكبرة عن الإقرار والإذعان والتسليم.

وتختم هذه الآيات بمشهد مؤثر وهو مشهد الظلال في الأرض كلها ساجدة لله ومعها ما في السّماوات وما في الأرض من دابة، والملائكة قد برئت نفوسهم من الاستكبار وامتلأت بالخوف من الله والطّاعة لأمره بلا جدال.

هذا المشهد الخاشع الطائع يقابل صورة المستكبرين المتكبرة قلوبهم في مفتتح هذه المجموعة من الآيات، وبين المطلع والختام يستعرض السياق مقولات أولئك المستكبرين المتكبرين للوحي والقرآن إذ يزعمون أنّه أساطير الأولين، ومقولاتهم عن أسباب شركهم بالله تعالى وتحريمهم ما لم يحرمه الله تعالى إذ يدّعون أنّ الله أراد منهم الشّر وارتضاه، ومقولاتهم عن البعث والقيامة إذ يقسمون جهدهم لا يبعث الله من يموت ويتولى الرّد على مقولاتهم جميعها، ويعرض في ذلك مشاهد احتضارهم ومشاهد بعثهم وفيها يتبرءون جميعا، من تلك المقولات الباطلة كما يعرض بعض مصارع الغابرين من المكذبين أمثالهم ويخوفهم أخذهم الله في ساعة من ليل أو نهار وهم لا يشعرون وهم في تقلبهم في البلاد، أو هم على تخوف وتوقع وانتظار للعذاب إلى جوار هذا يعرض صورا من مقولات المتقين المؤمنين وما ينتظرهم عن الاحتضار ويوم البعث من طيب الجزاء.

وينتهي بذلك المشهد الخاشع الطّائع للظلال والدواب والملائكة في الأرض والسّماء

---

(1) - سـورة النحـل : الآيـة 18.

(2) - سـورة النحـل : الآيـة 22.

والسّياق القرآني يعبر عن خصوع الأشياء لنواميس الله بالسّجود وهو أقصى مظاهر الخضوع ويوجه إلى حركة الظلال المتفيئة –أي الراجعة بعد امتداد– وهي حركة لطيفة خفيفة ذات دبيب في المشاعر والأعماق ويرسم المخلوقات ذاخرة أي : خاضعة خاشعة ويضم إليها ما في السّموات وما في الأرض من دابة ويضيف إلى الحشد الكوني الملائكة في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

رابعا : دلالة التسخّير على الوحدانية :

تستمر الآيات من "51" إلى "76" من سورة النّحل في إثبات قضية الألوهية الواحدة، تبدأ فتقرر وحدة الإله ووحدة المالك، ووحدة المنعم في الآيات الثّلاث الأولى متواليات وتختم بمثلين تضربهما للسيد المالك الرّازق، والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء.

وتعرض الآيات أنموذجا بشريا للنّاس حين يصبهم الضر فيجأرون على الله وحده وإذا كشف عنهم الضر راحوا يشركون به غيره وتعرض الآيات صورا من أوهام الوثنية وخرافاتها في تخصيص ما رزقهم الله لألهتهم المدعاة. في حين أنّهم لا يردون شيئا مما يملكونه على عبيدهم ولا يقاسمونهم إياه في نسبة البنات إلى الله تعالى على حين يكرهون ولادة البنات لهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2]، وفي الوقت الذي يجعلون لله ما يكرهون تروح ألسنتهم تتشدق بأن لهم الحسنى، وأنّهم سينالون على ما فعلوا خيرا وهذه الأوهام التي ورثوها من المشركين قبلهم، هي التي أرسل الرّسول -ﷺ- يبين لهم الحقيقة فيها. وليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور اليقين، ثمّ تأخذ الآيات في عرض نماذج من صنع الألوهية الحقة في تأملها عظته وعبرته فالله وحده هو القادر على إيجاد النّعم وتسخيرها للإنسان، وهي دلائل للألوهية لا سواها.

أ/– دلالة تسخير الماء على وجود الله تعالى :

فالله سبحانه وتعالى أنزل من السّماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها فنعمة انزال الماء من السّماء وتسخيرها للإنسان يحيى الأرض بعد موتها ونبات الأرض هذا يغذي الإنسان

---

(1) – سورة النّحل : الآية 49-50.

(2) – سورة النّحل : الآية 58.

والحيوان وهي دلالة على قدرة الله تعالى في خلقه وقدرته على التسخّير والبعث.

لقـــوله تعـــالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (1).

ب/- دلالـــة تسخير اللّبـــن على وجـــود الله تعـــالى :

فالله جلّ شأنه وحده يستطيع أن يسقي النّاس غير الماء لبنا سائغا يخرج من بطون الأنعام من بين فرث ودم.

لقـــوله تعـــالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ (2).

جـ/- دلالـــة خلق الثّمار على وجود الله تعـــالى :

فقد سخر الله تعالى للإنسان ثمرات النّخيل والأعناب ليتخذ منها سكرا ورزقا حسنا لقوله تعـــالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (3).

د/- دلالـــة تسخيـــر النّحل على وجـــود الله تعـــالى :

أوحى الله تعالى إلى النّحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشّجر وممّا يعرشون ثم تخرج عسلاً سخره سبحانه للشّفاء وللغذاء لقولـــه تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (4).

خـــامسا : دلالـــة التسخّير على القـــدرة الإلهيـــة.

تتحدث الآيات من "77" إلى "89" في سورة النّحل عن مظاهر القدرة الإلهية فتوضح

---

(1) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 65.

(2) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 66.

(3) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 67.

(4) - ســـورة النّحـــل : الآيـــة 68 - 69.

عظمة الخالق وفيض نعمته المسخرة وإحاطة علمه، وتركز الآيات في هذا الشوط على ألوان من أسرار الغيب في السّموات والأرض.

ابتداء بغيب السّاعة التي لا يعلمها إلاّ الله وهو عليها قادر وهي عليه هينة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ (1).

وبعدها يأتي التفصيل في بعض أسراره من خلق في الأرحام، وتسخير الطير في السّماء وتسخير بعض النّعم المادية من مسكن وملبس وسنبين ذلك كالآتي :

أ/- تسخيـــر السمع والبصر والفـــؤاد :

فالله وحده يعلم غيب الأرحام وهو الذي يخرج الأجنة من هذا الغيب لا تعلم شيئا، ثم ينعم على الإنسان بنعمة تسخير السمع والبصر والفوائد يستخدمها الإنسان في تعامله مع الكون في مختلف مجالات حياتهم لعلهم يشكرون نعمته لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (2).

ب/- تسخيـــر الطيـــر :

يبيّن لنا سبحانه وتعالى سر من أسرار خلقه فيذكر منها تسخير الطير في جو السّماء ما يمسكهن إلاّ الله لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (3).

جـ/- تسخيـــر بعض النّعـــم :

وتذكر الآيات من نعم الله تعالى الظلال والأكنان وهي ما يستر الإنسان ويغطيه والسرابيل هي ما يلبسه الإنسان ليقيه الحر والبرد أو درع تقيه بأس الحرب لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (4).

---

(1) - سـورة النحـل : الآيـة 77.

(2) - سـورة النحـل : الآيـة 78.

(3) - سـورة النحـل : الآيـة 79.

(4) - سـورة النحـل : الآيـة 1.

سادسا : الأوامر والنّواهي في سورة النّحل :

تتعرض الآيات من "90" إلى "111" في سورة النّحل لشرح بعض اهداف القرآن الكريم وتبدأ بآية شهيرة يرددها الخطباء على المنابر في نهاية خطبتهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (1).

في هذا القسم أمر بالوفاء بالعهد ونهي عن نقض الإيمان بعد توكيدها، وبيان الجزاء المقرر لنقض العهد ثم تذكر الآيات بعض آداب تلاوة القرآن، وفي الآيات إباحة لمن أكره على الكفر أن ينطق لسانه ما دام القلب عامرا بالإيمان.

وتختم السّورة إلى الرسول -ﷺ- أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادلهم بالتي هي أحسن، وأن يلتزم قاعدة العدل إلى رد الاعتداء بمثله دون تجاوز، والصبر والعفو والخير والعافية بعد ذلك للمتقين المحسنين لأنّ الله معهم ينصرهم ويرعاهم ويهديهم طريق الخير والفلاح.

- المطلب الرابع : آيات التسخير في سورة النّحل ونوعها.

نحاول في هذا المطلب إحصاء آيات التسخير من سورة النّحل التي سنقوم بدراستها في هذا البحث مع تبيين نوع التسخير فيها بالرّغم من صعوبة الفصل بين أنواع التسخير في الآيات القرآنية لأنّ الآية نفسها تحتوي على عدد من أنواع التسخير والله أعلم.

الآيـــــة	رقمها	نوع التسخير فيها
﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	3	معرفي
﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	4	معرفي
﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	5	مادي
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	6	جمالي

(1) - سورة النّحل : الآية 90.

الآيـــــــة	رقمها	نوع التسخير فيها
﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	7	مـــادي
﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	8	مـــادي جمـــالي
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	10	مـــادي
﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾	11	مـــادي
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾	12	مـــادي
﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾	13	معـــرفي
﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	14	مـــادي جمـــالي
﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	15	مـــادي
﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	16	مـــادي
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	18	معـــرفي
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾	48	معـــرفي
﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	65	
﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾	66	مـــادي
﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾	67	مـــادي
﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾	68	مـــادي معـــرفي
﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾	69	مـــادي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــة	رقمهـا	نوع التسخير فيها
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	78	معـــرفي
﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	79	معـــرفي
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾	80	مـــادي
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾	81	مـــادي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

التسخير المعرفي والجمالي

- مبحث الأوّل : تسخير وسائل المعرفة
- المبحث الثّاني : التسخير المعرفي.
- المبحث الثّالث : التسخير الجمالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

التسخّيـــر المعـــرفي والجمـــالي

تمهيـــد :

تكرّر ذكر الكون في القرآن الكريم، لأنّه اتخذ من خلق كل ما في الوجود دليلا على من أنشأه، فلا بد أنّ الكون وما فيه من خلق عظيم يدل على منشئه وحده سبحانه وتعالى، ولا نكاد نجد سورة من القرآن الكريم مكّية كانت أو مدنية خلت من ذكر الكون وما يتصل به وذلك يوجه نظر الإنسان إلى أنّه جزء صغير من هذا الكون يربط به، وليعرف أسراره وأحواله وليعرف أنّه وهو الصغير قد سخّر الله تعالى له هذا الكون الكبير.

ولما كانت معرفة الله تعالى ضرورة من ضرورات الحياة لتنظيمها فقد أودع الله تعالى في الإنسان قوة العلم والمعرفة وقوة الإدراك والتّصور وقوة العقل والتفكر وقوة البحث والاستقراء فالإنسان خلق باستعداد فطري يمكنه من الوصول إلى معرفة نواميس الكون وقوانينه وذلك الاستعداد وتلك المعرفة هما أساس العلم ومن خلالها يستطيع أن يكشف ويسخر ما فيه.

فإذا كانت مظاهر الكون من خلق السّموات والأرض وخلق الإنسان والحيوان والموجودات تؤدي بنا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فما هي الوسائل المؤدية إلى معرفة هذه العوالم ؟.

فهذا ما سنتحدث فيه في هذا الفصل إنشاء الله، فالمبحث الأوّل : حول وسائل المعرفة من سمع وبصر وفؤاد وبعدها في المبحث الثاني : نذكر ما توصلنا إليه هذه الوسائل من إبداع في الخلق والتدبير ابتداء بخلق السّموات والأرض إلى خلق الإنسان، وانتهاء بالموجودات الأخرى، والقرآن كتاب يجمع بين الخطاب المادي والروحي، فلم يقتصر على ما ينفع النّاس في معاشهم بل تعدى إلى ما يغذي وجدانهم فذكر الجمال في القرآن الكريم خير دليل على ذلك وهو من الأدلة على وجود الله، فلذلك ذكرنا في المبحث الأخير التسخّير الجمالي فكيف يمكّننا الجمال الكوني من معرفة الله تعالى ؟.

المبحث الأوّل : تسخير وسائل المعرفة

تمهيد :

الإنسان في الكون هو الكائن العاقل وهو المكلّف بالرسالة التي من أجلها خلق وذلك في أوفى وأوجز بيان، إذ ذكر القرآن الكريم قول الله تعالى في سورة العصر : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[1].

فرسالة الوجود الإنساني في الحياة الدنيا هي العمل الصّالح، وهذا لا يتأتى إلاّ بالعلم النّافع والإنسان يأتي إلى الكون مجردا من العلم والمعرفة، لكنه مزوّد بالإمكانات والاستعدادات والطّاقات التي تمكنه من أن يتعلم الأسماء ويتعرف على الأشياء كما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2].

والإنسان لكي يؤدي رسالته، يستخدم عقله، ويستغل قواه في العمل الدّائب، والسّعي الموصول، فيزيد من قدره في الحياة الدّنيا. ويعلى من أجره في الحياة الأخرى حيث لا ينفع إلا العمل الصّالح كما تدلّ عليه الآية[3] الكريمة من قوله تعالى في سورة النّجم : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[4].

ومن أجل ذلك أوجد الله تعالى فيه استعدادا لعلم الأشياء أي علم الكون وما فيه لأنّ الله تعالى سخرها له ولا يتحقق ذلك التسخير إلاّ إذا أودع الله تعالى فينا القدرة على العلم بها، ولذلك أنبأ الملائكة بأسمائها[5].

---

(1) – سورة العصر : الآية 1-2-3.

(2) – سورة النحل : الآية 78.

(3) – انظر : السعيد عاشور، الإنسان في القرآن، القاهرة : دار غريب، ص : 419.

(4) – سورة النجم : الآية 39-40-41.

(5) – أنظر : محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى : القرآن الكريم، نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، حد له، علومه، تفسيره، حكم الغناء به، القاهرة : دار الفكر العربي، ص : 524. وانظر : عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص : 103.

فحاسة البصر مثلا من النّعم التي لا تقدر بثمن بل لو وزنت أعمال العبد الصالح جميعا لما كانت كفاء لنعمة البصر التي أنعم الله بها على الإنسان وقد ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة البصر مقترنة بنعمة السّمع والفؤاد لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

والسّمع والبصر هما أهم الوسائل التي بها يتعرف الإنسان على ما حوله وتشترك بعد ذلك بقية الحواس في امدادنا بالمعلومات عن البيئة التي حولنا ولكنها جميعا لا ترقى إلى ما ندرك بواسطة السّمع والبصر. فالطّفل البشرى يولد أعجز ما يكون العجز ولكن هذا العجز الطفولي قد أودع الله فيه كل مواهب النّمو وقدرات التكامل بما فيه من مرونة عجيبة تساعده على قبول التنشئة. فالإنسان يستطيع سماع الأصوات منذ الشّهر الرّابع وهو في بطن أمّه في ظلام تام ولا يستطيع بأي حال أن يرى شيئا[2].

فنظرا للأهمية هذه الاستعدادات الفطرية في الإنسان واعتماده عليها لمعرفة نفسه والعالم من حوله وإيصاله إلى معرفة أسرار الكون، فمن دونها لا يستطيع الإنسان فهم نفسه وفهم قوانين الطّبيعة من حوله وتسخيرها لخدمته والوصول بذلك إلى توحيد الله تعالى وشكره على نعمة.

لذلك سنتطرق إلى دراسة هذه الحواس بشيء من التفصيل حسب الترتيب القرآني ابتداء بالسّمع في المطلب الأوّل، ثم البصر في المطلب الثّاني، وبعدها الفؤاد في المطلب الثّالث، لنبيّن بعض أسرار الله تعالى في خلقها وكيفية تسخيرها لخدمة الإنسان ليصل بعد ذلك لمعرفة نفسه ومعرفة الكون وأخيرا معرفة الله تعالى.

- *المطلب الأوّل : تسخير السّمع.*

يقول ابن القيم[3] حول السّمع خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وشق له السّمع وخلق

---

(1) – سورة النّحل : الآية 78.

(2) – أنظر : محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، ط5، الدار السّعودية، 1984م، ص : 335.
وانظر : عبد الحميد محمد الهاشمي، نحات نفسية في القرآن الكريم، الجزائر : مكتبة رحاب، ص : 63.
وانظر : محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن : مشاهد يوم القيامة، ط1، الجزائر : شركة دار الشّهاب، 1990م، ص : 22.

(3) – هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدّين ولد سنة 691هـ-1292م بدمشق، من علماء الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه وألّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، مدارج السالكين، الفوائد، انظر : الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق ، مج6، ص : 56.

الأذن أحسن حلقة وأنفعها في حصول المقصود منها، فجعلها مجوّفة كالصدفة لتجمع الصّوت فتؤديه إلى الصماغ وليحس بدبيب الحيوان فيها فيتبادر إلى إخراجه وجعل فيها غضونا وتجاويف والموجات تمسك الهواء والصّوت الداخل فتكسر حدته ثمّ الصماغ ومن حكمة ذلك أن يطول به الطّريق على الحيوان فلا يصل إلى الصماغ حتّى يستيقظ أو ينبه لإمساكه وفيه أيضا حكم غير ذلك ثمّ اقتضت حكمة الرّب الخالق سبحانه أن جعل ماء الأذن مرا في غاية المرارة فلا يتجاوزه الحيوان ولا يقطعه إلى باطن الأذن بل إذا وصل إليه أكمل الحيلة في رجوعه وجعل ماء الفم عذبا حلوا ليدرك به طعوم الأشياء على ما هي عليه إذ لو كان على غير هذه الصّفة لأحالها إلى طبيعته كما أنّ من عرّض لفمه المرارة استمر طعم الأشياء مرّا[1].

والأذن أهم من العين لوظائفها الكثيرة التي يعتمد عليها الإنسان في توجيه النّطق، والبصر، والحركة والتوازن، والانتباه من النّوم، والتعلم والتربية، وقد ورد السّمع مقدما على البصر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم[2].

فإذا كانت حاسة السّمع على هذا القدر من الأهميّة فمن ماذا يتكون هذا الجهاز ؟ وكيفية حدوث السّمع ؟. وما هي قدراته وما هي علاقة السّمع بالنطق ؟.

أوّلا : مكوّنات جهاز السّمع :

جهاز السّمع هو الأذن، وتتكون من خارجية، ووسطى وهما للتوصيل، وداخلية للاستقبال.

أ/- الخارجية : تتكون من الصوان والقناة السّمعية، فأمّا الصوان فيجمع الأصوات ويحدد مصدرها، وقد أخذا الصوانان مكانيهما في أنسب موضع لذلك وهو جانب الرأس.

وأمّا القناة السّمعية فتحمي جدار الطبلة عن طريق مجراها الضيّق، والشعر الذي في فتحتها، والسائل الأصفر الذي تفرزه الغدد الملحقة بها.

وجدار الطبلة جدار دائري يفصل الأذن الوسطى عن قناة السّمع الخارجية وخيوطه صلبة ومرنة، ولذلك تتموج عندما تلامسها الموجات الصّوتية[3].

---

(1) – أنظر : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لبنان، بيروت : دار الكتب العلميّة، جـ1، ص : 190

(2) – أنظر : خالص جلبي، الطب حجاب للإيمان، مرجع سابق، جـ1، ص : 59 وما بعدها. وانظر : محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تقديم : منصور فهمي، دار ومطابع الشّعب، ص : 358.

(3) – أنظر : نديم الجسر، قصّة الإيمان بين الفلسفة والعلم القرآن، الجزائر عين مليلة : شركة دار الهدى، ص : 331.

ب/- الوسطى : تتكون من تجويف الطبلة، ويضم سلسلة من العظيمات تتكون من المطرقة والسندان والعظيمة العدسية وعظيمة الأذن، وترتبط هذه العظيمات بأربطة تسمح لها بنوع من الحركة، ولذلك تقوم بتوصيل الموجات الصوتية من الأذن الخارجية إلى الداخلية[1].

جـ/- الداخلية : وهي العضو الحساس في السّمع، وتوجد محمية في العظم الصدغي وتضم دهليز الأذن، والقنوات الهلالية، والقوقعة.

ويهمنا في عملية السّمع القوقعة ففيها عضوّ كورتي، العضو الفعلي في السّمع، لأنّه يحوّل الموجات الصّوتية إلى إثارات عصبية، وهو مركب من خلايا حاسة مرتبة رأسيا وتنتهي بأهداب متحركة باستمرار، وفوق الأهداب يمتد جدار ريسنر وعضو كورتي لا يزيد طوله عن خمسة وعشرين مليمترا، لكن فيه حوالي خمسة وعشرين ألف خلية مستقبلة. إذا كانت هذه مكونات جهاز السّمع فكيف يحدث السّمع ؟.

ثـانيا : كيفيـة حدوث السمع :

عندما يجمع الصوان الموجات الصّوتية تمر في القناة الخارجية، فتصدم الطبلة فتتولد موجة ميكانيكية تخترق العظيمات الثلاثة : المطرقة، والسندان، والركاب، ثم تصل إلى القوقعة حيث تؤثر على السّوائل الموجودة في القناة الحلزونية، فتنتشر الاهتزازات على خلايا عضو كورتي التي تتذبذب في الاتجاه العمودي للجدار القاعدي، فتصدم بأهدابها جدار ريسنر، وتتولد الإثارة العصبية التي تتلقاها النهايات العصبية الممتدة من خلايا عضو كورتي، ثم يسير المثير بعد ذلك عبر العصب الذي يضم ثلاثين ألفا من الخيوط العصبية حتّى يصل إلى المركز الخاص في الدماغ[2].

بعد أن بينا مكونات جهاز السّمع وكيفية حدوثه فما هي قدرات هذا الجهاز ؟.

ثـالثا : قـدرات الأذن :

فالأذن قادرة على التقاط الأصوات المختلفة والتكيف مع درجتها في الضّعف والقوة، فالأذن البشرية قادرة على استقبال صوت يولد ضغطا قدره 0,0001 مكروبار أي : 0,0001 مليغرام من السنتمتر المربع، وقادرة على إزاحة غشاء القوقعة بالأذن الداخلية بمقدار جزء من مليار

---

(1) – أنظر : محمد عز الدّين توفيق، وفي أنفسكم أفلا تبصرون : دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث، ط2، مصر القاهرة : دار السّلام، 1418هـ-1998م، ص : 264-265.

(2) – أنظر : محمد عز الدّين توفيق، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، مرجع نفسه ، ص:260، وانظر : ندى الجسر، قصّة الإيمان، مرجع سابق ، ص:334 وما بعدها.

من السنتيمتر، ومثل هذه المسافة تقل بألف مرّة عن قطر أصغر ذرة وهي ذرة الهدروجين، وهذه حساسية عالية جدا، فإن الذرة أقرب في صغرها إلى اللاشيء. فكيف تلتقط الأذن ذبذبة تقل عن أصغر ذرة بألف مرة.

وبالمقابل فإن أذن الإنسان تتحمل أصواتا قوية تصل إلى 2000 بار، وبسبب هذه القدرات الفائقة، فإنّ الأذن قادرة على انتقاء صوت معين والتركيز على التقاطه والإنصات إليه، وسط أصوات مختلفة متعددة.

وترجع دقة الأذن في التقاط الأصوات الضعيفة، وتحمل الأصوات القوية إلى آلية في عظيمات الأذن الوسطى، فإنها تتصرف حسب الصّوت الذي يأتي إليها، فترفع الضغط على النّافذة البيضاوية أو تخفضه، وبهذه الطّريقة، تحمي القوقعة من الأصوات القوية جدا، وترفع الإحساس السمعي بالنسبة للأصوات الضعيفة جدا.

فالذي ينفرد به الإنسان عن الحيوان، هو قدرته على تحليل الأصوات المتعاقبة على أذنيه أو ارتباط سمعه بالفكر والإدراك، فبفضل هذه الميزة الإنسانية يتفاهم الإنسان مع غيره، فيفهم عنه ويجيبه بسرعة كبيرة.

فالإنسان لم يفته شيء من عدم امتلاكه للقدرات السّمعية العالية الموجودة عن بعض الحيوانات، وزيادة على هذا استطاع أن يسخر هذه القدرات لصالحه، كما يستخدم حاسة السّمع عند الكلاب مثلا[1].

رابعـــا : عـــلاقة السّمع بالنّطـــق

إن تعلم النّطق يتم عن طريق السّمع بالدرجة الأولى، وإذا ولد الإنسان وهو أصم، فإنّه يصعب عليه الانسجام مع المحيط الخارجي أو التفاهم معه ويحدث لديه قصور عقلي شديد، بمعنى أن هذا الجهاز هو الذي ينمي مدركات الإنسان وذهنه، ووعيه، وأمّا الكتابة فإنّها تحصل في الوعي والإدراك. فالسمع يأتي من ناحية الأهمية قبل البصر، فالكثير من الذين حرموا نعمة البصر –حتّى وهم صغار– يتعلمون ويبلغون درجة راقية من الفهم والإدراك والعلم، ولم نسمع بأن الإنسان الذي يولد وهو أصم يمكن أن يرتقي في سلم المعرفة، لأنّ الفهم والنطق يتعلقان إلى درجة كبيرة بالسّمع والذي يفقد سمعه قبل النّطق لا ينطق وهي حقيقة علمية[2].

---

(1) – أنظر : محمد عز الدّين توفيق، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، مرجع سابق، ص:267 .

(2) – خالص حلبي، الطّب محراب للإيمان، مرجع سابق، جـ1، ص:203-204.

وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية بتقديم السّمع على البصر لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه في موضع آخر : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2].

- المطلب الثّاني : تسخير البصر.

عدّد الله تعالى نعمه على خلقه ومن عظيم نعمه على الإنسان نعمة البصر وهي مرتبطة بالعين وهي من الحقائق التي وقف عليها العلم الحديث في خلق الإنسان وما فيه من الآيات البينات ليزداد تبصرة ومعرفة بنفسه. وسنبيّن في هذا المطلب كيفية حدوث عملية الإبصار ؟، وما هي نوعية الإبصار لدى الإنسان ؟، وبماذا تتميز حاسة البصر عن غيرها من الحواس ؟، وما هي أهمية موقع العين ؟.

أوّلا : كيفية حدوث عملية الإبصار :

العين فيها 300 مليون عنصر مستقبل للضوء، وهي تبصر بطريقة، عجيبة إذ تنعكس صور المرئيات على شبكتها المعكوسة، فتنقل صورها إلى الجهاز العصبي، ليدرك أحجامها وأشكالها وألوانها وظلالها، وجمالها وسحرها، وقربها وبعدها[3].

وربما أقرب صورة لتوضيح كيف تتم الرؤية هي آلة الكاميرا، فالكاميرا تشبه العين حيث أنّها تلتقط الصّور التي تنعكس على العدسة في الشّبكية التي تشبه الفيلم، ثم تنتقل عبر ملايين الأعصاب المتجمعة في العصب البصري حيث يقوم المخ بتحميض الصّور وطبعها والتعرف عليها.

وكل ذلك يتم في جزء بسيط من الثانية إذ أنّ سرعة الإرسال تبلغ ألف متر في الثّانية، وكذلك تتم عملية الطّبع والتحميض والإدراك بمثل هذه السّرعة الرّهيبة[4].

إذا كانت الرؤية تحدث بهذه الطريقة فما هي نوعية الإبصار لدى الإنسان ؟.

---

(1) – سورة السّجدة : الآية 9.

(2) – سورة الإسراء : الآية 36.

(3) – أنظر : محمد رشدي عليان عبيد، الإيمان بالله –جلّ جلاله– في ضوء العلم والعقل، ط1، لبنان بيروت : دار القادري، 1996م، ص : 39.

(4) – أنظر : محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، مرجع سابق، ص:336.

ثـــانيا : نوعية الإبصار لدى الإنسان :

إنّ الإبصار الذي تقوم به العين إبصار جمع كافة الشّروط، فالعين تبصر الجسم في الضوء القوي والخافت، وتبصر الجسم من بعيد ومن قريب، وتبصر الجسم الصّغير والكبير، وتبصر شكل الجسم وحجمه ولونه، وتبصره في حركته وسكونه.

ثـــالثا : تميّز حـــاسة البصـــر:

تتميّز حاسة البصر على بقية الحواس، في كون العين لا تحتاج إلى ملامسة الأجسام لتراها. فالأصوات أو الرّوائح أو المطعومات أو الملموسات لا بد أن تكون في اتصال مع الحاسة المختصة ليتم الإحساس بها، أمّا العين فإنها ترى الأشياء وهي بعيدة منها، ويرجع هذا التفرد عند حاسة الإبصار إلى عنصر النّور.

وإذا كان النّور شرطا خارجيا للإبصار، إلاّ أنّه لا يكفي ما لم تكن العين سليمة وتبدأ مكونات العين بالغلاف الخارجي الذي يغلق مقلتها، وهو غلاف أبيض متين إلاّ عند الانتفاخ الأمامي حيث يكون شفافا، وبذلك يسمح للضوء أن يدخل إلى العين، ويسمى الانتفاخ بالقرنية، ووظيفتها الأساسية حماية العين من الأضرار[1].

وإلى جانب ما بيناه عن أسرار العين وخلقها المعجز، فإن الله تعالى جعلها في موقع خاص وهذا ما سنبينه فيما يلي :

رابعـــا : قيمـــة موقـــع العـــين :

سخر الله تعالى العينين للإنسان واختار لهما موقعا خاصا، فالنظر إلى الموقع الذي تقع فيه العينان، تبين أنّ هذا أنسب مكان لوظيفتهما، فالرأس من البدن كالراكب من مركوبه، ولذلك تجمعت فيه أهم الحواس، وجُعلت العينان في المقدمة لتكونا كالطليعة التي تكشف ما حولها، فالعينان تكشفان كل ما حول صاحبها، ومعظم جسمه أيضا، وتتحرك العينان في تجويفهما العظمي حركة سريعة في جميع الاتجاهات، وهذه الحركة ضرورية لتعميم النظر، ولتعديل الصّورة على الشّبكية باستمرار ومن هنا تظهر أهمية العضلات التي تحركهما. بالإضافة إلى مرونة الرقبة التي تزيد من قدرات العينين على رؤية جميع الجهات.

---

(1) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، ط1، دمشق، بيروت : 1421هـ-2000م، ص . 76. أنظر : محمد عز الدّين توفيق، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، مرجع سابق ، ص: 84.

لكن بالرغم ممّا ذكرنا حول ما توصل إليه العلم حول تسخير حاستي السّمع والبصر، إلا أن العلم البشري لم يحط بالله علما، بل إنّ علم الإنسان لم يحط بالإنسان نفسه [1]،فالإنسان فيه حواس كثيرة خفية لم يعددها العلم ولا نعرف من أين تأتي فمثلا الشعور بالجوع لا يخضع لأي من الحواس الخمس، وحاسة الوزن كذلك، فالإنسان لا يستطيع تحديد الأحجام من خلال النّظر بل لا بد من رفعها فهذه الحاسة غير معروفة، وكذلك معرفة السُّمك إلى جانب الانفعالات في الإنسان كالخوف، والفرح، والكراهية،لا نعرف مصدرها فالإنسان كل يوم يعرف الجديد عن نفسه[2].

- المطلب الثّالث : تسخير الفؤاد:

الإنسان من أعظم ما خلق الله تعالى، لذلك كان من أبدع ما يعرف الله به، ولذلك فبقدر ما يعرف الإنسان نفسه يعرف ربّه.

وأهم شيء في الإنسان صفاته الأساسية، وأهم صفة في الإنسان هي العقل فهو مناط التكليف فقد سخّر الله تعالى العقل للإنسان كوسيلة من وسائل معرفة آيات الله تعالى في نفسه وفي الآفاق للوصول إلى معرفته تعالى.

وقد عبّر القرآن الكريم عن العقل بالفؤاد لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[3].

وهذا ما سنوضحه في هذا المطلب فما هي علاقة الفؤاد بالقلب ؟. وما هي علاقة القلب بالعقل ؟. وما هي وظيفة العقل ؟.

أوّلا : علاقة الفؤاد بالقلب :

نعمة الفؤاد أو ما يعبر عنه بالقلب هي أتم النّعم وأكملها إذ ليس المقصود بالفؤاد تلك العضلة الصنوبرية الشكل والمودعة في الجانب الأيسر من الصّدر، فهو كما يقول الإمام

---

(1) – أنظر : عبد المجيد عزيز الزنداني، كتاب توحيد الخالق، مرجع سابق ، حـ1، ص:405.

(2) – أنظر : محمد متولي الشّعراوي، معجزة القرآن : مشاهد يوم القيامة، مرجع سابق ، ص:90، وانظر : عبد الحليم كامل، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، الرياض : دار المريخ، 1984م، ص : 153.

(3) – سورة الملك : الآيـة 23.

الغزالي[1] في الإحياء : موجود للبهائم قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشّهادة إذ لا تدرك البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين، ولكن المقصود بالفؤاد هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق.

وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب[2].

إذا تبيّن أنّ المقصود بالفؤاد في القرآن الكريم هو القلب،فما هي علاقة القلب بالعقل ؟.

ثـــانيا : عـــلاقة القلب بالعقـــل :

تفطن المفسّرون الأوائل إلى وظائف القلب الإدراكية، ففسروا القلب في قوله تعالى : ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[3] بالعقل.

يقول صاحب "روح البيان" : لقد فسّره ابن عبّاس[4] -رضي الله عنه- بالعقل، وذلك لأنّ العقل قوة من قوى القلب وخادم له[5].

ونقل عن القرطبي عن مجاهد[6] : عقل يتدبر به، فكنّى بالقلب عن العقل لأنّه

---

(1) – هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجة الإسلام، ولد سنة (450هـ)، فيلسوف متصوف، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فالشّام فمصر ثم إلى بلدته، له نحو مئتي مصنف، من أشهر كتبه : إحياء علوم الدّين، فضائح الباطنية، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلاسفة، المنقذ من الضلال، المستصفى، توفي سنة (505هـ). أنظر : الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، جـ6، ص : 222.

(2) – أنظر : أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين، الدار المصرية اللبنانية، جـ3، ص : 4.

(3) – سـورة ق : الآيـة 37.

(4) – هو عبد الله بن عبّاس..بن عبد المطّلب..بن هاشم..بن عبد مناف، ابن عمّ الرّسول -ﷺ-، ولد بالشّعب قبل الهجرة بثلاث سنين، قرشيٌّ، هاشمي، لُقب بحبْر الأمة -ﷺ- بالحكمة، تولى إمارة البصرة في عهد علي بن أبي طالب، وقيل قبل علي -رضي الله عنه- عاد إلى الحجاز شهد الصفّين. ولما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مروان رحل إلى مكّة، توفي سنة 68هـ بالطائف، أنظر : محمود شلبي، حياة ابن عبّاس حَبْر الأمّة، ط1، لبنان، بيروت : دار الجيل، 1410هـ-1995م، ص : 13-23.

(5) – أنظر : إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ط7، لبنان، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1405هـ-1985م، جـ9، ص : 39.

(6) – هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم ، تابعي، مفسر من أصل مكّي، قال الذّهبي : هو شيخ القرّاء والمفسّرين أخذ التفسير عن ابن عباس وتنقل في الأمصار واستقر في الكوفة، ولد سنة 21هـ-642م، وتوفي سنة 104هـ-762م. أنظر : الزركلي : الأعلام، مرجع سابق ، ج5، ص:678.

موضعه[1]، وقال محمد بن سيرين[2] عندما سُئل : ما لقلب ؟.

قـــال : الذي يعلم أنّ الله حق وأن السّاعة حق وأنّ الله يبعث من في القبور[3]. فالقلب يعقل ويتدبر، ويعلم، ويسمع وينظر ويفقه. هذا في مجال العلم والمعرفة ويؤمن ويخشع، ويتزل عليه الوحي، ويطمئن، ويحب الإيمان ويشعر بزينته ويثبت إلى آخر ما منحه القرآن الكريم من وظائف.

وممّا تقدم يمكن فهم قول ابن منظور[4] : << وقد يعبّر عن القلب بالعقل >>[5].

ولعل أهم ما يلاحظ في هذا الصدد، أن القلب أعلى مكانة من العقل، لأنّه يقوم بمهمته المعرفية الإدراكية ويتفوق عليه بالفقه وبوظائف أخرى غير إدراكية[6].

لكن هذا لا يعدم مكانة العقل فهو أشرف ما في الإنسان، فإذا كانت القفزة الهائلة بين الجماد والنّبات هي قفزة الحياة، فإن الفضل للإنسان على الحيوان هو فضل العقل، هذا العقل الذي وعى الأسماء فتمكن من أنواع المعرفة[7] وصار مطالبا بتحقيق الخلافة. لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[8].

وتحدُث القرآن الكريم عن العقل يكشف عن معقولاته، وذكر آثاره العاملة في الإنسان دون الحديث عن العقل بذاته لأنّ العقل غير مرئي كإحدى الحواس مثل السّمع والبصر والشّم

---

(1) – أنظر : القرطبي، التفسير الكبير ، مرجع سابق، جـــ3، ص:20.

(2) – هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء، أبو بكر ولد سنة 33هـــ-653م، بالبصرة، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتّاب، نشأ وفي أذنه صمم، تفقه وروى الحديث، واشتهر بتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس ابن مالك. بفارس، وكان أبوه مولى لأنس بن مالك، بفارس، توفي سنة 110هـــ-729م، بالبصرة. أنظر : الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ، جـــ6، ص : 154.

(3) – أنظر : ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـــ3، ص : 20.

(4) – هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي، الإمام اللّغوي. ولد بمصر وقيل في طرابلس، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها. وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وهو صاحب لسان العرب، أنظر : الزركلي ، مرجع سابق ، جـــ7، ص : 108.

(5) – ابن منظور ، لسان العرب، مرجع سابق ، جـــ5، ص : 3714.

(6) – أنظر : محمد الشرقاوي، تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم، ط2، الرياض : 1982م، ص : 52.

(7) – أنظر : محمود فرج الدمرداش، وعلّم آدم الأسماء كلّها، ط1، القاهرة : 1996م، ص : 44.

(8) – ســـورة الإسراء : الآيـــة 70.

والتذوق واللّمس فكان ذكر العقل من حيث وظيفته، وهي التعقل والتذكر والتدبر هو المناسب في هذا المقام[1] لقوله تعالى في سورة النّحل : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

فإذا كان القرآن الكريم يقتصر الحديث عن العقل من حيث وظيفته فما هي وظيفة العقل ؟.

ثـــالثا : بعض وظـــائف العقـــل :

فالعقل هو أداة الإدراك والفهم والنّظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو موضع الحكمة، ومعدن العلم، ومنهل التدبير، ومناط الأمر والنّهي والحركة والتحكم، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسئولية الوجود والفعل في عالم الشّهادة والحياة، والعقل بما أودع من فطرة إلى جانب أنّه الوسيلة الأساسية للإدراك فإنّه يحوي في ذاته بديهيات المعاني والعلاقات بين الإنسان والحياة والوجود والكائنات[3]. فهذه القدرات مقصودة لحكمة التسخير، فلو كانت المخلوقات تتمتع بما يتمتع به الإنسان من عقل لما كان هناك معنى للتسخير ولحدث الصّراع بين الإنسان وباقي المخلوقات، ولكن من لطف الله تعالى جعل الإنسان متميز بالعقل، فمن دون العقل لا يوجد إنسان ولا يوجد إدراك ولا يوجد فهم ولا وعي ولا توجد مسئولية. فهذه بعض وظائف العقل الإنساني، لأنّ العقل نعمة من نعم الله علينا ونعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى. فكيف لنا أن نُعدَّ وظائف العقل ؟.

بعد أن بينا في المبحث الأوّل تسخير السّمع والبصر والفؤاد الذي يدلّ على العقل، فإنّنا نؤكد في ختام هذا المبحث أنّها بعض وسائل المعرفة وليس كل الوسائل لأن قدرة الله تعالى أكبر من أن تجعل اتصال الإنسان بالكون سمائه وأرضه مبني على ثلاثة وسائل، فجسم الإنسان كما ذكرنا سابقا لا زال مجهولا بالنّسبة للإنسان ذاته لكننا نستطيع اعتبارها من أهم وسائل المعرفة.

وخلاصة القول أنّ هذه الوسائل من سمع وبصر وفؤاد التي جعلها الله تعالى منافذ على العالم ليستدل بها على وجود الله تعالى، فهي في ذاتها وفي تكوينها وفي قدراتها أكبر دليل على وجود الله. فالإنسان نفسه آية فريدة، دالة على الله، فهو وحده عالم خاص، اجتمع له من حسن الصّورة، ومن قوى الإدراك والشّعور والبصيرة مالم يحظ به غيره.

---

(1) – انظر : السعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص : 353.

(2) – سـورة النّحـل : الآيـة 11.

(3) – أنظر : عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق ، ص:111. وانظر : أحمد عطية السعودي، "الاستلهام الإبداعي لمفهوم التكريم الإنساني"، مجلة البيان، مرجع سابق ، ص:114.

المبحث الثاني : التسخير المعرفي

تمهيد :

الكون مسخر للإنسان على مستويات عدّة كما بيّنا في الفصل الأوّل فإلى جانب مظاهر التسخير المادي فإنّ الكون مسخر للإنسان على المستوى المعرفي أيضا، وهو ما يبدو في انبنائه مادة وحركة على قوانين ثابتة لا تتغير ممّا يتيح للعقل الإنساني أن يرصد ظواهر الكون ليتمكن بالمقارنة والحكم والنفاذ إلى تلك القوانين فيعرف حقائق الموجودات الكونية والتدبر فيها.

فالقرآن الكريم يحثّ على جعل التفكير في الآيات الكونية وملاحظة الصنعة فيها منطلقا لمعرفة الحقيقة الإلهية والإيمان بها[1].

فكل ما هو في الكون آية دالة على قدرة الله تعالى في خلقه وعظمته في نظامه فأينما يولي الإنسان وجهه يجد آيات تنطق باسمه الأعظم فجعل الله تعالى سننا وقوانين في خلقه تدل على وحدة الخالق فخلق الإنسان آية وخلق الحيوان آية،وخلق النّبات آية،وخلق السّموات والأرض أكبر لو كانوا يعلمون.

والكون في كلّه وجزئه وجملته وتفاصيله يسبّح لله الواحد الأحد وينطق بألوهيته وصفاته ويشهد بالآخرة والبعث، وهو ما سنفصّل فيما يأتي :

فالمطلب الأوّل : خلق السّموات والأرض، والمطلب الثّاني : خلق الإنسان والحيوان،أمّا المطلب الثّالث : خلق النّبات والموجودات.

المطلب الأوّل : خلق السّموات والأرض.

كل شيء في الكون إذا تأمله الإنسان، يدل على وجود الله تعالى، ووحدانيته وتفرده بالملك، والتدبير، لذلك نجد القرآن الكريم يذكّر بالنّظر في آياته المبثوثة في الكون، ففي كل آية دلالة على وجوده. ومن القضايا التي أهتم بها الذكر الحكيم قضية الخلق، ولا سيما خلق السّموات والأرض ودلالتهما على وجود الله تعالى وهذا ما سنوضحه في هذا المطلب.

فقد شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل الأرض مقرا للإنسان والسّموات من حولها ولهذا سخّر الله تعالى ما فيهما لخدمة الإنسان خاصة والحياة عامة، ولقد اكتشف العلم الحديث أن ملاءمة

---

(1) – أنظر : عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، مرجع سابق ، ص:25.

الأرض للحياة تتخذ صورا عديدة من التنظيمات والتوافقات الرّائعة التي لايمكن تفسيرها على أساس المصادفة والعشوائية[1]، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾[2].

بل تجعلنا نتلمس قدرة الله تعالى وعظمته وصدق الله تعالى في قوله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾[3]. فخلق السّموات والأرض أعظم من خلق كل شيء وهي حقيقة يقر بها الكافر قبل المؤمن فمنذ وجود الإنسان على الأرض لم يجرؤ أحدا القول بخلق السّموات والأرض، لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[4].

فلماذا يعترف حتى غير المؤمن بأن الله تعالى هو الخالق ؟.

لأنّ القضية أكبر من أن يدّعيها أحد فلا أحد يجرؤ أن يدعي أنّه خلق الشّمس أو القمر أو الأرض، تلك قدرة فوق قدرات البشر جميعا، ومهما تقدم العلم فلن يصل أحد إلى هذا الإدعاء[5].

فبين الله تعالى في كتابه العزيز أنّه خلق السّموات والأرض وأوجدهما على ما هما عليه حيث رفع السّماء بغير عمد ومدّ الأرض وبسطها وكان ذلك الخلق متلبسا بالحق لمصالح العباد تعالى الله وتقدّس بذاته وصفاته وأفعاله التي منها خلق السّموات والأرض وقد جاء ذكر السّموات والأرض لبيان أنّهما خلقا بالحق[6] لقوله تعالى في سورة النّحل : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[7]. فالإشارة إلى السّماء، توجه نظر الإنسان إلى الفضاء الفسيح، الذي تسبح فيه الأجرام، فالكون بسماواته السبع يشمل على كمّ هائل من النّجوم، وهي أجرام عظيمة

---

(1) – أنظر : منصور حسب النّبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن دار الفكر العربي، 1946م، ص : 39، وانظر : محمد سيد أحمد المسيّر، الإلهيات في العقيدة الإسلامية، القاهرة : دار الاعتصام، دار النّصر، ص : 27.

(2) – سورة الدخان : الآية 38.

(3) – سورة الذاريات : الآية 20.

(4) – سورة لقمان : الآية 25.

(5) – انظر : محمد متولي الشّعراوي، معجزة القرآن : مشاهد يوم القيامة، مرجع سابق ، ص:23، وانظر : عبد المعز خطاب سورة النّحل وجلائل النّعم، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، 1412هـ-1991م، ص : 6-7.

(6) – أنظر : محمد محمد خليفة، مع آيات الله في كتاب الله، ط1، مكتبة النّهضة المصرية، 1403هـ-1983م، ص : 477.

(7) – سورة النّحل : الآية 3.

عظمة خالقها تندفع منها طاقات وإشعاعات، وهذه المجرات في تباعد مستمر[1] لقـــوله تعـــالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[2].

والأرض تحملنا وتطعمنا وتروينا بمائها الذي لا يغور ولا ينضب وما أثبته العلم عن موقعها ودورانها وكثافتها واستقرارها، وهوائها ومائها وكنوزها وخبئها ونباتها وأزاهيرها ليرى الإنسان عجائب الدّقة والتصميم المقصود في خلقه وآثار القدرة المقتدرة والحكمة الظاهرة والعلم المحيط والرّحمة السابغة [3].

ومن خلال ما تقدم تبيّن لنا أن المتأمل في خلق السّموات والأرض يؤدي به إلى الإيمان بوجود الله تعالى ، ذلك أن هذا الخلق العظيم لا يكون إلا من عظيم، فللفعل دلالة على الفاعل.

- المطلب الثـــاني : خلـــق الإنســـان والحيـــوان.

بعد أن بينا قدرة الله تعالى في خلق السّموات والأرض وهي أكبر من خلق الإنسان والحيوان نتدرج في هذا المطلب لتبيين قدرة الله تعالى في خلق الإنسان والحيوان.

أوّلا : خلـــق الإنسان :

خلق الإنسان آية من آيات الله تعالى في الكون فجعل من الماء المهين إنسان سوي، فالإنسان يتطور في رحم أمّه سبعة أطوار لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[4]. والله تعالى يذكّر الإنسان بأصله فقد خلق من ماء وصوّره وشكّله ومع ذلك يتمرد على خالقه لقـــوله تعـــالى

---

(1) – وانظر : عبد العليم عبد الرحمن خضر، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ط2، جدة : الدار السعودية، 1405هـ-1985م، ص : 142. وانظر : لنفس المؤلف . هندسة النّظام الكوني في القرآن الكريم، ط1، جدة : النّاشر العامة، 1403هـ-1983م، ص : 16-17.

(2) – سـورة الذاريات : الآيـة 47.

(3) – انظر : محمد رشدي عبيد، الإيمان بالله -جل جلاله- في ضوء العلم والعقل، مرجع سابق، ص : 36. وانظر : محمد رشدي عليان قطحان عبد الرحمن الدوري، أصول الدّين الإسلامي، ط4، بغداد : 1990م، ص : 88.

(4) – سـورة المؤمنـون : الآيـة 12-14.

في سورة النّحل : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾[1]. فالجسم البشري يفرز إفرازات كثيرة ومنها الماء المهين وهو إفراز ليس كغيره من الإفرازات،فمنه تنبت الشّعوب والقبائل والأحياء.

فلينظر الإنسان أنّه كان نصفين نصف أفرزه الأب ونصف أفرزته الأمّ،فكيف التقى النصفان ؟. فذلك تقدير العزيز العليم، فالله تعالى وحده أوجد المودة والرّحمة بين الأبوين لتكونا دافعا للزواج، والله وحده رتّب أمور هذا الكائن ترتيبا وقدر أوصافه وأحواله تقديرا، تقدير الزّمان والمكان والهيئة والظروف وتقدير للغدد والهرمونات والخصائص والصّفات والسّلوك والقدرات.

تقدير المستقبل وإخراجه من غيب الماضي إلى عبر الحاضر، ونقل الخصائص من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد.

فالإنسان مهما كان أمره ومهما صار شأنه، صغيرا أو كبيرا زعيما أو عظيما ملكا أو رئيسا عالما أو جاهلا كان ماء مهينا فقدرت أموره تقديرا وأصبح إنسانا سميعا بصيرا فهي قدرة الخالق الحكيم العليم الذي أحاط بكل شيء علما وقدر لكل عضو وظيفة ومهمة ووفق بين الوظائف والمهام ويقول تعالى في محكم تنزيله : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾[2].

فأصل هذا الإنسان "نطفة أمشاج" كما جاء في قول الخالق -ﷻ- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾[3]، والنطفة الأمشاج خلية لا يتجاوز قطرها 180 ميكرومتر وهي البويضة المخصبة (L'œuf fecondé) التي اجتمعت فيها نطفة الأب Spermotogoide ونطفة الأم Ovule[4] لتكون بداية الخصيم المبين بتزاوج خلوي على مستوى مجهري، يتبعه تزاوج أدق على مستوى صبغيات الأبوين ومورثاتهما. بحيث يجتمع 23 زوجا صبغيا يحملان ما بين 50.000 إلى 100.000 زوج من المورثات نصفها من الأب والآخر من الأم ليفرزا للإنسان صفاته التي هي مشيج ورثه عن أبويه وقد يورثه إلى بعض نسله، ويستمر وجود الخلية على الأرض بدءا من خلية مهينة.

---

(1) – سورة النحل : الآية 4.

(2) – سورة عبس : الآية 17-23.

(3) – سورة الإنسان : الاية 2.

(4) – Poirier J, poirier, baudet J, embnylogie humaine, 3 ed, parus ualoine, 1993, p 50.

تنقسم الخلية المنشأ وفق آليات معينة محافظة على مخزونها الوراثي وتمر بأطوار عديدة فصّلها علماء الأجنة في مؤلفاتهم[1] وجاء وصفها مطابقا لأطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم، لتعطي في النّهاية كائنا بشريا خصائصه هي تلك التي استخلصت من جينات الأبوين، وهي الأسرار المشفرة على طول خيط الـ ADN أو الحمض الريبي النّووي منقوص الأكسجين والذي لا يزال يعجز العقل البشري إلى اليوم[2].

وكما كانت تلك البداية من نطفة بما تحوي من مورثات وصبغيات لا ترى بالعين المجردة قد انطلق منها الوجود الإنساني بشرا سويا،فملأ الأرض سعيا وحضارات،فكذلك تكون النشأة الأخرى، والذي قَدر على الخلق أوّل مرة يقدر عليه المرة الأخرى وصدق الله القائل في وصف الإنسان الجاحد : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

أليست هذه هي الخصومة الحمقاء من نطفة تمنى في مواجهة رب الأرض والسّماء وخالق الحياة والأحياء.

لقد مرّ دهر على الأرض ما كانت لتشهد وجود هذا الإنسان، فإذا به يصبح سيدا عليها تدفع أجياله في الخروج إلى الأرض نطفا أمشاجا وقد زودت بأدوات العلم (السّمع، البصر، الفؤاد) ليكون الإنسان مؤهلا للهدى وحمل الأمانة[4] قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[5].

وعجيب أن يتحول الإنسان المعروف النشأة العاجز الطفولة إلى عدو لله تعالى الذي خلقه فسوّاه،وأسبغ عليه النّعم ظاهرة وباطنه.

---

(1) – Strachan, read A.P, génétique anolevulaire humainne, paris flammarion, 1998, p34.
- Winter pc, hichey GI, fletcher HL l'essentiel en génétique, paris, 200, p 94.

(2) - Poirier J. poirier I, Baudet J, embyologie humaine, op. Cit, p 49-56

(3) – سورة يس : الآية 77-79.

(4) – انظر : رشال جونسون، عبد المجيد الزنداني، مصطفى أحمد عبد الباسط، علم الأجنة في ضوء القرآن والسنّة، مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي، ص : 51-52.

(5) – سورة الإنسان : الآية 1-2.

ثـــانيا : خلق الحيـــوان.

يعتبر الحيوان من عناصر البيئة التي لا يمكن الاستغناء عنها ويستخدمه الإنسان استخدامات شتى وعَرَض القرآن لعالم الحيوان فوائد كثيرة في مجموعة من الآيات منها قـــوله تعـــالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (1).

إن هذه الآيات وغيرها توجه النّظر الإنساني إلى أهمية الحيوان في حياة الإنسان وإلى أهمية استخدامه وتربيته بالإضافة إلى بعد هام جدا وهو إدراك الجمال فيه، وكان الأمر لا يقتصر على مجرد الحصول على منافع الحيوان بل يمتد إلى الاستمتاع بتذوق الجمال وموطنه فيه، وهذه اللفتة إلى الاهتمام الجمالي تخدم المعرفه عن طريق تميزها بخاصية التجول وراء حدود المعرفة فمملكة الخيال هي حقل الاختراع الإنساني الذي لا حد له لأنه يوسع المجال للامكانات البشرية ويتجه نحو خصوبة الأفكار وغنى التجربة الحسية ونحو مضاعفة التبديلات والتراكيب التي نختار من بينها معرفتنا وتطبيقاتها العلمية لما نريده.

وإشارة القرآن الكريم إلى خلق الطير وتسخيره في جو السّماء خير دليل على ذلك لقوله تعالى في سورة النّحل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (2).

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر من القرآن : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَانُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (3).

هاتان الآيتان اللتان تطلبان منا النّظر إلى خلق الطير في القرآن الكريم ويلاحظ أنهما ابتدأتا بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾.

فاستعمل فيهما التنبيه إلى النّظر على الطير بكلمة "يروا " وكأن في ذلك إشارة إلى أن مجرد إلقاء نظرة إلى الطير يظهر لنا آثار قدرة الخالق -جل جلاله-.

---

(1) – ســـورة النّحل : الآيـــة 5-7.

(2) – ســـورة النحـــل : الآيـــة 79.

(3) – ســـورة الملك : الآيـــة 19.

فالطيور في جمال أشكالها وتناسق ألوانها صنعة دالة على المصور سبحانه وتعالى الذي أبدع صورها، لأنّ رؤية أشكالها الجميلة والرسوم والخطوط والألوان التي تحمل ريشها وأجسامها، تطرح على النّاظر سؤالا هو : من المصور الذي صور هذه الأشكال وأبدع هذه الصّور ونسق بين هذه الألوان ؟ فيكون الجواب الوحيد على ذلك : هو الله الخالق البارئ المصور -جلّ جلاله-، فإذا انتقلنا من مجرد نظرة على الطيور بشيء من التأمل، والتفكير في خلقها وجدنا مزيدا من بديع صنع الله -عزّ وجلّ- الذي أحسن كل شيء خلقه، وابتعدت عنا فكرة أن يكون هذا التصوير، وهذا التقدير والتدبير من غير صنع عليم خبير.

فإذا كان في الطّيور آيات لقوم يؤمنون فما هو سرّ طيرانها ؟.

تتمكن الطّيور من الطيران لأشياء عديدة في تكوينها أهمها شكل الجسم الانسيابي، والأجنحة المزودة بالريش، والعظام المجوفة الخفيفة، والأكياس الهوائية بين الأحشاء، وهي متعلقة بالرئتين، وتمتلئ بالهواء عند الطيران فينخفض وزن الجسم، والصّف : وهو أن يبسط الطائر جناحيه من دون أن يحركهما. وفي طيران الطيور آيات معجزات لم تفهم بعضها إلاّ بعد تقدم علوم الطّيران ونظريات الحركة، ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يمضي الطائر في الجو بجناحين ساكنين حتّى يغيب عن الإبصار.

وقد كشف العلم أن الطيور الصّافة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ إمّا من اصطدام الهواء بعائق ما، أو من ارتفاع أعمدة الهواء السّاخن، فإذا ما كانت الريح هينة ظلت الأعمدة أفقيا فتصف الطّيور في خطوط مستقيمة بعيدة المدى.

وتتحلى الطّيور بخصائص منها خفة الوزن، ومتانة البناء، وعلو كفاءة القلب، ودورة الدّم، وجهاز التنفس، ودقة اتزانها، وانسياب أجسامها، وهي خصائص أودعها فيها العليم البصير لتحفظها في الهواء حين تبسط جناحيها أو تقبضهما.

إلا أنّ الطيور الصّافة تتميّز عن سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدورها مع قوة الأوتار، والأربطة المتصلة بأجنحتها حتّى تستطيع بسطها فترات طوال من دون جهد.

أمّا الطيور صغار الحجم، التي تعتمد في طيرانها على الرفيق، فإنّها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرّفع اللازمين لطيرانها، ثم تقبض أجنحتها، ولكنها تظل طائرة بفوة اندفاعها المكتسبة، وهكذا يتضافر البناء التشريحي، والتكوين الهندسي للطيور بكافة أنواعها

على طيرانها، وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها أثناء الطيران[1].

- المطلب الثّالث : خلق النّبـــات والموجـــودات.

أوّلا : خلق النّبـــات :

خلق الله تعالى النّبات في الأرض وجعل فيه مآرب كثيرة فالثّمار للغذاء والأتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لبعض أنواع التجارة وغيرها واللّحاء والورق والأصول والعروق والصّموغ لضروب من المنافع/ فلو كنا نجد الثّمار التي نتغذى بها مجموعة على وجه الأرض و لم تكن على هذه الأغصان الحاملة لها، كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وإن كان الغذاء موجودا فإنّ له منافع كالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها مع ما في النّبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يكاد لها مثيل.

فالتأمل والتفكير والتدبر في أنواع النّبات وأشكاله واختلاف طعمه ولونه ورائحته وما توحي به دورة النّبات من إيماءات عديدة وعبر كبيرة للإنسان كونها دورة كدورة هذا النّبات، حيث تتشابه البداية والنّهاية، حياة ثمّ موت ثم فناء ثم بعث بعد الموت.

والقرآن يلفت نظر الإنسان إلى النّبات للتفكير والتدبر والتسخّير ثم الاستدلال على وحدانية الخالق -ﷻ- لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

والمراد بالشّجر هنا : النّبات مطلقا، سواء كان له ساق أم لا، كما نقل عن الزّجاج[3]،

- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، تسخير الطير، 2005/12/11. www. afkaar. com/htm. -
وانظر : أحمد زكي، مع الله في الأرض 1411هـ-1991م، ص : 295-296.

(2) - سـورة النّحل : الآيـة 10-11.

(3) - هو ابراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزّجاج ولد سنة 241هـ-855م ببغداد، عالم بالنّحو واللّغة، علمه المبرد، وكان معلما لابن المعتمد العباسي المسمّى بالقاسم، وبعد تولى القاسم الوزارة جعله من كتابه وكان للزّجاج مناقشات كثيرة، توفي سنة 311هـ-923م، ببغداد، من كتبه : معاني القرآن، الاشتقاق، خلق الإنسان، الأمالي، وفي الأدب واللّغة له : فعلت وأفعلت، وفي تصريف الألفاظ : المثلث في اللّغة، وإعراب القرآن من (ثلاثة أجزاء). أنظر " الزركلي، الأعلام، مج1، ص : 40.

وهو حقيقة في الأوّل ويستعمل في الثاني بمعنى الكلأ : لأنّه الذي يعلف[1].

وذلك لما تتميّز به نباتات المراعي من الأهمية والخصوصية. فمن آيات التنزيه الإلهي أن المراعي تخرج من حالة الكمون إلى الوجود من دون تدخل بشري بل تقوم الأنعام بحراثتها، وهذا ما يعلمه خبراء المراعي بالمشاهدة والأبحاث الحقلية، فإنّ للنّباتات الطّبيعية أو المراعي الطبيعية من الخصائص والصّفات ما يؤهلها لكي تعيش تحت ظروف قاسية حتّى تتاح لها الظّروف المناسبة بقدرة الله فتخرج من الأرض وتعطي نباتا يتغذى عليه الحيوان، ويحفظ عليه حياته[2].

والنّبات سواء كان طبيعيا أو مستزرعا من أهم مصادر البيئة ففي النّبات واستغلاله المناسب يقول الله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[3].

وللنّبات في حياة الإنسان منافع أكثر من أن تعد أو تحصى، ولكن ننظر إليها من الجهة الأكثر نفعا للإنسان، ألا وهي العقيدة، فهي آية من آيات الله امتن بها على خلقه وتشكل وسيلة تبصير وإيضاح بطائفة من مسائل العقيدة، ونحن نعلم أن وسائل الإيضاح المجسمة والمخطوطة تشكل عنصرا رئيسا في عملية التبليغ[4].

ثـــانيا : خلـــق المـــوجودات

أ/– خلق المـــاء :

إن القرآن الكريم يلفت نظر الإنسان وقلبه وكيانه كلّه إلى أهمية الماء ووظيفته للحياة واستمرارها كما يدعوه للدراسة والتأمل فيه وتسخيره قـــال تعـــالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

---

(1) – أنظر : وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، لبنان، بيروت : دار الفكر المعاصر، سورية دمشق : دار الفكر، جـــ12، ص : 98.

(2) – أنظر : محمود السعيد الكردي، مبادئ العلم في الإسلام : آيات النّبات والإبداع التحريري في الزّراعة، طـــ1، 1411هـــ- 1991م، ص : 169.

(3) – ســـورة عبس : الآيـــة 24-32.

(4) – أنظر : محمود السعيد الكردي، المرجع نفسه، ص:151.

(5) – ســـورة الأنبياء : الآيـــة 30.

وقــوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1].

هذه الآيات وغيرها توحي وتدل على نعمة الماء وماله من دور في حياة الكائنات، فالماء العذب فيه من الفوائد والمنافع الكثير، ولهذا لفت القرآن نظر الإنسان إلى نعمة الماء لا من أجل ذاتها بل لما فيها من الفوائد والمنافع وكيفية تسخيرها واتخاذ الوسائل المناسبة لاستغلالها، من أجل هذا التسخير طبقا لمنهج الإسلام وأهدافه.

ب/- خلق الظــلال :

إنّ الحي القيوم يهب لكلّ ذرة في الكون وجودها، فهي عاتية له مائلة إليه، خاضعة بين يديه، وهي في الصّباح والمساء طوع أمره لقوله تعالى في سورة الرّعد : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[2].

وقــوله تعالى في سورة النّحل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[3].

إنّ الغافلين عن الكون يحقّرون عظيما، ويتنقلون في أرجائه كما يتنقل الفلاح بين معامل الكيمياء، ومراصيد الأفلاك، ومصانع الذّرة، ويمكن الاستساغة من عبيد البقر أن يجهلوا الكون وربه، ولكن لا يستساغ من أتباع القرآن، أن يعيشوا عجزة محجوبين، بين أسرار الكون وقواه، وما أودع الله فيه من مرافق ومنافع[4].

---

(1) – ســورة النّحل : الآيــة 14-15.

(2) – ســورة الرّعد : الآيــة 15.

(3) – ســورة النّحل : الآيــة 48.

(4) – أنظر : محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الصّحوة للنّشر، ص : 64.

ونستخلص ممّا ذكرنا في المبحثين السّابقين أن مشاهد الكون تدل على أنّ الله واحد وتظهر وحدانيته من خلق الإنسان من نطفة، أو سير الفلك على الماء أو من نزول الماء من السّماء، ويرمز خلق الأنعام، والخيل والبغال والحمير إلى وجود الخالق وتوحيده، وتدل أنواع الحيوان وأصناف الثّمار، على وحدانية الخالق، ويدل تسخير اللّيل والنّهار والشّمس والقمر، وسائر النّجوم للإنسان على توحيد الرحمن، ويظهر تصريف الرياح، وتسخير البحار أنّ لا إله إلاّ الله، وتمدي الرّواسي التي تمنع الأرض أن تميد بمن عليها إلى وجود الخالق وضرورة توحيده.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث : التسخير الجمالي

تمهيد :

حرص القرآن الكريم في مواضع عدّة على التنبيه إلى عنصر الجمال،الذي أودعه الله تعالى في كلّ ما خلق، والمتأمل في آياته الكريمة يرى بوضوح أنّه تعالى يريد أن يغرس في عقل كل مؤمن وقلبه الشّعور بالجمال المبثوث في جنبات الكون، فالجمال محيط بنا في كلّ مكان فلينظر الإنسان حوله في الأرض،ليتدبر آيات الجمال فكل لوحة تعلن عن خلق الخالق، وكمال تدبيره وجمال صنعه، ممّا لا تخطئه عين.

فإذا كان الجمال في الكون على هذه الأهمية،فما هي حقيقته في القرآن الكريم عامّة، وفي سورة النّحل خاصّة.

وهذا ما سنتطرق إليه بالبيّان في هذا المبحث،حيث نبيّن نظرة القرآن الكريم للجمال في الكون بين الحقيقة والخيال،وبعدها نبيّن تلك النّظرة بنماذج من القرآن الكريم،ومن سورة النّحل خاصّة. فالمطلب الأوّل : واقعية الجمال الكوني، أمّا المطلب الثّاني : المتاع الجمالي في الكون.

- المطلب الأول : واقعية الجمال الكوني.

الجمال في الكون كما يصوره القرآن الكريم هو حقيقة واقعية من حقائق الكون، وليس مجرّد خيال ذهني لا مصداق له في الواقع مثلما تقرّر ذلك بعض المذاهب الفلسفية، وحينما يصوّر جمال الكون على أنّه حقيقة واقعية فإنّ ذلك من شأنه أن يرفع من قدره في تصوّر الإنسان، إذ تكون قيمة الجمال خاصيّة من خصائصه الذاتية وليس أمرا مضفّى عليه من خارجه على سبيل التّخيّل، وبين الأمرين فارق كبير فيما يحدثه كل منهما من الأثر النّفسي والتّربوي في التصرّف الكوني وهو فارق ما بين التعامل مع قيمة حقيقية واقعية،والتعامل مع قيمة خيالية تصنعها الأوهام[1].

ومن أجل إبراز معنى الواقعية في جمال الكون وتأكيده جاء القرآن الكريم يعرض ذلك الجمال في الأوضاع المختلفة للكون، إيحاء بأنّ هذا الجمال لما كان متحققا في مختلف أوضاع الكون وأحواله،فإنّه إذن يكون حقيقة موضوعيّة وليس مجرّد انطباع ذاتي للمشاهد له والنّاظر فيه،

---

(1) – أنظر : عبد المجيد النّجار، البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق ، ص : 99، وانظر : عبّاس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية، ط2، 1969م، ص : 69.

إذ لمّا يجد المشاهد الجمال الكوني أمرا ثابتا مع تغير أوضاع الكون وأحواله فإنّه يحصل منه الانطباع بأنّ ذلك الجمال صفة ملازمة للكون وليس عارضا ذهنيّا أضفي عليه من خارجه.

وتعود كثرة الأوضاع الكونية التي يتحقق فيها الجمال كما يصوّره القرآن الكريم إلى وضعين أساسين :

أوّلا : الوضـــع الكمي لمشـــاهد الكـــون :

ومعناه أنّ مشاهد الكون تتضمّن قيمة جمالية في أشيائها المفردة إذا نظرت إليها في بعدها الكمي السّاكن، فثمرات الأشجار مثلا والجبال،وأفراد النّاس وأصناف الأنعام في تنوّع تمثيلها لمكوّنات الكون نباتا وجمادا وحيوانا وإنسانا،تتضمّن كلّها قيمة جمالية بما تظهر فيه من الألوان الزّاهية البادية في تناسق مع اختلافها،وهو ما صوّره قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

وقـــوله تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾[2].

ثـــانيا : الوضـــع الكيـــفي لمشـــاهد الكـــون.

ومعناه أنّ مشاهد الكون تتضمّن قيما جمالية فيها يتجاوز مادّتها المكونة لذواتها الفردية إلى الوضع الكيفي الذي تكون عليه تلك الأفراد.

فهو جمال في الكيفية التي تكون عليها مفردات الكون.ينضاف إلى الجمال الذي يكون في مادتها، وذلك سواء بالنّظر إليها منفردة أشخاصا، وأنواعها أو بالنظر إليها تشكيلات مختلفة من الأشخاص والأنواع تؤلف فيما بينها كيفية تتصف بالجمال، فمفردات الكون تتصف بالجمال في الكيفية التي تكون فيها أزواجا، وذلك مثلما يبدو في الزّوجيّة النّباتية النّاشئة في الأرض الهامدة التي إذا ما نزل عليها الماء ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[3].

---

(1) – سـورة النحل : الآيـة 13.

(2) – سـورة فـاطر : الآيـة 27-28.

(3) – سـورة الحج : الآيـة 5.

والأنعام تتصف بالجمال في الكيفية التي تكون عليها ذاهبة إلى المراح أو إلى المسرح كما يفيده قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (1).

والحدائق المشكلة من شتى الأصناف من النّبات والأشجار والثّمار المختلفة والمياه الجارية والعصافير والفراشات تكون متصفة بالجمال جرّاء الكيفية النّاشئة من ذلك التشكيل البديع، وهو ما يفيده قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ (2).

وهكذا يتبدى الجمال في الكون أنّي اتجهت بنظرك إليه في كمّه وكيفه بما يرسخ في التصور الذهني أنّه جمال موضوعي من ذات الوجود الكوني نفسه.

- المطلب الثاني : المتاع الجمالي في الكون.

الكون في التّصور الإسلامي ليس مسخّرا لانتفاع الإنسان انتفاعا ماديا فحسب، بل هو مصدر لغذائه الرّوحي، مراعاة لما يحتاجه الإنسان حسب طبيعته وتكوينه المادي والرّوحي، فبالإضافة إلى ما يشبع من شوقه إلى الملأ الأعلى باعتباره فطرة طبيعية فيه وذلك بما يتضمن فيه من الدلالات الغيبية، فإنّها تشبع فيه أيضا الشوق إلى الجمال، فالإنسان مفطور على حاسة جمالية تطلب إشباعا بالتملّي من مشاهد الجمال كما تطلب حواسه الماديّة إشباعا بمباشرتها لمطالبها المحسوسة.

وعلى هذا الأساس لم يكتف القرآن الكريم بذكر منافع الكون المادية، بل أشار إلى المنافع النّفسية والمعنويّة فللكون بعدا اجماليا، يقصد منه تلبية الشّوق الإنساني إلى الجمال وتحقيق المتعة الرّوحية بذلك، ونمثل على ذلك بما جاء في القرآن الكريم من ذكر للجمال في مختلف مجالات الكون.

1/- زينة السّماء :

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾(3).

ففي التقدير الإلهي للكون صناعة جمالية عبّر عنها "بالتزيين"، وهي صناعة قصد منها إمتاع الإنسان كما يفيد التعبير بتنسيب التزيين إلى الناظرين.

---

(1) – سورة النّحل : الآية 6.

(2) – سورة النّمل : الآية 60.

(3) – سورة الحجر : الآية 17.

جمـــال الحيـــوان :

عن جمال الحيوان يقرأ قوله تعالى عن الأنعام : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[1].

فقد هيئت هذه الأنعام بصنعة جمالية من أجل الإنسان أن يكون له فيها متاع روحي، فكلمة "تريحون" من مادة الإراحة، بمعنى : إرجاع الحيوانات عند الغروب إلى محلّ استراحتها، ولهذا يطلق، على ذلك المحل اسم المراح "وتسرحون" من مادة السروح بمعنى : خروج الحيوانات صباحا إلى مراعيها عبّر القرآن الكريم بكلمة "جمال" عن تلك الحركة الجمالية للأنعام حين تسرح إلى مراعيها وتعود إلى مراحها، لما لها من جمال ورونق خاص يغبط الإنسان.

وكأن القرآن الكريم يثير انتباه المؤمنين إلى أنّ تعاملهم مع ما حولهم لا ينبغي أن يظلّ محصورا في نطاق العلاقة الوظيفية الآلية، وإنّما عليهم أيضا أن يلتفتوا أيضا إلى البعد الجماليّ في تلك العلاقة، ذلك أن الله سبحانه وتعالى شرّع للإنسان إلى جانب المنفعة المادية الاستمتاع بالجمال أو "الزينة" وهو الوصف الذي يجسّد الجمال في الخطاب القرآني.

ففي معنى الزينة يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[2].

ذلك أن الرّكوب يحقق المنفعة المادية وتتحقق العلاقة الوظيفية، أمّا الزّينة فهي متعة جمالية تريح النّفس وتبهج العين.

فهذه المخلوقات تعطي من التنوع، للحياة على الأرض، ما يملؤها جمالا، ويبعد الوحشة والملل عنّا.

جمـــال حليـــة البحر :

في ذلك السياق بنفس السّورة، تحدث الله تعالى عن تسخير البحر فقـــال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

---

(1) – ســورة النّحل : الآيــة 6.

(2) – ســورة النّحل : الآيــة 8.

(3) – ســورة النّحل : الآيــة 14.

إذ لم يقصر فائدة البحر على العنصر المادي المتمثل في استخراج ما يؤكل منه، بل ضمّ إليه الحلية التي تلبس للزّينة فتستمتع بها العين والنّفس.

والقرآن الكريم لا يدعو المؤمنين إلى ملاحظة الجمال والزّينة وبديع الخلق، ولكنه يدعوهم أيضا لأنّ يتحملوا هم أنفسهم، وينكر عليهم عدم الاكتراث بأسباب الزّينة، مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

فالآية تبدأ بالحثّ على التزين لحاجة الوجدان، ثم تنتقل إلى الأكل والشّرب لحاجة الجسم، ثم تستنكر بعد ذلك تحريم زينة الله التي أخرج لعباده، وتحريم الطيّبات والرّزق، وإذا لاحظت أنّ البيان الإلهي استخدم مصطلح "زينة الله" فستجد أن ذلك يرفع مقام الزّينة ويشرفها، ومن ثم يحبب فيها ويجعل تحصيلها قريبا إلى الله سبحانه وتعالى، إذا ما خلصت النيّة لله تعالى.

وفي الأخير يمكننا القول أن كل ما في الوجود آية في الرّوعة والجمال، وآية على كمال خلق الخالق، إنّ الجمال يحيط بنا ويغمرنا حيثما قلّبنا أنظارنا، وآيات الله تبهرنا وتملأ علينا كلّ أحاسيسنا، فنقف أمامها مدهو شين، نسبّح، ويسبّح معنا كل شيء، للخالق سبحانه على نعمه وآلائه، متغنّين بروائعه، والنّفس المؤمنة ذات القلب الصّافي لهي تستشعر روعة الجمال في كلّ شيء، وأنّى ولّت وجهها، ومن منّا لا يرى الجمال في الوجود، كلّ الوجود، أو لم يستشعر الجمال الغامر، والجمال الباهر، الذي يلفُّ كل شيء، ويحكي صنع الله وإبداعه.

---

(1) – سورة الأعراف : الآية 31-32.

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : تسخير النّعم

- المبحث الأوّل : تسخير الكون.
- المبحث الثّاني : تسخير الأرض.
- المبحث الثّالث : تسخير الماء.
- المبحث الرابع : تسخير الحيوانات.
- المبحث الخامس : تسخير النّحل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : تسخّير النّعم

تمهيد :

سنتطرق في هذا الفصل إلى ذكر بعض النّعم المسخرة للإنسان من خلال سورة النّحل وقد استمدينا تسمية هذا الفصل من تسمية السّورة بسورة النّعم، وهذا ما سنوضّحه في المباحث التالية إنشاء الله تعالى :

فالبحث الأوّل : تسخير الكون، والمبحث الثاني، تسخير الأرض، والمبحث الثّالث تسخير الماء، والمبحث الرّابع : تسخير الحيوانات، أمّا المبحث الخامس : تسخير النّحل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : تسخيـــر الكون.

إنّ عظمة الله تعالى وقدرته وعنايته جعلت الكون كلّه مسخر لخدمة الإنسان إذ يذكّر الله تعالى بنعمة تسخير الموجودات في العالم للإنسان لقوله تعالى في سورة النّحل:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].وقبل دراسة هذه المسخّرات الكونية لا بد لنا من توضيح مفهوم الكون :

- يقصد بلفظة الكون مجموع الموجودات/والكائنات من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزّمان، وما تتشكل عليه من كافة الجمادات والأحياء، ولما كان ذلك يشمل حيزا كبيرا من المعارف الإنسانية، خرج النّاس بلفظه الكون إلى مذلول أكثر تحديدا يقتصر على النّظام الشامل للأجرام السّماوية، المدرك منها حسيا وغير المدرك، بأشكالها، وأحجامها، وكتلها، وأبعادها، وحركاتها، وقوى التّرابط بينها وتركيبها الكيميائي وصفاتها الفيزيائية والهيئات المختلفة التي تنظمها، وكيفيات نشأتها وتاريخها والمصير الذي ينتظرها[2].

فالمفهوم الواقعي لتسخير مظاهر الكون أن تكون في منفعة الإنسان ويكون ذلك من شأنها ووظيفتها مع تمكين الإنسان من الاستفادة منها فكل من اللّيل والنّهار والشّمس والنّجوم له أثر خاص في حياة الإنسان.

وبما أنّ موضوع المبحث تسخير الكون، فالحديث يبدأ من الأكبر إلى الأصغر، فالمطلب الأوّل:تسخير النّجوم،والمطلب الثّاني:تسخير الشّمس ونتيجة لحركة هذه الكواكب نذكر في المطلب الأخير تسخير اللّيل والنّهار.

- المطلب الأوّل : تسخيـــر النّجـــوم.

ذكر القرآن الكريم النّجوم عدّة مرّات، بمقاصد وفوائد عديدة : كالاهتداء بها في ظلمات البرّ والبحر، وجعلها زينة السّماء ومصابيح ورجوما للشّياطين، وأثر ذلك في توحيد الخالق أمّا سورة " النّحل" فقد ذُكرت النّجوم فيها في موضعين مختلفين،بالإضافة إلى الآية المذكورة سابقا

---

(1) – ســورة النّحل : الآيــة 12.

(2) – أنظر : زغلول راغب النّجار، " ماهية الكون"، مجلة القافلة، السعودية : العدد 7، 1421هـ- 2000م، مج 1، ص : 15،

كقـــوله تعـــالى : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [1]، فما هو تعريف النّجوم ؟ وما هي فوائدها ؟.

أوّلا : تعريف النّجوم وأهمية مواقعها وفوائدها.

أ/- تعريف النّجـــوم :

هي كرات ضخمة من غاز متوهج في السّماء، بعيدة جدا عن الأرض لدرجة أنّها تظهر في حجم رأس دبّوس من الضّوء، وبالرّغم من مظهرها أجرام ضخمة لا يمكن تخيل حجم البعض منها وهي تختلف اختلافا كبيرا في لونها ولمعانها لأنّها تختلف في درجة حرارتها وحجمها.

وتعتبر الشّمس نجما وهي النّجم الوحيد القريب من الأرض[2].

ب/- أهميـــة مـــواقع النّجوم :

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ أهمية النّجوم تكمن في مواقعها لقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [3]، << فعندما يقسم الله تعالى في آياته بشيء ما يريد أن ينبهنا إلى أهمية الأمر،وفي هذه الآية يقسم بمواقع النّجوم ولكنه لم يقسم بالنّجوم ذاتها. إذا فأهمية الأمر تكون في مواقع النّجوم وليس في النّجوم ذاتها، ولقد أثبت العلم الحديث أن النّجوم التي نراها في السّماء ليست النّجوم نفسها ولكنها مواقع النّجوم سابقا قبل سنوات عديدة، فالذي نراه هو ضوء النّجم الذي وصل إلينا من الموقع الذي كان فيه قبل سنوات عديدة لأنّ النّجم يكون قد انتقل إلى موقع آخر >>[4].

ثـــانيا : فـــوائد النّجوم :

أ/- النّجـــوم رجـــوم للشيـــاطين : يعتقد كثير من النّاس أنّ الشّهب وحدها رجوم للشّياطين،لقول الحق تبارك وتعالى في سورة الحجر : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا

---

(1) - سـورة النّحل : الآيـة 16.

(2) – أنظر : الموسوعة العربية العالمية "النّحمة"، ط2، السعودية الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة، 1419هـ-1999م، جـ14، ص : 24.

(3) - سـورة الواقعـة : الآيـة 75-76.

(4) – سمير عبد الحليم ، الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، ط1، دمشق : مكتبة الأحباب، 1421هـ-2000م، ص : 17.

لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ (1).

وقـــوله تعالى في سورة الصّافات : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (2).

ولكن هناك من يرى أنّ الشهب ليست وحدها رجوما للشياطين بدليل أن تبادل المادة بين دخان السّماء، وكافة أجرامها أدرك جانبا من روعة البيان القرآني في الإشارة إلى البروج في آيات سورة الحجر، وإلى الكواكب في آيات سورة الصّافات، وإلى الشهب في كلّ من السّورتين الكريمتين والشهب عبارة عن أجسام صلبة تدخل الغلاف الغازي للأرض بسرعات كبيرة جدا تصل إلى 40 كيلوا في الثّانية تحتك بجزيئات الغلاف الغازي احتكاكا شديدا يؤدي إلى اشتعالها واحتراقها،إمّا احتراقا كاملا أو جزئيا بحيث يبقى من احتراقها بقايا صلبة تعرف باسم النيازك،التي ترتبط بالأرض بشدة بالغة.

فالشياطين في محاولاتهم استراق السّمع في عملية من التّجسس والتلصص على أخبار السّماء الدّنيا على الرّغم من المسافات الشّاسعة التي تفصلها، فهي مرتبطة مع بعضها بالاتزان الدّقيق،بين قوى الجاذبية والقوى الطّاردة والمركزية، على الرّغم من تحركها بسرعات مذهلة في صفحة السّماء، وفي حركات عديدة معقدة تشهد لله الخالق العظيم بطلاقة القدرة وبديع الصنعة(3).

ب/- النّجـــوم زينة السّمـــاء الدّنيـــا :

النّجوم مثل كل البروج والكواكب من خواص السّماء الدّنيا وزينتها لقول الحق تبارك وتعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾(4).

---

(1) - ســـورة الحجر : الآيـــة 16 - 18.

(2) - ســـورة الصافات : الآيـــة 6 - 10.

(3) - زغلول النّجار، فوائد النّجوم، من أسرار القرآن،2005/02/05.

- WWW. islamic medecine. org Zaghlool. 17.htm.

(4) - ســـورة الملك : الآيـــة 5 .

فالنّجوم والبروج (المصابيح)، والكواكب والأقمار هي من أهم الوسائل في إنارة ظلمة اللّيل بأضوائها الذّاتية، والكواكب والأقمار بانعكاس أضواء النّجوم عليها نورا ولولا ذلك لأصبح ليل الأرض حالك السواد، قابضا للأنفس مخيفا مزعجا.

جـ/- الاهتـــداء بالنّجوم في ظلمات البر والبحر :

جعلها الله تعالى واضحة كعلامات ثابتة في السّماء كالجبال والأنهار، يهتدي بها النّاس في ظلمات البر والبحر لقوله -ﷻ- في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

والمعنى لتهتدوا بذاتها، أي : أن الباء للسببية، مثل القول : يكتب بالقلم وأن الهداية حاصلة من ذات النّجوم فيكون ضوؤها ذاتيا صادرا منها[2].

ويقـــول تعـــالى في سورة "النّحـــل" : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[3].

فقد اختص القرآن بالنّجوم دون الكواكب مع أنّها نيّرات مثل النّجوم وضياؤها يصل إلى الأرض مثل ضياء النّجوم في اللّيل، فالعلم الحديث يثبت أنّ النّجوم هي مصدر الضوء الأصلي في السّماء وأمّا ضياء الكواكب غير أصلي بل مكتسب من ضياء النّجوم ولذلك لم يذكر الكواكب[4].

والنّجوم ألوان منها الأزرق والأحمر والأصفر، ومنها ما بين هذه وتلك، وهذه الألوان ما هي إلاّ نتيجة لدرجة حرارة الغازات عند هذه الطّبقات الظّاهرة من النّجوم، فالنّجوم الزرقاء هي الأكثر حرارة، أي الأكبر درجة حرارة، والنّجوم الحمراء هي الأقل حرارة، أي الأصغر درجة حرارة والصّفراء تقع بين هذه وتلك، ودرجات حرارة النّجوم في بواطنها، تعلوا بالطّبع عن ذلك كثيرا[5].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن اختلاف النّجوم في ألوانها النّاتج عن اختلاف درجة حرارتها اللّذين يؤديان إلى اختلاف درجة ضيائها مما يؤدّي إلى تسهيل التمييز بينها من قبل الإنسان واتخاذها علامات للاهتداء.

---

(1) - ســـورة الأنعـــام : الآيـــة 97.

(2) – أنظر : أحمد عمر أبو حجّة، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ط1، بيروت : دار قتيبة، 1991م، ص : 200.

(3) – ســـورة النّحل : الآيـــة 16.

(4) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، مرجع سابق، ص18.

(5) – أنظر : أحمد زكي، مع الله في السّماء، ط1، لبنان، بيروت : دار القلم، 1983م، ص : 81 – 82.

ومن معاني الآيتين الكريمتين السابقتين، أن الخالق سبحانه وتعالى قد رتب النّجوم في مجموعات من الكوكبات (البروج) يمكن بواسطتها تحديد الاتجاهات الأربع الأصلية فما هي أهم النّجوم ؟

1/- النّجـــم القطبـــي :

المعروف باسم القطبية، أو نجم الجدي أو كوكبة الشمال أو مسمار الفلك، وهو نجم ثلاثي من العماليق العظام ويعتبر من أهم النّجوم وألمع نجم في كوكبة الدبّ الأصغر يبعد عنّا مسافة 650 سنة ضوئية.

تبلغ دورته حول محوره حوالي أربعة أيام ولذلك فإنّه يضع دائرة صغيرة جدّا حول القطب الشّمالي لقبة السّماء خلال الدّوران اليومي الظّاهري لها.

ونظرا لدوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشّرق،تبدو القبة السّماوية وكأنّها تدور من الشّرق إلى الغرب،في حركة ظاهريّة بكافة نجومها فيما عدا النّجم القطبي الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى على الامتداد الشّمالي لمحور دوران الأرض فيبدو لنا ساكنا، ويحدد بموقعه اتجاه الشّمال الحقيقي، ومن ثمّ يعين على تحديد الجهات الأربع الأصلية على الأرض وفي صفحة السّماء مما يساعد على التوجه الصحيح في ظلمات البر والبحر، من تحديد للقبلة واهتداء النّفس وفي تحديد غيرها من المواقع والاتجاهات [1].

2/- الشعـــرى اليمـــانية :

هي من ألمع نجوم السّماء، بعد الشّمس، إنّها النّجم الذي أتخذ المصريون القدماء يومه الذي يشرق فيه مع الشّمس، أول العام.

والشعرى اليمانية قدرها فوق النّجم القطبي الذي يعد في المرتبة الثانية، وهذه الأقدار تعرف بالأقدار البصرية الظّاهرة، لأنّها تعرب عن شدّة التماع النّجم كما ينبئ عنه البصر ظاهرا من فوق ظهر الأرض، فهي لا تنبئ عن حقيقة مقدار التماع النّجم حيث هو من السّماء، فَرُبَّ نجم يلتمع شديدا، إنّما يفعل ذلك لقربه منّا، وربَّ نجم أشد في الواقع منه التماعا، يضعف التماعه في أبصارنا لبعده.

والشعري اليمانية تعطي من الضوء ما تعطيه الشّمس 26 مرة. وهي تعطي من الحرارة مقدار يتناسب مع ما تعطي من ضوء فلو أحللناها محل الشّمس لغلت البحار، وتبخرت وبذهاب

---

(1) –زغلول النّجار، فوائد النّجوم، 2005/12/10. WWW. islamic medecine. org Zaghlool. 17.htm -

الماء تذهب الحياة[1].

إضافة إلى هذه هناك نجوم أخرى مثل الثريا، الجوزاء، والثور، تظهر في بعض السنة وتختفي في بعضها فظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع النّاس بما يدل عليه كل واحد منها، وما جعلت الثريا، وأشباهها، تظهر حينا وتحتجب حينا إلاّ لضرب من المصلحة ، فإنّها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها النّاس في البرّ والبحر للطرق المجهولة[2].

- *المطلب الثـــاني : تسخيـــر الشّمس .*

الشّمس آية من آيات الله تعالى، لا تخضع لغير إرادته سبحانه، وهي في نظامها المحكم لا تتبدل مادام هذا الوجود قائما، ولا أحد غير الله تعالى يستطيع تغيير نظامها، لقوله تعالى في سورة يس : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[3]،فهي في حركة مستمرة وليست ثابتة ويقول تعالى في سورة أخرى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[4].

ونذكّر بالآية الكريمة من سورة "النّحل" في قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5].

فالشّمس بكل خصائصها ومميزاتها مسخرة لخدمة الإنسان، وقبل الحديث حول أهمية الشّمس سنتطرق إلى تعريفها :

أوّلا : تعريـــف الشّمس :

<<إنّ القرآن الكريم عندما يتحدث عن الشّمس يصفها بالسّراج. والشّيء لا يقال عنه سراج إلا إذا اجتمع فيه الحرارة والإضاءة وهذا ما يطابق صفة الشّمس التي تبعث الحرارة والنور

---

(1) – أنظر : أحمد زكي، مع الله في السّماء، مرجع السّبق ، ص :177.

(2) – أنظر : ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، ط1، سوريا : دار المعارف، 1416هـ-1996م، ص : 208.

– وانظر : سعيد حوى، الله -جلّ جلاله-، ط3، لبنان، بيروت : 1981م، ص : 103.

(3) – سورة يس : الآية 38.

(4) – سورة نوح : الآية 16.

(5) – سورة النّحل : الآية 12.

إلى الأرض>>[1]، وعلى هذا الأساس فقد عُرّفت الشّمس كالآتي :

<<هي كرة من الغاز المتوهج في وسط المجموعة الشّمسية، وتدور الأرض مع ثمانية كواكب أخرى حولها، وما الشّمس إلاّ واحدة من بلايين النّجوم في الكون لا تتميّز عنها بشيء، ولكنها ذات أهمية بالغة للإنسان تفوق أهمية النّجوم الأخرى>>[2]. فما هي هذه الأهميّة ؟.

ثـــانيا : أهميّـــة الشّمس :

أ/- إرسال الضوء والحـــرارة :

الشّمس مسخّرة بأمر الله تعالى، لإرسال الضوء والحرارة بمقدار محدد وكمية مناسبة لا تزيد ولا تنقص ولا تختل، وإلا تعرضت الأرض للفناء، فلو أعطت الشّمس نصف كمية الاشعاعات التي تعطينا حاليا لتجمدت الأرض بما عليها من كائنات حيَّة، ولو أنّ الكميّة الحالية زادت بالنّصف لاحترقت الأرض، وأمست الموجودات رمادا[3].

ب/- تحريـــك الرّيـــاح :

<< الرّياح تتحرك بواسطة حرارة الشّمس ودوران الأرض حول نفسها حتى تقوم بمهمّتها من حمل السّحب[4]، فعندما تكون السّحب في الجو تعمل على عكس الأشعة الشّمسية إلى الفضاء، وحيث تسقط أشعة الشّمس على الأرض من زوايا مختلفة على مدار فصول السنة فإن ذلك يعمل مع وجود السّحب على تسخين جو الأرض بدرجات متفاوتة، وهذا بدوره يحدث اختلافا في الضغط الجوي، وتكون النّتيجة أنّ الرّياح تتحرك من المناطق ذات الضغط الجوي المرتفع إلى المناطق المنخفضة الضغط محدثة التغيرات التي نراها في الجو[5].

جـــ/- إنـــزال المـــطر :

الشّمس من عوامل إنزال المطر فهي التي تبخّر الماء من المسطحات المائية، وهي التي تجذب

---

(1) – سمير عبد الحليم، موسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 28.

(2) – الموسوعة العربية العالمية، << حقائق مهمّة عن الشّمس>>، مرجع سابق، ص : 249. وانظر : أحمد زكي، مع الله في السّماء، مرجع سابق، ص : 149.

(3) – أنظر : عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدّين الإسلامي : عرض وتحليل لأصول الإسلام، وآدابه، وأحكامه، تحت ضوء العلم والفلسفة، ط1، بيروت : دار العلم للملايين، 1988م، ص : 57. وانظر أحمد زكي، مع الله في السّماء، مرجع سابق، ص : 152. وانظر : عبد المعز خطاب، سورة النّحل وجلائل النّعم، مرجع سابق، ص : 16.

(4) – أنظر : منصور حسب النّبي، الكون وإعجازه العلمي، مرجع سابق، ص : 39.

(5) – أنظر : "موسوعة العربية العالمية"، كيف تؤثر الشّمس على الأرض"، مرجع نفسه، ص : 250.

الرّياح الحاملة لهذا البخار فتجتمع هذه العوامل مع غيرها في إنزال المطر أو الثّلج والماء سرُّ الحياة ويدخل في تركيب المخلوقات[1].

د/- التركيـــب الضـــوئي :

وفي هذه العملية يقوم النّبات بمزج الطّاقة الضّوئية بثاني كسيد الكربون من الجو وبالماء المتوفر في التربة، ليحصل على حاجته من الغذاء، ومن خلال هذه التفاعلات يخرج غاز الأكسجين، وقد تتغذى بعض الحيوانات بهذه النّباتات ، وهذه بدورها تكون غذاء لحيوانات أكبر، وفي النّهاية يتغذى الإنسان بالنّبات والحيوان كما يستنشق الإنسان والحيوان غاز الأكسجين، الذي يحصلان عليه من ناتج عملية التركيب الضوئي في النّبات وفي النّهاية تفرز هذه الكائنات غاز أكسيد الكربون، الذي يعود بدوره إلى النّباتات[2].

هـــ/- معـــرفة عدد الأيّام من الشّهور والسّنين ومواقيت الصّلاة :

1. عـــدد الأيّـــام والشّهـــور والسّنيـــن :

الشّمس تجري بسرعة محدّدة لزمن محدّد وتتوقف عن الجري في مكان محدد، ولقد أثبتت الاكتشافات الفلكية الحديثة بأنّ القمر يدور حول نفسه وفي نفس الوقت يدور حول الأرض كل 29،5 يوم وفي نفس الوقت يدور مع الأرض حول الشّمس كل 365 يوم بينما الأرض تدور حول نفسها كل 24 ساعة، والشّمس تدور حول نفسها كل 25 يوم وتسير بسرعة 250 كلم/ثانية وأيضا في نفس الوقت يدور القمر والأرض والشّمس معا حول مركز المجرّة كل 250 مليون سنة ضوئية تلك هي الحركة المدارية لهذه النّجوم والكواكب التي صرّح بها القرآن منذ 1400 عام، بينما أصبحت الآن فقط من مكتشفات العلم الحديث، وهذا الدّوران يعطي للأرض تعاقب اللّيل والنّهار ويعطي الفصول الأربعة ويعطي أشكال القمر المختلفة خلال الشّهر فنعلم عدد السّنين[3]

قـــال تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[4].

---

(1) – أنظر : ماهو أحمد صوفي، آيات الله في البحار، مرجع سابق، ص : 208.

(2) – أنظر : الموسوعة العربيّة العالمية،"التركيب الضوئي"، مرجع سابق ، ص:250.

(3) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، مرجع سابق ، ص29.

(4) – ســـورة الرّحمن : الآيـــة 5.

2/- مواقيـــت الصّـــلاة :

يقول تعالى في محكم تنزيله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾[1]، العلم الحديث أثبت أنّ كل بلد له مشرق ومغرب، فالشّمس مثلا تشرق عندنا من ناحية الجبل وبعد دقائق تشرق في بلد آخر وبعد دقائق في بلد ثالث، وكذلك بالنّسبة للغروب، وهذا ما يدلّ على أنّ الشّمس لها مشارق ومغارب وكذلك بالنّسبة للصّلاة وللآذان فهي مستمرة في الأرض ليلا ونهارا. إذ أنّ الأرض تدور حول محورها دورة كل 24 ساعة ومحيط الأرض مقسّم إلى 360 خط طول وأن الزّمن الذي تستغرقه الأرض في دورانها أمام الشّمس حين ينتقل الشّروق من خط طول إلى خط آخر هو 4 دقائق أي : ما يعادل الزّمن الذي يستغرقه المؤذّن لأداء الآذان وبذلك تكون كلمة "الله أكبر" تطوف حول الأرض من بلد إلى آخر دون انقطاع إلى يوم القيامة، وقد اكتشف حديثا أن الكعبة تقع في مركز الأرض، والمركز هو النقطة الداخلية التي تقع على أبعاد متساوية في جميع النّقط التي تقع على محيط أي جسم، وأن أشعة النّور الإلهي تنطلق من المركز إلى شتى أنحاء الأرض على محاور متساوية[2].

و/- إرســـال الطّـــاقة :

ظلّت الشّمس المصدر لاحتياجات الإنسان من الطاقة إلى أن عرف الطّاقة النّووية[3]، فالشّمس تصبّ في الفضاء أكثر من أربعة ملايين طن من الطّاقة، لأنّ الطّاقة كالمادة لها وزن، فالضّوء الصادر عن الشّمس يوزن بالملايين، ومن ملايين الأطنان هذه، لاتحصل الأرض إلا على أربعة أرطال في الثّانية أي : 113 طنا في اليوم[4].

فتستفيد النّباتات من طاقة الشّمس في عملية التركيب الضّوئي، وتتغذى الحيوانات بالنّباتات وفي النّهاية يستفيد الإنسان من ذلك بالحصول على ما يلزمه من غذاء وملبس ومأوى.

---

(1) – ســـورة المعـــارج : الآيـــة 40.

(2) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 30.

(3) – أنظر : الموسوعة العربية العالمية، "الشّمس مصدر للطّاقة"، مرجع سابق، ص : 250. وانظر : آن تري هوابت، كل شيء عن النّحوم،ترجمة : إحسان حقي، ط5، دار المعارف، 1981م، ص : 23، نقلا عن : محمد عزّ الدّين توفيق، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، مرجع سابق، ص:175.

(4) – الموسوعة العربية العالمية، مرجع نفسه، ص:250. وانظر : أحمد زكي، مع الله في السّماء، مرجع سابق، ص : 148.
– وانظر : زغلول راغب النّجار، "نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام"، مرجع سابق، ص : 19.

- المطلب الثالث : تسخير اللّيل والنّهار.

اللّيل والنّهار آيتان من آيات الله تعالى في الكون فهو الذّي خلقهما وسخّرهما لنا طوال أيّام الدّنيا وجعل في تعاقبهما، واختلافهما في الذّهاب والمجيء والزيادة والنقصان والضياء والظلمة مآرب كثيرة وسنذكر بعض ما جاء به القرآن الكريم حول الفائدة المشتركة بين اللّيل والنّهار في كونهما وحدتين زمنيتين تتوزع عليهما أعمال الإنسان وبعدها الفوائد الخاصّة باللّيل ثم الفوائد الخاصة بالنّهار.

أوّلا : الفوائد المشتركة بين اللّيل والنّهار.

أ/- الذّكر والصّلاة :

1 - الذّكر : الذكر من العبادات التي يجب على الإنسان أن يلازمها في جميع فترات يومه لقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَانِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾[1].

ويقول ابن كثير في هذا الصدد : <<إنّ الله تعالى لم يفرض عبادة إلاّ جعل الله لها حدّا معلوما، ثمّ عذر أهلها في حال العذر، غير الذّكر، فإنّ الله تعالى لم يجعل له حدّا ينتهي إليه، و لم يعذر أحدا في تركه إلاّ مغلوبا على تركه>>[2].

2 - الصّلاة : سخّر الله تعالى اللّيل والنّهار ليقوم الإنسان بأداء الصّلاة فوزّع الصّلوات الخمس المفروضة على مدار اليوم لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[3].

والحكمة من ذلك ربط الإنسان بربّه ليلا ونهارا وتنبيهه إذا غفل أو أخطأ وتطهيره حسيا ومعنويا.

3 - الإنفاق :

لم يغفل القرآن الكريم عن أي جانب من جوانب الحياة ونعمه تحيط بالإنسان فجعل اللّيل

---

(1) – سورة الأنبياء : الآية 42.

(2) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، جـ3، ص : 496.

(3) – سورة هود : الآية 114.

والنّهار مجالا فسيحا ليقوم العبد فيه بمختلف أعمال الخير ومن بين هذه الأعمال الإنفاق لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]. وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: <<هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات، من ليل أو نهار.. حتّى إنّ النّفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضا>>[2].

ويقول البيضاوي[3] : << أي يعمّون الأوقات والأحوال بالخير>>[4].

ويقول صاحب منهاج السنّة النّبويّة : << أنّ الآية عامّة في كلّ من ينفق بالليل والنّهار، سرّا وعلانية، فمن عمل بها دخل فيها.. وإنّ الآية تدلّ على الإنفاق في الزمانين اللّذين لا يخلو الوقت عنهما، وفي الحالين اللّذين لا يخلو الفعل منهما، فالفعل لا بدّ له من زمان، والزّمان إمّا ليل وإمّا نهار، والفعل إمّا سرٌّ وإمّا علانية>>[5].

ثـــانيا : تسخير اللّيـــل : الآيات التي وردت عن تسخير اللّيل والنّهار بدأ الله تعالى فيها باللّيل ثم ذكر النّهار ذلك أنّ اللّيل محلّ السّكون والنّهار محلّ الحركة، وسنوضّح بعض النّعم الّتي يجنيها الإنسان من جرّاء هذا اللّيل.

أ/- النّـــوم : لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾[6]، فآية اللّيل جعلها الله -ﷻ- نعمة عظمى لسائر الأحياء وبالأخصّ الإنسان-ليقظوا راحتهم في اللّيل من متاعب الحياة وعمل النّهار.

---

(1) – سـورة البقرة : الآيـة 274.

(2) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ1، ص : 574.

(3) – هو عبد الله بن عمر بن محمد علي الشيرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدّين البيضاوي، ولد سنة 685هـ، 1286م، قاض مفسّر، ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، وولي قضاء شيراز ورحل إلى تبريز فتوفي فيها، من مولفاته : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوي)، طوالع الأنوار، منهاج الوصول إلى علم الأصول. أنظر : الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق، جـ4، ص : 248.

(4) – ناصر الدّين أبو الخير عبد الله الشّيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت : دار الفكر، 1982م، جـ1، ص : 573.

(5) – أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنّة النّبويّة، تحقيق : محمد رشاد سالم، موسّسة قرطبة، 1406هـ، جـ7، ص : 29.

(6) – سـورة الفرقان : الآيـة 47.

ب/- **السَّكَـــنُ** : لقـــوله تعـــالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ (1)، والسَّكَنُ في اللّغة يشمل << كل ما سكنت إليه، واطمأننت به، من أهل وغيره >>(2).

ثـــالثا : تسخير النّهار : سخّر الله تعالى النّهار للإنسان كما سخّر اللّيل مدّة حياتنا، وحدّ النّهار عند الفقهاء من صلاة الصّبح إلى صلاة المغرب، ذلك أنّ صلاتي الظّهر والعصر نهاريتان، وصلاتي المغرب والعشاء ليليتان << ووقت الصّبح مستقل لا من اللّيل، ولا من النّهار >>(3).

أ/- الابتغـــاء من فضل الله تعـــالى :

لقـــوله تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (4).

وقـــوله كذلك : ﴿ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (5).

ذهب المفسّرون إلى أنّ الابتغاء من فضل الله تعالى معناه : التصرُّف في المعاش وطلب أسبابه بالأسفار ونحوها(6).

فقد جعل الله تعالى النّهار للحركة والعمل والاسترزاق، ولا يكون العمل في اللّيل إلاّ للضرورة.

ب/- الإبصـــار :

لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (6).

---

(1) – ســـورة الأنعـــام : الآيـــة 96.

(2) – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، جـــ3، ص : 2052.

(3) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـــ6، 318.

(4) – ســـورة الإســـراء : الآيـــة 12.

(5) – ســـورة المزمّـــل : الآيـــة 20.

(6) – أنظر : ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، جـــ5، ص : 14. وانظر : القرطبي، الجامع لأحكام، مرجع نفسه، جـــ1، ص : 228. وأنظر : الزمخشري، الكشّاف، مرجع سابق، جـــ2، ص : 652. وانظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي، مرجع سابق، جـــ3، ص : 35. وانظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق،جـــ4، ص : 284. وانظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير : الجامع بين فنّي الرواية والدارية من علم التفسير، ضبط وتصحيح : أحمد عبد السّلام، ط1، لبنان، بيروت : دار الكتب العلميّة، 1415هـــ-1994م، جـــ3، ص : 212.

وقـــوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

هذه الآيات فهمها البعض على الحقيقة فيكون مبصرا صفة للنّهار أي : "مضيئا"[2]، وفسّرها الطّبري[3]، على أنّ الإبصار أضيف إلى النّهار مجازا : "وإنّما يبصر فيه"[4].

وكون النّهار مبصرا سواء على الحقيقة أو المجاز، إنّما هو لمصلحة العباد وذلك ليتصرّفوا فيه << في المعايش والمكاسب والأسفار، والتّجارات، وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها >>[5].

جـ/- النّشـــور :

لقولـــه تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾[6].

في تفسير النّشور قولان : أحدهما : تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عبّاس.

والثّاني : تنشر الرّوح باليقظة كما تنشر بالبعث[7]، حكاه الماوردي[8]، وفي روح المعاني : << وجعل النّهار نشورا >> أي : << تنتشرون فيه لطلب ضروریاتكم >>[9].

---

(1) – ســـورة النّمـــل : الآيـــة 86.

(2) – أنظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جـــ3، ص : 515.

(3) – هو : محمد بن جرير بن يزيد الطّبري، ولد سنة 224هـــ- 839م، في آمل بطبرستان، مؤرخ ومفسّر وإمام، استوطن ببغداد، وتوفي بها عام 310هـــ-923م، من مؤلفاته "أخبار الرّسل والملوك" الذي يعرف بتاريخ الطّبري، في 11 جزءا وجامع البيان في تفسير القرآن، الذي يعرف "بتفسير الطبري" في 30 جزءا. أنظر : الزّركلي، الأعلام، مرجع سابق، مج6، ص : 69.

(4) – الطّبري، تفسير الطّبري، مرجع سابق، جـــ11، ص : 140.

(5) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) – ســـورة الفرقان : الآيـــة 47.

(7) – أنظر : ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، جـــ6، ص : 94.

(8) – هو أبو الحسن علي بن محمد 974هـــ-1058م، فقيه، ذكروا أنّه كان أقضى قضاة عصره، له دور في رسم المفهوم السني لسلطة الخليفة، من أشهر آثاره : الأحكام السلطانية، أدب الدّنيا والدّين، وسياسة الملك. أنظر : منير البعلبكي، موسوعة الموردة، ط1، بيروت : دار العلم للملايين، 1981م، مج6، ص : 214.

(9) – الآلوسي ، روح المعاني، مرجع سابق، جـــ9، ص : 56.

- المبحث الثـــاني : تسخيـــر الأرض.

بعدما ذكرناه حول تسخير الكون من نجوم وشمس وليل ونهار ننتقل في هذا المبحث إلى التسخير الأرضي ونقصد بذلك كلّ من القمر باعتباره تابع للأرض في المطلب الأوّل وبعدها تسخير البحار والأنهار في المطلب الثّاني أمّا المطلب الثّالث حول تسخير الجبال.

- *المطلب الأوّل : تسخيـــر القمـــر :*

القمر كغيره من المسخّرات السّالفة الذّكر أوجده الله تعالى بقدرته وكمال صنعه ليسخّره للكائنات الأرضية وسندرس في هذا المطلب القمر من حيث تعريفه وفائدته.

أوّلا : تعريـــف القمـــر :

القمر تابع للأرض يبلغ ربع قطر الأرض تقريبا، وتبلغ مساحته 38 مليون كيلو متر مكعب، وتقدّر جاذبيته بسدس جاذبية الأرض، والقمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري يتراوح نصف قطره بين 356 ألف و 407 ألف كيلو متر، ويستغرق القمر نفس المدّة الزّمنية في دورانه حول محوره ليدور دورة كاملة حول الأرض في 27،5 يوم [1].

ثـــانيا : أهميـــة القمـــر :

يستفاد من القمر في حركة المدّ والجزر، ومعرفة عدد السّنين، كما يستفاد من نوره وله تأثير على النّواحي النّفسية للإنسان.

أ/- المـــدّ والجـــزر :

<< إنّ القمر هو المسؤول عن المدّ والجزر للمحيطات، ويعتبر المدّ هو تقدم وارتفاع مياه البحار لبضعة أمتار ثمّ ينخفض ويحدث ذلك مرّتين في اليوم، أمّا حينما يبلغ القمر هيئة البدر التّام فيزداد تأثيره ويصبح المد والجزر أكبر من المعتاد فمثلا من المحتمل أن يصل الفرق بين منسوبي المدّ والجزر إلى نصف متر في عرض البحر بينما يصل إلى 2م على شواطئ الجزُر.

ولا بد من الإشارة إلى أن حركة المدّ والجزر لم يعرف سببها العلمي إلا في القرن الثّامن

---

(1) – أنظر : زغلول راغب النّجار، " نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام"، مجلة القافلة، مرجع سابق، ص : 18.

عشر على يد العالم "نيوتن"[1] الذي ربطها بتأثير جاذبية القمر>>[2].

ب/- معـــرفة عـــدد السّنيـــن :

قـــال -جل جلاله- في محكم تنزيلـــه : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[3]. وقوله كذلك في سورة يونس : ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[4].

قدّر الله تعالى القمر منازل ينزل كلّ ليلة في واحدة منها لا يخطئها أبدا، وهذه المنازل ثمان وعشرون منزلة معروفة، تسميها العرب بأسماء نجومها المحاذية لها وهي كالآتي :

السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذارع، النثرة، الطرفة، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك، الأعزل، الغفر، الزبانا، الإكليل، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشاء. فهذه ثمان وعشرون منزلة،[5]، والقمر ينزل كل ليلة في واحدة منها، لأنّ القمر يظهر في ثماني وعشرين ليلة ويختفي ليلتين إذا كان الشّهر ثلاثين يوما، ويختفي ليلة واحدة إذا كان الشّهر تسعة وعشرين يوما[6].

جـــ/- تأثير القمر على الكائنات الحيـــة :

للقمر تأثير على الإنسان والكائنات الحية، فقد أثبت العلم الحديث أن نسبة الانتحار ترتفع عندما يكون بدرا، وكذلك التوتر العصبي يزداد في حالات الأمراض النّفسيّة والعقلية كما أنّ النّباتات تنمو بسرعة والأسماك التي تعيش في أعماق البحر تصعد على سطحه عندما يكون القمر بدرا[7].

---

(1) – هو إسحق نيوتن من مواليد سنة 1643م بانكلترا ، رياضي وفيزيائي يعتبر من أبرز وجوه الثورة العلمية في القرن السّابع عشر ومن أعظم العباقرة في تاريخ العلم الحديث، وضع النظرية الجسيمية في الضّوء، وقانون الجاذبية العام، وقوانين الحركة من أشهر مصنّفاته "علم البصريات"، توفي عام 1727م. أنظر : منير البعلبكي ، موسوعة المورد، مرجع سابق ، جـ7، ص : 125.

(2) – سمير عبد الحليم ، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق ، ص:32.

(3) – سـورة يس : الآيـة 39.

(4) – سـورة يـونس : الآيـة 5.

(5) – أنظر : عبد الله بن عبد القادر التّليدي، كتاب دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون، ط1، لبنان بيروت : دار ابن حزم، 1420هـ-1999م، ص : 286.

(6) – أنظر : عفيف عبد الفتاح طبارة، تفسير روح القرآن الكريم، جـ23، ص : 26 – 27.

(7) – أنظر : الموسوعة العلميّة في الإعجاز القرآني، المرجع نفسه، ص : 32.

- المطلب الثّاني : تسخير البحار والأنهار.

تشغل المسطحات المائية نحو << ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية >>[1] وهي تمثل قوام الحياة بالنّسبة للإنسان والحيوان والنّبات ومن هنا لازم الإنسان منذ أن وجد على سطح الأرض، مواطن المياه العذبة، كالينابيع والأنهار والبحيرات وفي هذا المطلب تخصّ البحار والأنهار من بين هذه المسطحات من حيث تسخيرها للحياة ابتداء بما اختص به البحر من نعم وبعدها ما اشترك به مع الأنهار.

أوّلا : تسخير البحار :

ذكر الله -جلّ شأنه- في كتابه الكريم البحر في تسع وثلاثين آية تحدّث فيها عن قدرته وعلمه وتسخيره للبحار وسنبين تسخيرها من ناحية تنوّع مياهها.

أ/- اختلاف مياه البحار :

لقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[2].

أقرّ العلماء بأنّ هناك حاجزا يفصل بين البحرين وهذا الحاجز نوع ثالث من المياه تختلف في درجة الحرارة والكثافة والملوحة والمعادن، وهذا الحاجز له القدرة والخواص التي تمنع أحد البحرين أن يختلط بالبحر الآخر وتحجزه حجزا رغم أنّهم لم يلمسوا قانونا مائيا يمنع اختلاط المياه بعضها مع بعض[3].

وقوله تعالى أيضا في سورة الرّحمن : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾[4].

يقصد بالبحر "اللّجي" العميق بمعنى : أنّ البحر العميق قسّم قسمين سطحي وسفلي ويفصل البحر الأوّل السفلي عن البحر العلوي "السطحي" موج مثل الموج الذي نراه بأعيننا في البحر اللّجي العميق السفلي المفصول عن البحر السطحي.

يختلف عنه في الحرارة، والكثافة، وفي نسبة الأملاح، وفي الحيوانات المائية فهو مختلف عنه

---

(1) – موسوعة المحيطات والبحار والأنهار، "البحار"، موسى أحمد خليل، ط1، الأردن، عمان : دار أسامة للنّشر والتوزيع، 2002م، ص : 3.

(2) – سورة الرحمن : الآية 19 – 20.

(3) – أنظر : ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، مرجع سابق، ص : 59.

(4) – سورة النّور : الآية 40.

في كل شيء [1]، وهذه الاختلافات تعود على الإنسان بالفائدة.

فالبحار قسّمت أوطانا وشعوبا كما قسّمت اليابسة أو طانا وشعوبا، وفي النّهاية فإنّ أوطان وشعوب اليابسة تؤلف مجتمعا انسانيا واحدا، وهكذا البحار في النّهاية تؤلف بحرا عاما هائلا قد احتوى على أجزاء لكل جزء منه أسراره الخاصّة وطريقته في الحياة، وربما هذا لزيادة التّنوع في كلّ شيء من الحيوانات المائية، والأعشاب ودرجة الحرارة، والملوحة، والكثافة، والمعادن، والأحجار الكريمة[2].

فهو تنوع رباني حافظ الله عليه بوجود الحواجز بين البحار ليسخّره للإنسان.

ب/- اختلاف مياه البحر المالح عن العذب :

لقولـــه تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾[3].

الآية الأولى من سورة الرحمن قصد الله تعالى بها البحرين المالحين أمّا هذه الآية قصد الله بها البحرين المالح والعذب. فالمتأمل للبحار المالحة يجد أنّها أعظم وأكبر حجما من الأنهـــار لكنـــها لم تؤثر على الأنهار خلال ملايين السّنين.

والسّبب في ذلك أنّ الله تعالى وضع بين البحرين المالح والعذب حاجزين : الأوّل حاجز من نوع ثالث من المياه، والثّاني الحجر المحجور : وهو مصب الأنهار، فهما لا يلتقيان والحاجز موجـــود بعد المصب، يحجز مياه الأنهار أن تدخل بالمياه المالحة والعكس، ولولا هذا الحاجز لأصبحت ميـــاه الأنهار مع مرور السّنين مالحة أمّا "الحجر" فالمقصود به المكان الذي تنزل به مياه الأنهار فحجرها الله تعالى وجعلها مكانا معزولا عن البّحر.

أمّا "المحجور" يقصد به المكان المعزول والمخصوص على حياة أنواع سمكية وحيوانية خاصّة بمنطقة مصبّات الأنهار[4].

وممّا تقدم يتضح لنا تنوّع مياه البحار الذي يؤدّي بدوره إلى تنوّع النّعم فما هـــي فوائـــد البحر ؟

---

(1) – أنظر : ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، مرجع سابق، ص 65.

(2) – أنظر : ماهر أحمد صوفي، المرجع نفسه، ص 66.

(3) – ســـورة الفرقـــان : الآيـــة 53.

(4) – أنظر : ماهر أحمد صوفي، المرجع نفسه، ص : 67.

جـ/- فـوائد البحـر :

البحر فيه منافع كبيرة سخّرها الله تعالى لخدمة الإنسان ماديا ومعنويا لقوله تعالى في سورة النّحـل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]، تتميّز البحار عن الأنهار بـبعض النّعم نذكر بعضا منها :

1 - تسخيـر الثروات المعدنيـة :

هناك ثروات معدنية تترسب على شواطئ البحار والمحيطات أمام دلتا الأنهار كالتبر والماس واللّؤلؤ والمرجان المستخدمة في الزّينة، ومناجم المنجنيز والفوسفور في قاع البحر وحقول البتـرول الممتدة تحت الرّصيف القاري في أماكن بحرية كثيرة وكذلك الرّمال المشعّة التي تحتوي على معادن المنجنيت والزركون والمونازيت[2].

2 - تسخيـر طاقة المدّ والجزر :

تنتج التيارات المتعلقة بالمدّ والجزر عن انتفاخ كتلة مياه المحيط استجابة لجاذبية القمر والشّمس. ويتسارع تدفق المياه المتواصل عندما ينضغط بين كتلتي اليابسة على ضفتي المحيط، وهذه ليست الطّريقة الوحيدة التي تبرز بها طاقة المحيطات القابلة للاستغلال[3].

ثـانيا : الفوائد المشتركـة بين البحار والأنهار :

يقول تعالى عن البحار والأنهار في سورة فاطر : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4].

اختلاف البّحرين العذب الفرات والملح الأجاج، معجزة الله الخَلقية في فصل البحار المالحة عن العذبة بحواجز مائية من نوع ثالث قد سبق الحديث عنها.

---

(1) - سـورة النّحـل : الآيـة 14.

(2) - أنظر : منصور حسب النّبي، الكون والاعجاز العلمي للقرآن، مرجع سابق، ص : 191.

(3) - أنظر ماهر أحمد صوفي، أيات الله في البحار، مرجع سابق، ص : 80.

(4) - سـورة فـاطر : الآيـة 12.

لكن في هذه الآية يبين الله قدرته ونعمه بأنّ فرق المياه فجعل منها الأنهار العذبة ممّا نشربه ونسقي به الزّرع والحرث، والماء المالح في البحار والمحيطات وخلق فيهما ما شاء ونوّع في خلقه.

فمن عظمة هذا الخلق أن جعل لنا منافع في البحر كما لنا في النّهر منافع، وسنبيّن بعض النّعم المشتركة بين البحر والنّهر، ومن النّعم المشتركة الواضحة في الآية نعمة اللّحم الطّري.

أ/- تسخيـــر اللّحـــم الطّـــري :

الحيوانات المائية تعد مصدرا أساسا من مصادر الرّزق للإنسان. وقد عبّر القرآن الكريم عن السّمك باللّحم الطّري " إشارة إلى قلة عظامه بالنّسبة لما يصطاد من الأنعام"[1] و"وصفة بالطّراوة لسهوله أكله"[2]، وفي هذا الوصف إيذان بكمال قدرته في خلقه فأخرج العذب الطّري من الماء المالح[3].

وخيرات اللّحم الطّري وحدها لو استغلت استغلالا جيّدا لسدّت حاجة البشريّة[4] بأكملها إذ يكفي أن نعلم أنّ أنواع الأسماك في البحار تبلغ من ثلاثين ألف نوع[5]، و "السّمك أكثر الحيوان نسلا"[6]، فتضع الأنثى الواحدة من بعض الأسماك ما يقرب من 3 إلى 5 ملايين بيضة في المرّة الواحدة [7].

وحكمة ذلك أن يتسع لمن يتغذى به من أصناف الحيوان ولو رأى الإنسان ما في البحر والنّهر من ضروب الحيوانات، التي لا يحصيها إلاّ الله ولا يعرف الإنسان منها إلاّ القليل، لعلم سعة ملك الرّحمن وكثرة جنوده الّتي لا يعلمها إلاّ هو.

---

(1) – الآلوسي، روح المعاني، مرجع سابق، جـ13، ص : 111.

(2) – عبد الحميد محمود طهماز، التوحيد والشّكر في سورة النّحل، ط1، بيروت : الدار الشامية، دمشق : دار القلم، 1415هـ-1994م، ص : 90.

(3) – أنظر : الآلوسي، المرجع نفسه ، جـ14، ص:122.

(4) – فريد مصطفى سليمان، منهج القرآن الكريم في إثارة الأرض وعمارتها، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدّين، مصر أسيوط : 1399هـ-1979م، ص : 45.

(5) – أنظر : عبد العليم عبد الرحمن خضر، الماء والحياة بين العلم والقرآن، ط1، دار السّعودية، 1985م، ص85.

(6) – ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السّعادة، مرجع سابق، جـ1، ص : 80.

(7) – أنظر : فريد مصطفى سليمان، مرجع نفسه، ص : 80.

ب/- البحـــار والأنهار سُبُل للتّنقل :

لقـــوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾[1]، وقوله كذلك في سورة النّحل ﴿وسبلا﴾، أي وجعل فيها سبلا أي : طرقا تسلك من بلاد إلى بلاد[2].

فالبّحار والأنهار تقرّب القارات والمدن من بعضها البعض وذلك من خلال ظاهرة الطّفو المتعلقة بتسخير البحار والأنهار بما أودع في الماء من خواص مذهلة، فإنّ ظاهرة الطّفو الخاص بالأجسام على سطح الماء ظاهرة مألوفة لنا، وندركها في طفو السّفن على سطح الماء طبقا لقانون الطّفو الذي يقضي بألا يغوص من السفينة، إلاّ ما يكفي لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السّفينة وحمولتها، فإذا زادت الحمولة غاص من السّفينة جزء جديد وإذا نقصت الحمولة نقص الغاطس منها[3] <<ولولا فضل الله علينا لما قدر للأشجار وما فيها من خشب أن يكون قانونها الكثافي أقل من قانون كثافة المياه لتستطيع أن تطفو على سطح الماء>>[4] ولولا سنته هذه ما كان هناك للسفن هندسة ولا صناعة.

- المطلب الثـــالث : تسخيـــر الجبـــال.

جاء ذكر الجبال في القرآن الكريم بلفظها في نحو تسع وعشرين آية[5]، لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾[6]، وبوصفها رواسي نحو عشر آيات[7] لقوله تعـــالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[8].

فإذا كان القرآن الكريم يذكر الجبال بهذا العدد الهائل فما هي فوائد الجبال ؟.

---

(1) – ســـورة النّحل : الآيـــة 14.

(2) – أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط1، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1365هـ-1946م، جـ13، ص : 62.

(3) – أنظر : منصور حسب النّبيّ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، مرجع سابق ، ص:191.

(4) – ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، مرجع سابق ، ص:168.

(5) - أنظر : حسن با حفظ الله "الجبال أوتادا"، مجلة الإعجاز، العدد 1، ص : 47.

(6) – ســـورة النّحل : الآيـــة 81.

(7) – أنظر : زغلول النّجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ط1، لبنان : مكتبة الشّروق الدّولية 2000م، جـ3، ص : 19 – 20.

(8) – ســـورة لقمـــان : الآيـــة 10.

أوّلا : الجبال بيـــوت :

لقوله تعالى في سورة الحجر : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾[1] وقوله في سورة هود : ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾[2].

اتخذ الإنسان الجبال حصونا وقلاعا منيعة فجعلها حماية له من الأعداء والحيوانات. ومن منافع الجبال أنّها تنحت منها الحجارة للبناء، والدّارس لجيولوجية الصّخور يعلم أن تكوين الصخر أمر اشتركت فيه عوامل كثيرة، فالصّخور الرّسوبية مثلا التي منها الحجارة البيضاء القابلة للنحت، اشترك في تكوينها تجمع الرّواسب بعد مرورها بعدّة مراحل، ولولا تهيئة تلك العوامل مجتمعة، وتنسيق فاعليتها جميعا لتؤدّي إلى نتيجة واحدة مصمّمة كما أرادها الخالق القدير سبحانه وتعالى. وقد أثبت العلم أنّ الحجارة الجبلية خاصة المتخذة في عمارة البيوت تضمن الاحتفاظ بالحرارة الدّاخلية من دون تسرب البرد بسبب نقلها البطيء للحرارة وبهذا تختلف عن البيوت المتخذة من الأسمنت[3] ومن ثم يفهم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾[4].

فكانت الكهوف والمغارات في الجبال مأوى للإنسان وملجأ له في عصوره الأولى ولم يكن يعرف فن البناء بعد ليدرأ عن نفسه غوائل الطّبيعة من البرد والحرّ والمطر والسّيول. وكل هذا رحمة من عنده سبحانه وتعالى.

ثـــانيا : الجبـــال الرّواسي

لقـــوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[5].

فالآية الكريمة تبين لنا دور الجبال بالنّسبة للأرض. فقد جعلها الله تعالى مثبتات لها حتّى لا تضطرب فهي كالأوتاد فيقول صاحب "فتح القدير" في تفسير قوله تعالى : ﴿ والجبال أوتادا ﴾[6]،

---

(1) – سـورة الحجـر : الآيـة 82.

(2) – سـورة هـود : الآيـة43.

(3) – أنظر : محمد جمال الدّين الفندي، الله والكون، مرجع سابق ، ص:218.

(4) – سـورة النّحل : الآيـة 81.

(5) – سـورة النّحـل : الآيـة 15.

(6) – سـورة النّبـأ : الآيـة 7.

الأوتاد جمع وتد أي : جعل الجبال أوتادا للأرض، لتسكن ولا تتحرك كما يرسي البيت بالأوتاد[1].

وقـــال القرطبي : << أي : لتسكن، ولا تنكفئ، ولا تميل بأهلها >>[2].

وقـــال صاحب البحر المحيط : << أي : ثبتنا الأرض بالجبال كما ثبت البيت بالأوتاد >>.

وقد لاحظ العلماء أن امتداد الجبال في باطن الأرض يزيد عن ارتفاعها فوق سطحها[3] << بأربع مرّات ونصف تقريبا داخل طبقات الأرض السّفلى >>[4].

والآيات القرآنية في إرساء الأرض بالجبال كثيرة كما ذكرناه في بداية المطلب، و لم تعرف هذه الحقيقة إلا منذ ثلاثة عقود فقط، فتمزق الغلاف الصخري بشبكة الصدوع يقسم ذلك الغلاف إلى عدد من الألواح واللوحات التي تطفو فوق نطاق الضّعف الأرضي وتتحرك مع دوران الأرض حول محورها حركة سريعة متزلقة فوق نطاق الضّعف الأرضي، كما تتحرك باتساع قيعان البحار والمحيطات واندفاع ملايين الأطنان من الطفوح والمتداخلات النّارية عبر صدوعها لتدفع قيعان تلك البحار والمحيطات تحت كتل القارات ممّا يجعلها تميد وتضطرب بصورة لا تسمح لتربة أن تتجمع، ولا لماء أرضي أن يخزن، ولا لنبتة أن تخرج، ولا لعمران أن يقام، ولا تهدأ هذه الحركة إلاّ بتكون الجبال التي تثبت بامتداداتها العميقة كتل القارات في قيعان البحار والمحيطات وإذا تلاشى قاع البحر الفاصل بين قارتين فإنّهما تصطدمان مكونتين أعلى السلاسل الجبلية على حافة القارة الراكبة، فتقوم الامتدادات العميقة للجبال ويربط كتلتي القارتين المتصادمتين.

وتتوقف حركتهما في هدوء بالعمران كما حدث في ارتطام شبه القارة الهندية بالقارة الآسيوية وتكوّن جبال الهمالايا، وهي من أحدث السلاسل الجبلية وأعلاها ارتفاعا فوق سطح البحر[5].

فالسبب الأوّل والرئيسي لحفظ توازن الأرض هو الجبال باعتبارها أوتادا للأرض تحفظها في مكانها وتحفظ عليها حركتها.

---

(1) – أنظر : الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، جـ5، ص : 452.

(2) – القرطبي، جامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ19، ص : 171.

(3) – أنظر : عبد الرّزاق نوفل، الآيات العلمية، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ص : 57. وانظر محمد سيد أحمد المسيّر، الإلهيات في العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص : 31. وانظر : عبد المعزّ خطّاب، سورة النّحل وجلائل النّعم، مرجع سابق، ص : 22. وانظر : ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، مرجع سابق، ص : 144.

(4) – رفيق أبو السعود، إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن، دار المعرفة، 1991م، ص : 46. نقلا عن داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، مرجع سابق، ص : 169.

(5) – أنظر : زغلول النّجار ، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص : 19 – 20.

المبحث الثالث : تسخير الماء .

- تمهيـــــد :

الماء هو النّعمة الكبرى والمنّة العظمى الّتي أنعم الله بها على بني البشر فمنه خلقهم، وبه أقام حياتهم وقدّر أرزاقهم.

والمخلوقات تسخّر بعضها بعضا، فكل مخلوق مسخر لغيرة، وغيره مسخر له، فالماء والتّربة وعناصرها وغير ذلك تجتمع لتخدم النّبات، وهذه تجتمع لتخدم الحيوان، وكذلك هذه تجتمع لتخدم الإنسان، وكل هذا بدايته من الماء.

وسنوضح في المطلب الأوّل تسخير الماء للحياة عامّة،وفي المطلب الثّاني تسخير الماء للإنسان،أمّا المطلب الثّالث أتحدث فيه عن تسخير الماء للنّبات وذلك حسب الترتيب القرآني الوارد في الآية من سورة النّحل.

- المطلب الأوّل : تسخيـــر المـــاء للحيـــاة.

لما كان الماء على أكبر جانب من الأهمية في حياة كل من الإنسان والحيوان والنّبات على حد سواء، وعليه يتوقف استمرار الحياة على ظهر هذه الأرض أو اختفاؤها منها لقوله تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1]، فإن رحمة الله بعباده أدّت إلى تنويع مصادر المياه للإنسان نذكر منها ماء الأمطار، ماء الأنهار، وماء البحر، مرّكزين في ذلك على الخواص الطّبيعية والكيميائية لكل منها :

أوّلا : مـــاء المطـــر :

وهو أنقى أنواع الماء الطّبيعي وأقلها إحتواء للشوائب ففي المناطق الريفية لا يحتوي ماء المطر إلا على بعض الغازات الذّائبة مثل ثاني أكسيد الكربون والأكسجين والأزوت حيث يتم امتصاصها داخل الماء أثناء هبوطه من طبقات الجو المختلفة، أمّا في المدن فيكون ماء المطر أقل من ذلك نقاء ويحتوي دائما على ذرات من التّراب ومركبات الكبريت وغيرها من أبخرة المصانع والشّوائب الأخرى التي تنتشر في سماء المدن[2].

---

(1) – سـورة الأنبيـاء : الآيـة 30.

(2) – أنظر : محمّد رشاد الطوبي، وجعلنا من الماء كل شيء ط1، القاهرة : دار المعـارف، ص : 10، وانظـر : سمـير عبـد الحليم ، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 62.

ثـانيا : ميـــاه الأنهـــار والينـــابيع:

تحتوي على كميات متفاوتة من المواد الصّلبة الموجودة في التّربة التي تجري فيها تلك الأنهار أو تتدفق منها الينابيع، ومن أهم هذه المواد أملاح الكالسيوم التي يؤدي وجودها إلى "عسر الماء" إذ أنّ مثل هذا الماء لا يتفاعل مع الصّابون.[1]

ثـالثا : مـــاء البحـــر :

وهو الماء المالح الذي يملأ بحار العالم، ويحتوي على ما يقرب من 35 في الألف من المواد الصّلبة الذّائبة فيه، وأهمها كلوريدات وسلفات وكربونات الصّوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم، ونسبة هذه الأملاح المعدنية الذّائبة مرتفعة تماما، وهي تعني أنّنا إذا أخذنا لترا واحدا من ماء البحر فإننا نستطيع أن نحصل منه عن طريق التبخير على ما يقرب من 35 جراما من تلك الأملاح[2].

والواقع أن البحر هو أهم هذه المصادر على الإطلاق، إذ تستمد منه جميع المصادر الأخرى كل محتوياتها من الماء، فعندما يتبخر ماء البحار والمحيطات بفعل حرارة الشّمس تتكون منه السّحب المحملة ببخار الماء، ومن هذه السحب تتكون الأمطار التي تسقط على أماكن متفرقة من سطح الأرض، فتمتلئ الأنهار العديدة بهذه النّعمة التي تتدفق فوق سطح الأرض في مختلف الإتجاهات، أو يتسرب إلى باطن الأرض، حيث تتكون منه خزانات الماء ومن هذه الخزانات تتفجر الينابيع الطّبيعية أو الآبار الصّناعية على حد سواء. ورحمة الله بعباده جعلت للماء خصائص لتسهيل تسخيره نذكر منها :

- << جميع الوسائل تهبط إلى الأسفل بفعل الجاذبية، إلا الماء فهو يصعد إلى فوق ضد الجاذبية وبفعل الخاصة الشعرية، فهو يصعد في جذوع الأشجار ولولا ذلك لما ظهر النّبات على سطح الأرض>>[3]. قـــال تعـــالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾[4].

- جميع الوسائل تنكمش بالبرودة ويزداد وزنها، إلاّ الماء فهو يزداد حجما بالبرودة ويخـــف وزنـــه،

---

(1) – أنظر : محمد رشاد الطوبي، وجعلنا من الماء كل شيء حي، ص : 11.

(2)– أنظر : محمد رشاد الطوبي، المرجع نفسه، ص : 11-12.

(3) – سمير عبد الحليم، المـــوسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق ، ص : 64.

(4) – ســـورة النبـــأ : الآيـــة 14-16.

لذلك أمكن للجليد أن يطفوا على سطح البحر ويحفظ المياه تحته دافئة بواسطة العزل فتكون بذلك صالحة لحياة الأسماك تحت الجليد، ولولا ذلك لماتت الكائنات البحرية في فصل الشّتاء وتحولت البحار إلى جماد[1].

- الماء يمكن أن يوجد في المكان الواحد من الأرض على هيئته الثلاث : البخار – السائل – الصلب.

- الماء هو السائل الوحيد الذي يستطيع أن يأكل الحديد والصّخر ومعظم المركبات المعروفة تذوب في الماء.

- الماء قادر على تخزين الحرارة فمثلا يظل الماء ساخنا في حوض الحمام ساعات قبل أن يعود إلى البرودة بينما قضيبا من الحديد يمكن أن يبرد في ثوان.

- الماء له ميزة التماسك السطحي هذه الظّاهرة الّتي اكتشفت مؤخّرا وقد سبق أن تحدثنا فيها. وهي مختصة بوجود حاجز بين بحرين مالحين أو بين بحر مالح ونهر عذب.

- الماء يتبخّر من البحار ثمّ يعود إليها من جديد بشكل أمطار وبنفس الكمّية لا ينقص ولا يزيد.

- الماء هو النّحات اليومي الذي يشكل التضاريس ويحفر مجاري الأنهار[2].

هذه نبذة موجزة عن أهم الخصائص والصّفات الطّبيعية والكيميائية للماء وهي المادة البسيطة الّتي لولاها لما كانت هناك حياة على ظهر الأرض، وهي في الواقع من أهم النّعم الّتي أفاضها الله سبحانه وتعالى على جميع المخلوقات.

– المطلب الثاني : تسخير الماء للإنسان.

ذكرنا في المطلب السّابق دور الماء للحياة عامة وفي هذا المطلب سنذكر تسخير الماء للإنسان، فما هو دور الماء في خلق الإنسان ؟ وما هي إحتياجات جسم الإنسان للماء وما هي فوائده ؟.

أوّلا : خلق الإنسان من ماء :

لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾[3] وقوله كذلك : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ

---

(1) – أنظر : هارون يحي، خلق الكون، ط1، لبنان : 2003م، ص : 140.

(2) – أنظر : سمير عبد الحليم، ، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، مرجع سابق، ص : 64.

(3) – سورة الفرقان : الآية 54.

مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[1].

نجد أنّ الله -جلّ ثناؤه- وتعالت قدرته جعل مصدر حياة الإنسان يرجع إلى ما أودعه الله من سر في الماء.

فذهب جمهور العلماء إلى أنّ الماء المذكور في الآية الأولى هو ماء النطفة التي تحمل صفات الإنسان وهي المسؤولة عن هيئته الخَلقيّة[2]، مستدلين في ذلك بالآية الثّانية كما احتمل البعض أن يكون المقصود بالماء أصل الخلقة، والذي كانت به الحياة[3] كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾[4].

ثـــانيا : إحتياجات جسم الإنسان للماء :

حدّد علماء التغذية إحتياجات جسم الإنسان أو أي كائن آخر نسبة من المواد الأساسية، وهي : البروتينات، والدّهون، والكربوهيدرات، (السكريات والنّشويات)، والأملاح المغذية، والفيتامينات، والماء أبسط هذه المواد وأكثرها انتشارا في الطّبيعة وأرخصها ثمنا على الإطلاق فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يوضح أن تلك المادة البسيطة هي أهم هذه المواد[5] وأكثرها ضرورة لاستمرار الحياة بل إنّها الأساس في دنيا الحياة والأحياء، فالبدن البشري لا يمكن أن يعيش من دون ماء سوى أربعة أيام وحاجة البدن اليوميّة تتراوح بين 2-3 ليترات من الماء، وقد تزيد بفرط التّعرق وفقد السوائل إلى عشرات الليترات، والجسم يحافظ على المقدار الملائم بشكل لا يزيد ولا ينقص لفترة عشرات السّنوات بفضل الكليّة لأنّها تنظم مقدار الإمتصاص والإحتفاظ وبالتّالي يبقى الجسم في الوضع السّوي[6].

---

(1) – سـورة الطّارق : الآيـة 05-07.

(2) – أنظر : الزمخشري، الكشّاف، مرجع سابق، حـ3، ص : 226. وانظر : الرّازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، حـ24، ص : 101. وانظر : الطاهر بن عاشور، التّحرير والتنوير، مرجع سابق، حـ19، ص : 55.

(3) – أنظر : الرّازي، مرجع نفسه، الصّفحة نفسها. وانظر : أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، حـ6، ص : 507.

(4) – سـورة النّور : الآيـة 45.

(5) – أنظر : فوزي أحمد عبد الصّمد، "العلم والقرآن"، مجلة منار الإسلام، الإمارات العربية : العدد5، 1415هـ-1995م، ص : 20. وانظر : محمد رشاد طوبي، وجعلنا من الماء كل شيء حي، مرجع سابق، ص : 55.

(6) – أنظر : خـالص جلبي ، الطب محراب للإيمان، مرجع سابق، حـ1، ص : 69.

ثـالثا : فـوائد الماء للإنسان :

للماء دور هام في جسم الإنسان فهو يساعد على تنشيط الكليتين بالجسم وتنظيم درجة حرارته، ويقوم بدور الوسيط في كثير من العمليات الكيميائية داخل الجسم وينقل الغذاء إلى أنسجة الجسم المختلفة.

ويعتبر الماء منظف داخلي للجسم، فيذيب وينقي ويستخرج السّموم من الدّم، ويساعد في علاج إلتهابات الفم والأسنان والتهابات المعدة والأمعاء وجفاف الأطفال.

ويعتبر كذلك مهدئ ومزيل للتقلصات عن طريق حمامات المياه الدّافئة ومنشط للدّورة الدّموية من خلال تعرّض الجسم للماء السّاخن والبارد بالتبادل بمختلف السّوائل، ومخفض للحرارة عن طريق شرب السّوائل والحمامات الباردة السّريعة أو عمل الكمادات الباردة[1].

- المطلب الثـالث : تسخيـر المـاء للنّبـات .

الثّابت علميا أنّ وجود الماء على الأرض ظهر في الأوّل ثم بعد ذلك ظهر النّبات ثم خلق الإنسان[2]. وهذه الحقيقة العلميّة سبق الإشارة إليها في القرآن الكريم لقوله تعـالى : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [3].

وتأكيد على أهميّة الماء للنّبات ودور النّبات في حياة الإنسان جاء قوله -جلّ ثناؤه- في سورة النّحل : ﴿ هو الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4].

فقوله تعـالى في الآيتين الأخيرتين : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ يقصد منها أنّ ماء المطر الذي أنزله سبحانه وتعـالى ليسقي به النّبات الذي ترعون فيه، وكذلك ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ

---

(1) - من فوائد الماء، 2005/12/26 . WWW . alquma net vb/show vb/show thread. h.ttp

(2) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 129.

(3) – سـورة عبس : الآيـة 25-30.

(4) – سـورة النّحل : الآيـة 10-11.

﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[1]. وهذا ما سنبينه في هذا المطلب فما هي أهمية الماء للنّبات ؟ وما هو دور النّبات في حياة الإنسان ؟.

أوّلا : أهميـــة المـــاء للنّبـــات :

أولى القرآن الكريم موضوع الماء في النّبات غاية الأهميّة، فالأمطار التي تنزل على سطح الأرض وتتسرب إلى باطنها يرتوي منها النّبات على اختلاف أشكاله وأنواعه عن طريق المجموعات الجذرية، وتكون تلك الجذور، الّتي تمتد في باطن الأرض لمسافات قريبة أو بعيدة – هي حلقة الاتصال بين النّبات والماء الذي يرتوي منه هذا النّبات[2]. والنّبات يستطيع النّمو بعيدا عن التّراب مما يثبت أنّ النّبات يتغذى من الماء وليس من التّراب[3].

ثـــانيا : دور النّبـــات في حيـــاة الإنسان :

ذكرت الآيات السّابقة من سورة النّحل دور ماء المطر في إنبات النّبات عموما في قوله تعـــالى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[4]، يقصد به النّبات الذي ترعون فيه أنعامكم ودوابكم، وفي الآية الثّانية قوله : ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[5]. ذكر بعض أنواع النّبات لأهميتها في حياة الإنسان، وسنفصل في تبيين بعض أنواع النّباتات المذكورة في الآية الكريمة.

أ/– تسخيـــر الزّيتـــون :

لقد تكرر ذكر كلمة زيت وزيتون في القرآن الكريم 7 مرّات وذلك لأهميته فكان قســـمه تعالى في القرآن العظيم لقوله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[6].

---

(1) – سورة النّحل : الآيـــة 11.

(2) – أنظر : محمد رشاد الطوبي، وجعلنا من الماء كل شيء حي، مرجع سابق ، ص : 133.

(3) – أنظر سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 63.

(4) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 10.

(5) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 11.

(6) – ســـورة التّيـــن : الآيـــة 01-02.

وإلى جانب القرآن الكريم جاءت السنّة الشّريفة لتؤكد الأهميّة البالغة لهذه الشّجرة المباركة فأوصى رسول الله -ﷺ- باستعمال زيت الزّيتون فقال : [***كلوا الزّيت وادهنوا به فإنّه من شجرة مباركة***][1].

<<ويحتوي زيت الزّيتون على الكثير من المواد الكيماوية الحيّة والمعادن (كالسيوم – بوتاسيوم – فوسفور – كبريت – حديد – نحاس). والبروتين والكثير من الفيتامينات (A.B.C.D.E) والكار وتين >>[2].

وقد اكتشف الباحثون حديثا فوائده الكثيرة لجسم الإنسان فهو يغذي الدّماغ والذاكرة ويقوي الذكاء ويخفض نسبة الكوليسترول الضار في الدّم (LDL). ويرفع من الكوليسترول المفيد (LDL)، ويحمي الأطفال من تقوس السّاق وشلل الأطفال ويساعد على نمو العظام لاحتوائه على الفيتامين (د) ويمنع تخثر الدّم ويفيد الوقاية من الجلطة القلبية والسّرطان. مفيد لمرض السّكري وارتفاع ضغط الدّم، مفيد للأمراض الجلدية والصدف والأكزيما[3].

ب/– تسخيـــر النّخـــل :

لقوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾[4]، ونذكّر بالآية من سورة النّحل : ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ﴾[5] كلمة النّخل والنّخيل تطلق على الجمع والمفرد، هذه الشّجرة تهب الإنسان الملبس والمسكن ومنافع أخرى كثيرة ومن أهم ما تعطيه للإنسان التّمر وهو ذو أهميّة بالغة من خلال ما يبينه العلم الحديث ونذكر بعض مكوّنات التّمر وأهميتها الغذائيّة والعلاجيّة للإنسان .

1– البيتوسيـــن : هرمون بالرّطب يقوم بالعمل وعكسه في آن واحد طبقا لحاجة الجسم فهو يزيد من الطلق في الحوامل عند الولادة، إذا كان بـــاردا ويقلـــل منـــه إذا كـــان حاميًـــا،

---

(1)– أخرجه ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الزيت، رقم الحديث 3320، تحقيق وتعليق : محمد فـؤاد عبـد البـاقي، ج2، ص : 1103.

(2) – سمير عبد الحليم، الموسوعة العلميّة في الإعجاز القرآني ، مرجع سابق، ص : 117.

(3)– أنظر حسّان شمسي باشا، الزيتون بين الطّب والقرآن، تقديم : علي الطنطـاوي، ط1، الجزائـر : المنـارة، دار الفكـر، 1991م، ص : 93.

(4) – سـورة مريـم : الآيـة 25–26.

(5) – سـورة النّحل : الآيـة 11.

ويجعله متوازنا مع درجات إكتمال الحمل وساعات الولادة، فهو أكبر مساعد للوضع[1].

2/- الفوسفـــور : الذي يدخل في تركيب العظام والأسنان وهو الغذاء للحجيرات النبيلة في دماغ الإنسان، وهي حجيرات التناسل والتفكير، لذا ينصح الأطباء المفكرين بجعله في طعامهم حتّى لا يصاب العقل بالإجهاد المبكر.

3/- السكريـــات : يحوي التّمر نسبة من السّكريات وهي سريعة الامتصـــاص والتمثيل لا تحتاج إلى عمليات هضم ولا إلى عمليات كيميائية معقدة مثل الدّهون والنّشـــويات، ويعتبر السّكر الموجود في التّمر من أفضل أنواع السّكريات حيـــث لا يســـبب ضـــررا لكـــثير من المصابين بمرض السّكر عند تناوله.

4/- البروتينات : التي تقوم بعمليّة البناء فهي التي تبني خلايا الجسم وتجدد ما يبلى منها.

5/- الفيتامينـــات : يحتوي التّمر على فيتامين (أ) وهو موجود بنسبة عالية تعادل نســـبه في أعظم مصادره، أي تعادل نسبه في زيت السّمك والزّبدة.

ومن فوائد هذا الفيتامين أنّه يحفظ رطوبة العين وبريقها، ويقوي الأعصاب البصرية. أمّـــا الفتامين (ب) يمنع جفاف الجلد وتكسر الأظافر.

6/- المـــانيزيـــوم : للوقاية من أمراض السّرطان.

- كما أنّ التّمر مهدئ للأعصاب يقطع السّعال ويمنع ارتفاع الضّغط[2].

وفي الأخير يمكننا القول : التّمر ذو أهميتين علاجية وغذائيّة من خلال ما بينه علماء الطّب والأغذية.

جـ/- : تسخيـــر الأعنـــاب :

ذكر القرآن الكريم العنب والأعناب في مواطن عديدة عدا سورة النّحل نذكر منها قوله تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾[3]، ويحتوي العنب 77% ماء، 1% بروتين، 0,5% أملاح معدنية، 21% مواد سكرية. كما يحتوي على فيتامينات، (سي)، (أ)، (ب)، ومعادن منها : الكالسيوم، الفوسفور، البوتاسيوم والحديد.

---

(1) – أنظر : محمد كامل عبد الصّمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، مرجع سابق، ص : 147.

(2) – سمير عبد الحليم، الموسوعة العلميّة في الإعجاز القرآني ، مرجع سابق، ص : 113.

(3) – ســـورة يس : الآيـــة 34.

ومن فوائده أنّه ينقي الدّم وينشّط الكلى، يفيد المصابين بفقر الدّم والحوامل والمرضعات لوجود عنصر الحديد.

ويأتي العنب في مقدمة الفاكهة الّتي تمد الجسم بالحرارة والطّاقة. فكيلو غرام واحد منه يعطي الجسم طاقة تعادل 615 وحدة حرارية، وعصير العنب معدل للسّموم في الجسم ومرطّب.

والعنب يؤكل عند النّضج أو يجفّف ويستخرج منه الخل والدبس[1].

ومجمل القول أن الفاكهة نعمة من نعم الله على الإنسان فهي من الأشياء الضّرورية في غذائه، لما تحتويه من الفيتامينات والألياف النّباتية والأملاح المعدنية والغذاء الجيد هو سر من أسرار العافية ودوام الصّحة كما أنّ الغذاء الجيّد المتوازن المحتوى على الفاكهة هو دواء طبيعي يمثل حماية وقائيّة من أمراض مختلفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) – أنظر مشيد سعدة، الغذاء وصحة الإنسان، الجزائر. عين مليلة : دار الهدى، ص : 282-283 .

المبحث الرّابع : تسخيـــر الحيوانات.

أبرز القرآن الكريم القيمة الكبرى التي يعطيها الإسلام للثروة الحيوانية ودورهـــا في حيـــاة الإنسان والدّليل على ذلك أنّه سبحانه سمى سورة باسم الحيوان ألا وهي سورة الأنعام.

وهذا ما سندرسه في هذا المبحث الذي عنوناه بتسخير الحيوانات بادئين في ذلك بإعطاء نظرة عامّة حول أهمية الثروة الحيوانية في حياة الإنسان والهدف من تسخيرها، والمطلب الثّاني نذكر فيـــه فوائد الأنعام، أمّا المطلب الثّالث : تسخير الحيوانات للنّقل.

- المطلب الأوّل : الثروة الحيوانية والهدف من تسخيرهـــا :

قبل أن نفصّل في الآيات القرآنية الّتي تشير إلى تسخير الأنعام والدّواب لا بد لنا من نظـــرة عامّة حول هذه الثّروة الطّبيعية.

فما هي أهمية الثروة الحيوانية ؟ وما هو الهدف من تسخيرها ؟.

أوّلا : أهميّـــة الثّروة الحيـــوانية :

للثروة الحيوانية أهميّة بالغة في حياة الإنسان، فالرّغم من انتشار الآلات الإنتاجية في جميع مرافق الحياة إلاّ أنّ تربية الحيوانات تبقى متصدرة لقائمة المنتوجات من حيث الأهميّة في حياة الإنسان، لأنّها من مصادر الغذاء ولا حياة من دونها، كما أنّ الإكتفاء الذّاتي في مجالي الزّراعة والثّروة الحيوانية يعتبر الدعامة الرّئيسية لضمان الإستقلالين الإقتصادي والسّياسي إلى حد كبير.

وقد أعطت التعاليم الإسلاميّة أهميّة خاصة للإنتاج الحيواني بالحث والترغيب لخوض غمار هذه العمليّة المعطاءة. فقد عرضت الآيات القرآنية بلحن مشوق حركة الأنعام ومنافعها للترغيب فيها وسيأتي بيانه في المطالب الآتية. ونسوق بعض الرّوايات التي تخص موضوعنا وما جاءت به من تلميحات فروي عن الرسول -ﷺ- أنّه قال لعمته : [***اتخذي غنما فإن فيها بركة***][1]، وقوله أيضا : [***يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم***][2].

---

(1) – أخرجه ابن ماجة، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، رقم الحديث 2304، مرجع سابق، ج2، ص : 773.

(2) – أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبـــال، رقـــم الحـــديث 106، مرجع سابق، ج4، ص : 258.

ويقول محمد الغزالي[1] في هذا الصدد << إنّ الصّورة التي ذكرها القرآن الكريم في ترقية الإنسان ليست صورة " أفندي" جالس على مكتبه يصدر الأوامر، وإنّما هي صورة فلاح يذهب إلى الحقل تتبعه ماشيته، ثمّ يعود، وهو لها مالك ولها مزدان ولها مسخّر إنّ هذا متاع عظيم >>[2].

وإذا كانت هذه الكلمات حول أهميّة الثروة الحيوانية فما هو الهدف من تسخير الله تعالى الأنعام للإنسان ؟.

ثانيا : الهدف من تسخير الثروة الحيوانية :

الهدف من تسخير الله تعالى الحيوانات للإنسان هو الشّكر له سبحانه، والهدف من النّعم المادية في عمومها هو التكامل المعنوي، فالإنسان الذي يفتقر لضّرورات الحياة من مأكل يسد جوعه ومأوى يأوي إليه ليحميه من حر الصّيف وبرد الشّتاء، من الصّعب عليه السّعي من أجل بناء كيانه المعنوي بتنمية علمه وإيمانه وتقواه، أمّا الذي استطاع أن يتجاوز ضرورات حياته، باستطاعته الوصول لما هيئ له.

وضرورات الحياة تشبه الطّاقة بالنّسبة للآلة فحينما تزوّد الآلة بالطّاقة تصبح مهيأة للعمل فعمل الآلة هو الهدف بينما الطّاقة ضرورة الهدف فالآلة لم تصنع لتبتلع الطّاقة إنّما صنعت لكي تنطلق، وكذلك الإنسان لم يأت إلى الحياة لكي يأكل ويشرب وينام وإنّما أتى إلى الحياة وفرضت عليه تلك السّنن لكي يسمو بروحه ويعرج في مدارج الكمال الإنساني، لتحقيق إستخلافه وتحقيق التوحيد والشّكر لله سبحانه وتعالى.

- المطلب الثّاني : فوائد الأنعام.

يشير القرآن الكريم إلى نعمة خلق الأنعام وما تدر من فوائد للإنسان فيقول تعالى في سورة يس : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا

---

(1) – هو من مواليد 1917م بقرية "نكلا العنب" بمصر، أحد دعاة الإسلام، ورجال الإصلاح، درس بالمعهد الديني بالأسكندرية، ثم تخرج من كلية أصول الدّين، اتصل بالإمام البنا وبدأ الكتابة، تخصص في الدّعوة اعتقل سنة 1948م، وخرج بعد سنة ثم انتقل إلى أم القرى ثم إلى الجزائر ليعمل بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وبعد سبع سنوات عاد إلى مصر له عدة مؤلفات منها : الإسلام والأوضاع الإقتصادية، نظرات في القرآن، المحاور للقرآن الكريم. أنظر : يوسف القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته، القاهرة : دار الشروق، 1420هـ-2000م.

(2) – محمد الغزالي، سورة النحل، 13-12، 2004م. – www. Balagh . com/ mosoa/ tafsir/ htm

﴿ رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[1].

ولهذه الآيات ما يقابلها في سورة النّحل لقوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2].

وفي آية أخرى من نفس السّورة يقول -جل جلاله- : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾[3].

وقوله سبحانه وتعالى في موضع آخر من السّورة الكريمة : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾[4].

اعتمادا على هذه الآيات نركز دراستنا في هذا المطلب على بعض فوائد الأنعام للإنسان. فما هي هذه الفوائد ؟

أوّلا : نعمة البيوت :

أمتن الله علينا بنعمة البيوت لنسكن فيها لقوله تعالى : ﴿ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾، فهي مواطن للراحة والسّكينة ومأمن من الخوف والبرد والحر. وكل هذا سخّره الله تعالى لنا من جلود الأنعام.

ثانيا : الأثاث والمتاع :

جعل الله تعالى من أصواف وأوبار وأشعار الأنعام أثاثا ومتاعا ممّا يحتاجه الإنسان من أفرشة وأغطية وأواني ولوازم العيش عامّة، وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ أي : ليتمتع الإنسان بها فترة معينة إلى حين يصنع غيرها ممّا هو أحسن منها.

---

(1)- سورة يس : الآية 71-73.

(2) - سورة النّحل : الآية 05.

(3) - سورة النّحل : الآية 80.

(4) - سورة النّحل : الآية 66.

ثـــالثا : نعمـــة اللّبـــن :

جعل الله تعـــالى الأنعام ينابيع خالصة لتدفق الحليب[1] لقوله تعـــالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾[2].

الآية الكريمة توجه أنظارنا إلى الإعتبار بما في قدرة الله تعـــالى من إبداع في خلقه وروعة في صنعه وتسخيره ذلك لعباده، فما هي الكيفيّة التّي يخرج بها اللّبن ؟ وما هي مكوّناته ؟ وماهي فوائده ؟.

أ/- كيفيّـــة خـــروج اللّبن :

جعل الله تعـــالى اللّبن يخرج من بين فرث ودم، وهذا يوضح ما كشف عنه علم وظائف الأعضاء في الأجسام حيث وجد أن الأنزيمات الهاضمة تحوّل الطّعام إلى فرث يسير في الأمعاء الدّقيقة، حيث تمتص العروق الدّموية المواد الغذائيّة الذّائبة من بين ذلك الفرث فيسري الغذاء في الدّم، حتّى يصل إلى الغدد اللّبنية، وهناك تمتص الغدد اللّبنية (التي سيكون منها اللّبن) من بين الدم فيتكون اللّبن الذي أخرج من بين فرث أولا ومن بين دم ثانيا[1].

ب/- مكـــوّنـــات اللّبـــن :

يحتوي اللّبن على المواد التّالية :

المعـــادن : أهم المعادن الموجودة في اللّبن الصّديوم والكالسيوم، والمغناسيوم، والبوتاسيوم.

المواد البروتينية : وهي نوعين وتمتاز المركّبات البروتينية الموجودة في اللّبن بأنّها كاملة التّكوين.

الفيتامينات : يحتوي على جميع الفيتامينات وأكثرها على الخصوص فيتامين " أ "، " ب "، "ب^2"، "ب^{12}"، "هـــ". كما يحتوي على المواد الدّهنية.

جـــ/- فـــوائد اللّبـــن :

اللّبن يعالج الأرق وتصلب الشّرايين، ويطهّر الأمعاء من الجراثيم والغازات ويقوي المناعة والعظام والأسنان، وهو مفيد للصّدر والرّئة، ويقاوم سرطان الكولون، ويعتبر اللّبن غذاء وعلاجا لمرضى الكبد، حيث يتكون اللّبن من مادة "اللاكتوز" الّتي تمنع امتصاص بعض المواد بالأمعاء التي

---

(1) – بديع الزّمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة : إحسان قاسم الصّالحي، ط2، شركة سوزلر 1992م، ص: 489.

(2) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 66.

(3) – أنظـــر : عبد المجيد عزيز الزّنداني، كتاب توحيد الخالق، مرجع سابق، ص : 21.

تكون سببا في حدوث الغيبوبة الكبدية[1].

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول أن العلم البشري كلّه عاجز حتّى الآن على أنّ يستي الإنسان اللّبن، هذا الإنسان الذي وصل إلى القمر عاجز على صناعة جرعة صغيرة أو كوبا من اللّبن.

رابعـــا : نعمـــة اللّحـــوم :

لقوله تعـــالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2]، فالمقصود من قوله تعـــالى : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي : تأكلون من لحوم الأنعام والأنعام هي البقرة والإبل والماعز والضأن، وهذا يؤدّي إلى تنوّع اللّحوم إلاّ أنّها عموما تتفق في تركيبها فاللّحوم تتكون من المواد البروتينية والمواد الدّهنية والجليكوجين والكرياتين والكرياتينين الموجود في العضلات والمخ والدّم والبيورين وتشمل مادتين هما : الزانتين والهيموزانتين.

أما فيها يخص الأملاح المعدنية الموجودة في اللّحم هي كلور الصديوم، وأملاح البوتاسيوم وأملاح الفوسفور.

فاللّحوم تلعب دورا في تغذية الجسم البشري من حيث تكوين خلايا وأنسجة وترميم ما تهدم من هذه الخلايا والأنسجة[3].

- المطلب الثـــالث : تسخيـــر الحيـــوانات للنّقـــل .

إضافة إلى النّعم التي ذكرت حول تسخير الله تعالى الأنعام للإنسان وتذليلها له من أصواف وأوبار والألبان ولحوم وغيرها من النّعم جاءت الآيات لتؤكّد أنّ هذه الحيوانات مذلّلة مسخّرة بقدرة الله تعالى للحمل والرّكوب، ونفصل في هذا المطلب بين نوعين من وسائل النّقل وهما الإبل والدّواب كما سنوضّحه.

أوّلا : تسخيـــر الإبـــل.

إنّ اهتمام القرآن الكريم بهذا المخلوق ليس عبثا وإنّما لإعجاز كبير في معيشتها وأسرار

---

(1) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلميّة في الإعجاز القرآني ، مرجع سابق، ص : 117.

(2) -- سـورة النّحل : الآيـة 5 .

(3) – مشيـد سعـدة، الغذاء وصحة الإنسان، مرجع سابق، ص : 226-227.

في خلقها تدعو الإنسان إلى التّأمل العميق، لذا فهي من بين أخصّ الأنعام لفتا لنظر الإنسان واستثارة دهشته وإعجابه وهي بحق معجزة إلهية كبرى من معجزات الخالق العظيم، الذي قال لافتا النّظر إليها في كتابه العزيز : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[1] . لهذه الأهمية نحاول إظهار جانب من جوانب أسرار خلقه في الإبل وبناء على تلك الأسرار في خلقها تتضح لنا الفائدة من تسخيرها للإنسان.

أ/- أسرار خلق الإبـــل : من خلال ما توصل إليه العلم الحديث تكشّف لنا أنّ الإبل يحمل مميّزات عجيبة لا نجدها في حيوان آخر، فالإبل لا يطلب الماء في الشّتاء ويستطيع أن يعرض عنه لمدّة شهرين متتاليين كما أنّه يتحمّل العطش في قيظ الصّيف لمدّة أسبوع أو أكثر يفقد خلاله ثلث وزنه، وعندما يجد الماء يتجرع منه كمية كبيرة يستعيد بها وزنه في دقائق معدودة، والجمل لا يختزن الماء في كرشه بل أثبت العلم الحديث أنّه يحتفظ بالماء في أنسجة جسمه ويقتصد في استهلاكه فمن ذلك مثلا أنّه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يفرز من جسه إلاّ العرق القليل وذلك لأنّ حرارة جسمه تكون شديدة الإنخفاض في الصّباح ثمّ ترتفع إلى أكثر من 6 درجات وعندئذ لا بد من إفراز العرق القليل لتخفيضها وبإمكان الإبل الإقلال من صرف الماء في الصّيف بتساقط الكثير من الوبر الصّوفي، ولا يبقى فوق ظهره إلا قدر ضئيل من الوبر، ويعمل الوبر على انعكاس مقدار كبير من ضوء الشّمس، ممّا يؤخر انتقال الحرارة إلى الجلد[2].

كما تحافظ الإبل على شهيتها تحت ظروف العطش الشّديد، وترعى عندما تفقد 25% إلى 30% من وزنها. وتستطيع الإبل شرب ماء أكثر ملوحة من ماء البحر، وتستطيع تناول نباتات ذات ملوحة مرتفعة ومرارة شديدة بصورة قد تكون سامة بالنّسبة للحيوانات الأليفة الأخرى.

الجمل يستطيع حمل 5 طن تقريبا ويسير 30 ميل في اليوم بسرعة 3 أميال في السّاعة، فالإبل يتميّز بصفات تمكّنه من أن يكون من سفن الصّحراء ؛ فالعينان ترتفعان فوق الرّأس وتريان إلى الخلف والمنخران والأذنان يكنفهما الشّعر للوقاية من الرّمال فإذا هبت العاصفة أنقفل المنخران[3].

---

(1) – ســورة الغاشيــة : الآيــة 17.

(2) – أنظر : سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص : 125.

(3) – أنظر : محمد كامل عبد الصّمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، القرآن الكريم، مرجع سابق، ص : 159 وما بعدها.

وأمّا الأقدام فهي منبسطة في صورة خفاف تمكن الإبل من السّير فوق الرّمال النّاعمة وللحمل ككل وسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكّنه من الرّقود فوق الأرض السّاخنة في الصّحراء.

ب/- تسخيـــر الإبل للحمل.

لقوله تعـــالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

فجملـــة : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ : الضّمير فيها إلى أشهر الأنعام عندهم وهي الإبل[2] المعنى : وتحمل الإبل أحمالكم إلى بلد لم تكونوا واصلين إليه لو لم تخلق الإبل إلاّ بجهد ومشقّة لأنّكم ستضطرون أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم في الحج والعمرة والغزو والتّجارة وما جرى مجرى ذلك فخفّف الله عنكم بأن خلقها لكم تستعملونها أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل[3].

ثـــانيا : تسخيـــر الدّواب.

انتقلت الآيات من الإبل الرّواحل إلى الدّواب المراكب لقوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

اقتصر منّة الرّكوب على الخيل والبغال والحمير، ولم يذكر الحمل عليهما كما قال في شأن الأنعام ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ لأنّه لم تكن من عادتهم الحمل على الخيل والبغال والحمير، فالخيل كانت تركب للغزو والصّيد، والبغال تركب للمشي والغزو والحمير تركب للتنقل في القرى وشبهها[5].

وقوله تعـــالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إشارة إلى ما خلق الله من مخلوقات لا يعلمها إلاّ

---

(1) – ســـورة النحـــل : الآيـــة 07.

(2) – ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج13، ص : 106.

(3) – أنظر : سعيد حوى، الأساس في التفسير، طـــ5، دار السّلام، 1999م، مج6، ص : 2917.

(4) – ســـورة النحـــل : الآيـــة 08.

(5) – انظر : ابن عاشور، المرجع نفسه، جـــ 19، ص : 107.

هو ولا يملك تسخيرها إلا هو، إذ لا تخضع لسلطان الإنسان ولا تستجيب لعلمه[1]. فقدرته سبحانه تتسع لما كان ولما يمكن أن يكون والآية مفتوحة لتستوعب كل الوسائل التي توصل الإنسان إلى صنعها **بهداية الله تعالى وتوفيقه، كالسّيارات والطّائرات والقطارات وغيرها** من المراكب التي يمكن أن **يتمكّن الإنسان من صنعها في المستقبل، فالله سبحانه هو خالقها وحده، لأنه** هو الذي أبدع النّواميس التي تسير هذه المركبات بمقتضاها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) – أنظر : عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني، مرجع سابق، مج 13، ص : 271.

المبحث الخامس : تسخير النّحل.

كرّم الله سبحانه النّحل ورفع قدره على كثير من مثله من المخلوقات، وتمثل تكريم الله -جلّ وعلا- للنّحل بتخليد ذكره بأن جعل سورة في القرآن الكريم باسمه، وهي سورة النّحل الذي نحن بصدد دراستها، وهي درجة في التكريم ما بعدها تكريم.

وذكر القرآن الكريم للنّحل يقصد به كل ما هو متعلق بالنّحل وهو مسخر لخدمة الإنسان، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث : من حيث حياة النّحل والحكمة من خلقها، ومكونات العسل، وفوائدة.

- المطلب الأوّل : حياة النّحل والحكمة من خلقها :

نبّه الله تعالى الإنسان أن يقتدي بالنّحل في مراعاته لوحي الله -عزّ وجلّ-، لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾[1].

فكما أنّها لا تتخطى وحي الله تعالى في تحري المصالح طوعا كذلك يجب على الإنسان أن لا يتخطى وحي الله اختيارا.

وهذا ما سنوضحه في هذا المطلب ابتداء بتبيين معنى الوحي وبعدها ندرس مضمون هذا الوحي التي عملت النّحل على اتباعه وطاعته سواء كان ذلك في اتخاذ مكان بيوتها أو كيفية بنائها، أو شكل غرفها، أو نظام عملها، أو جمعها للرحيق.

أوّلا : معنى الوحي :

في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[2]، ومعنى الوحي هنا الإلهام، يقول الزمخشري في هذا المعنى : << الإيحاء إلى النّحل : إلهامها، والقذف في قلوبها، وتعليمها على وجه أعلم... في صنعتها، ولطفها في أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بيّنة على أن الله أودعها علما بذلك، وفطنها، كما أولى أُولي العقول عقولهم >>[3].

---

(1) – سورة النّحل : الآية 68-69.

(2) – سورة النّحل : الآية 68.

(3) – الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص 594.

فالإيحاء هنا الإلهام والإرشاد أو التسخير.

ثـــانيا : اتخـــاذ البيـــوت.

لقـــوله تعالى : ﴿ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ...﴾[1].

فالترتيب الوارد في الآية يحكي تاريخ حياة النّحل على الأرض إذ أنّها اتخذت في أوّل أمرها بيوتها في الجبال، واستمرت أجيالا من الزّمان حتّى نزلت إلى الشّجر تقيم فيه بيوتها، ثمّ استأنسها الإنسان وأقام لها الأعراش عندما توصل إلى معرفة إنتاجها من العسل.

وهكذا يقرر علم التاريخ الحشري أن القرآن الكريم قد سبقه بإيراد هذه الحقيقة العلمية في تاريخ حياة النّحل.[2]

ثـــالثا : كيفية بنـــاء البيـــوت.

النّحل عندما يريد اتخاذ بيت، تجد حشدا هائلا منه يحط على المكان الذي وقع عليه الاختيار وينقسم الحشد إلى جماعات عديدة، الجزء الأكبر منها، يقوم بتنظيف الأرض وإزالة القش وذرات الرّمل أو الورق الزّاوي من الأشجار، فالنّحل نظيف إلى درجة الشطط.

وبعد تحديد المكان وتنظيفه تقوم نحلة واحدة من الشغالين بتحديد موقع الغرفة الأولى التي تتصل بها باقي الغرف، كل غرفة مع غيرها، فهذا النّحل هو من طبقة العمال المثالية أو النحاتين فهي لا تنتج شمعا، وإنّما تقوم بالحساب الرياضي لإنشاء وتحديد مكان وعدد الغرف الملكية، ثم الغرف الكبيرة المخصصة لتربية الذكور وخزن الطعام، ثم يقيم النحل ما يمكن أن يسمى بغرف الانتقال للوصل بين الغرف الكبيرة والصغيرة، كما أنّ الممرات والمماشي في الخلية تحقق كل أهداف الطرق، باختصار في الطول. كما توجد فتح في كل اتجاه، إلا أنّها تحول دون اختلاط درجات الحرارة المختلفة الموجودة في كل قطاع من الغرف[3].

رابـــعا : شكـــل غـــرف البيـــوت

تبني النّحل غرف بيوتها على شكل مسدس كيلا يضيق المكان على رفقائها لأنّها تزدحم

---

(1) – ســـورة النّحل : الآيـــة 68.

(2) – أنظر : عبد السلام القباني، "آية النّحل"، مجلة الهداية، القاهرة : ج1، 1351هـــ، ص : 7. وانظر : محمد محمود عبد الله، صيدلية النّحل، ط1، مؤسسة الخليج العربي،1993م، ص : 16.

(3) – أنظر : عبد الرّزاق نوفل، "من آيات القرآن"، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت : العدد 227، 1983م، ص : 11.

في موضع واحد على كثرتها، ولو بنت الغرف مستديرة لبقي خارج المستديرات فرج ضائعة، فإن الدوائر لا تراص، وكذلك سائر الأشكال وأمّا المربعات فتراص، ولكن شكل النّحل يميل إلى الإستدارة فيبقى داخل الغرفة زوايا ضائعة، كما يبقى في المستدير خارج البيت فرج ضائعة فلا شكل من الأشكال يقرب من المستدير في التراص غير المسدس[1]، فهي أصلح الأشكال لإنشاء الغرف التي لا يتخلف عنها مساحات لا فائدة منها ويجعل أرض الغرفة مؤلفة من ثلاثة سطوح تلتقي في نقطة فيتيسر له الإقتصاد في المادة والجهد ويقول العلماء أنّ النّحل بما تبنيه من بيوت هي أسبق من الإنسان بمبادئ هندسة الفراغ لأنّها أسبق في الخلق وفي إنشاء البيت من الإنسان فلقد دلت الأبحاث الحفرية على وجود النّحل في عصر الترشياري أي : من 56 مليون سنة قبل الإنسان.[2]

خـــامسا : نظـــام النّحـــل.

يعيش النّحل في جماعات كبيرة، قد يصل عدد بعضها نحو خمسين ألف نحلة وتسكن كل جماعة منها في بيت خاص يسمى خلية[3] والنّظام الحاكم لهذا المجتمع هو النّظام الملكي ودستوره الإمارة. فعلى رأس كل خلية ملكة وهي أكبرهم حجما لها الإمارة والسيطرة دون منازع، ومن عجيب شأنها أن لها أميرا يسمى اليعسوب لا يتم لها رواح ولا عمل ولا مرعى إلاّ به فهي مؤتمرة لأمره سامعة له، مطيعة له، وهي رعية له منقادة لأمره متبعة لرأيه يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى أنّها إذا آوت إلى بيوتها وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم الأخرى ولا تتقدم عليها في العبور بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة بغير تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق. وإذا نازعه أحد في الإمارة يُقتل أحدهما.[4] بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من الذكور وعدد من الشغالات.

ســـادسا : جمـــع الرحيـــق.

أمرها الله تعالى بأن تأكل من كل الثّمرات لقوله تعالى:﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[5]،

---

(1) – أنظر : ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص:249-250.

(2) – أنظر : عبد الرزاق نوفل، "آيات القرآن"، مرجع سابق، ص : 12.

(3) – أنظر : محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم، مرجع سابق، ص:155.

(4) – أنظر : أبو حامد الغزالي الطوسي، جواهر القرآن، تحقيق : محمد رشيد قباني، ط2، بيروت : دار الإحياء للعلوم، 1986م، ص:67.

(5) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 69.

والذي يلفت الأنظار إليه أن أمر الله تعالى للنّحل بالأكل من كل الثّمرات وهذا معناه أنّه يأكل المر والحامض والحلو من الأزهار ثم يتعهد ما يأخذه من عصيرها بالتحوير والتحويل إلى عسل حسن المذاق عطري النكهة، جميل الطعم.

ولا ريب أن أي نفس مفطورة على أن ترفض شيئا وتقبل بشهيتها على آخر، الأمر سواء في المأكولات والمشروبات. ولا نجد في عالم الطبائع ما يقبل كل المأكولات أو كل المشروبات فهذا ما لم تقره دراسات أو بحوث علمية أو نفسية أو غيرها[1].

ومن خلال ما تقدم من عرض لبعض جوانب حياتها يتبين لنا أنّ الآيات القرآنية توجه أنظارنا إلى الحكمة من خلق النّحل وما ألهم الله إليها من العجائب والحكم. فإنّ الباري سبحانه جعلها تتخذ من الجبال والشجر أماكن مناسبة، لحفظ العسل وأوحى لها بأن تبني وترتب بيوتها بشكل محكم ويسودها نظام، فجعل لها رئيسا تتبعه وتهتدي به فيما تناله من أقواتها، فإن ظهر مع الرئيس الذي تتبعه رئيسا آخرا من جنسه. قتل أحدهما الآخر، وذلك لمصلحة ظاهرة وهو خوف الافتراق، لأنهما إذا كانا أميرين وسلك كل منهما فجا افترق النّحل خلفهما، ثم ألهمت أن ترعى من كل الثّمرات أو الأزهار فيتحول في أجوافها عسلا، تنتج منه ما يقوم بقوتها ويفضل عنها، فعلم من هذا التسخير ما فيه مصالح للعباد.

- المطلب الثـــاني : مكونـــات العســـل.

الآية القرآنية من سورة النّحل لم تذكر كلمة عسل بل ذكرت كلمة شراب لقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾[2]، وكلمة عسل لم تذكر في القرآن إلاّ في سورة "محمد" لقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[3].

وهو وصف لنعيم أهل الجنّة. أما الآية الكريمة من سورة النّحل تبين أن النّحل يخرج

---

(1) – أنظر : السيد الجميلي، "فيه شفاء للنّاس"، مجلة الأزهر، مرجع سابق، العدد 57، ص:838. وانظر : سهير مختار، "الدين والطب"، مجلة التوعية الإسلامية، مكة المكرمة : العدد 11، 1402هـ، ص:57.

(2) – سـورة النّحـل : الآيـة 69.

(3) – سـورة محمـد : الآيـة 15.

أنواعا عديدة من الشراب، لكن المتعارف عليه هو العسل لذلك سيكون حديثنا في هذا المطلب حول مكونات العسل.

أولا : السكـــر.

يتكون العسل من سكّر العنب وسكّر الفواكه، وهذه السكاكر سهلة الهضم ولا تحوج الجسم إلى أيّة عملية معقدة لتمثل هذه السكاكر.

فالعسل يتجه مباشرة إلى الكبد ليتحول إلى جليكوكين دون أي عمليات أخرى، وبالإضافة إلى سكر العنب وسكر الفواكه، فهو يحتوي على عدد من المواد اللازمة لخلايا الجسم وأنسجته وأعضائه، ليساعدها على العمل بانتظام[1].

ثـــانيا : الحـــديد.

أهمية الحديد من الوجهة الغذائية ناتجة عن علاقته بالهيموكلوبين (صباغ الدم الأحمر) ويتكون الهيموكلوبين من الأغذية التي نتغذى بها وهو الذي يزود كل خلية في الجسم بغاز الأكسجين الذي لا غنى لها عنه، ولولا وجود الحديد في تركيبه لما استطاع الهيموكلوبين أن يرتبط بالأكسجين ويحمله إلى كل خلية في الجسم[2].

ثـــالثا : النّحـــاس.

مهمته في الجسم تقوية الحديد في أعماله، أو بتعبير آخر يعتبر النحاس محرضا للحديد للقيام بأعماله.

رابعـــا : الفيتامينـــات : أما عن الفيتامينات التي يحويها العسل فهي :

1 – فيتـــامين "ك" : وهذا الفيتامين ضروري لتحميد الدّم ومنع النزيف وسرعة تخثر الدّم، وللإسراع بالتئام الجروح.

وهذا الفيتامين ضروري جدا للأطفال وخاصة الذين يولدون من أمّهات ينقصهن هذا الفيتامين، فهم معرضون إلى الإصابة بالشلل، وارتخاء الأعصاب، وهذا وإذا أعطيت الأم كمية من فيتامين "ك" قبل الولادة بعدة ساعات فإن الشّلل والمرض يمكن تجنبهما بالنّسبة للطفل الوليد.

---

(1) – أنظر : محمد عبد الرّحيم، العسل : شراب مختلف الوانه فيه شفاء للنّاس، ط1، بيروت، دمشق : دار أسامة، 1411هـ، 1991م، ص:50.

(2) – أنظر : محمد سيد أحمد حنفي، الوعي الغذائي الصحي، الكويت : وكالة المطبوعات، ص 37، نقلا عن محمد عبد الرحيم، العسل، مرجع نفسه، ص:83.

2 – فيتـــامين "ج^2" : وهذا الفيتامين ضروري جدّا لتألف اللّون ولمعانة ونضارته، ويرمم الأنسجة التي تعطي القوة لجدران الشرايين الدّموية والأنسجة العظمية وللغضاريف.

وهو ضروري للنّمو ولمساعدة الجروح على الالتئام ولجبر الكسور، ومن علامات نقص هذا الفيتامين أنّه يظهر في نزيف اللّثة، وانحطاط الجسم والوهن والضعف العام.

3 – فيتـــامين "ب^2" : وهو ما يسمى فيتامين تألق الوجه والجمال والنضارة والعيون البراقة.

4 – فيتـــامين "ب^1" : ولهذا الفيتامين تأثير كبير في ليونة الأعصاب ومرونتها.

5 – فيتـــامين "هـــ" : هذا الفيتامين يساعد في نمو العضلات.

6 – فيتـــامين "ب^3" : عامل هام ضد التهابات الجلد، وهو يمنع تحول الشعر الأسود إلى اللّون الأبيض، ويوصف في حالات الآلام العصبية والتشنج والشّلل.

ومن محتويات العسل الخمائر والكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والفسفور والكبريت واليود والكلور، وهذه الأملاح مهمة جدّا لجسم الإنسان[1].

كل هذه المعادن أصلها من التّربة، ويرجع ذلك إلى الغذاء النّباتي المتمثل في رحيق الأزهار وهو المادة الأساسية التي تصنع النّحلة منها العسل، لذلك تختلف أنواع وكميات المعادن الموجودة في العسل باختلاف وجودها في التّربة التي من نباتها أخذ الرحيق.

– *المطلب الثـــالث : فـــوائد العســـل.*

بعد أن خصّصنا في المطلب السّابق من بين الشراب الذي يخرج من النّحل نستمر في نفس السياق في هذا المطلب لنبين بعض الخصائص العلاجية لعسل النّحل لقوله تعالى : ﴿ فيه شفاءٌ للنّاس ﴾[2].

أولا : عـــلاج فقر الدّم.

يحتوي العسل على عامل فعال جدّا له تأثير كبير على الخضاب الدّموي (الهيموغلوبين) ولقد جرت دراسات حول هذا الأمر في بعض المصحات السويسرية أكدت التأثير الفعال للعسل

---

(1) – أنظر : حمدي زمزم، عجائب الطّب الشعبي والتغذية، ط1، دمشق : دار الإيمان، 1409هـــ-1989م، ص: 58 ، 59 نقلا : عن محمد عبد الرّحيم، العسل، مرجع سابق، ص : 20، 51.

(2) – ســـورة النّحـــل : الآيـــة 69.

على خضاب الدّم حيث ازداد قوام الخضاب في الدّم من 57% إلى 80% في الأسبوع الأوّل أي : بعد أسبوع واحد من المعالجة بالعسل، كما لوحظت زيادة في وزن الأطفال الذين يتناولون العسل تفوق الزّيادة في الأطفال الذين لا يعطون عسلا[1].

ثـــانيا : العســـل شـــفاء للجروح.

العسل يسرع في شفاء الجروح، والسّبب في ذلك أن العسل يزيد في كمية (الفلوتاتيون) التي يفرزها الجرح، تلك المادة التي تنشط نمو الخلايا وانقسامها (الطّبيعي) الذي يسرع في شفاء الجروح، فالعسل ينشط نمو الأنسجة لدى الجرحى الذين لا تلتئم جروحهم إلا ببطء[2].

ثـــالثا : العســـل علاج لجهاز التنفس.

استعمل العسل لمعالجة أمراض الجزء العلوي من جهاز التّنفس، ولا سيما التهاب الغشاء المخاطي وتقشره، كذلك تقشر الحبال الصّوتية وتتم المعالجة باستنشاق محلول العسل بالماء الدافئ، بنسب 10% خلال 05 دقائق[3].

رابعـــا : العســـل وأمـــراض الرئـــة.

العسل يساعد العضوية في كفاحها ضد الإنتانات كالسل، وخراجات الرئة، والتهابات القصبات وغيرها، وعلى الرّغم من أن البيانات الكثيرة للعلماء دليل على وجود خواص مضادة للسّل في العسل ولكن من المؤكد أنّ العسل يزيد في مقاومة الجسم عموما، الأمر الذي يساعد على التحكم في العدوى[4].

خـــامسا : العســـل وأمـــراض القلب.

عضلة القلب التي تعمل باستمرار مدى الحياة على حفظ دوران الدّم، فلا بد لها من غذاء يقوم بمساعدتها.

وقد تبين أنّ العسل لوفرة ما فيه من (غلوكوز) يقوم بهذا الدور، ولهذا يُنصح بإدخال

---

(1) – أنظر : محمد عباس عبد اللّطيف، عالم النّحل، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1994م، ص : 460.

(2) – أنظر : محمد كامل عبد الصّمد، الإعجاز العلمي في الإسلام : السنة النبوية، مرجع سابق، ص : 81، وانظر : بشير التركي، لله العلم، ط1، 1979م، ص : 185.

(3) – أنظر : محمد عباس عبد اللّطيف، عالم النّحل، مرجع نفسه ص : 460. وانظر : السعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص : 158.

(4) – أنظر : محمد كامل عبد الصّمد، الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم، مرجع نفسه ص : 240.

العسل في الطّعام اليومي لمرضى القلب[1].

سـادسا : العسـل وأمراض المعدة والأمعاء.

إنّ المنطلق الأساسي لاستعمال العسل كعلاج لكافة أمراض المعدة والأمعاء المترافقة بزيادة في الحموضة، هو كون العسل غذاء ذا تفاعل قلوي يعمل على تعديل الحموضة الزّائدة[2].

فقد تبين أن العسل يقضي على آلام القرحة الشديدة، ويزيد من نسبة هيموغلوبين الدّم عند المصابين بقروح المعدة والأثني عشر.

سـابعا : العسـل وأمراض الكبـد.

ثبت بالتجربة أنّ (الغلوكوز) الذي هو المادة الرئيسة المكونة للعسل، يقوم بعملتين اثنتين :

أ – ينشط عملية التمثيل الغذائي في الكبد.

ب – ينشط الكبد لتكوين الترياق المضاد للبكتريا، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة مقاومة الجسم للعدوى.

كما أنّه تبين أنّ للعسل أهمية كبيرة في معالجة التهابات الكبد والآلام النّاتجة عن حصوات الطرق الصّفراوية.

ثـامنا : العسـل وأمراض الجهاز العصبي .

إنّ هذه الخاصة نابعة أيضا من التأثير المسكن للغلوكوز في حالات الصّداع والأرق والهيجانات العصبية، ولقد لاحظ الأطباء الذين يستعملون العسل في علاج الأمراض العصبية قدرته العالية على إعطاء المفعول المرجو[3].

تـاسعا : العسـل ومرض السكر.

استعمال العسل لمرض السكر مفيد جدّا في الحالات التالية :

- كنوع من الحلوى ليس منها ضرر.
- كمادة مانعة لوجود مادة (الأسيتون) الخطرة في الدّم، إذ أن ظهور (الأسيتون) في الدّم يحتم استعمال السكريات واتباع نظام أكثر حرية في الغذاء، على الرّغم

---

(1) – أنظر : سعيد حوى، الأساس في التفسير ، مرجع سابق، مج 6، ص 2976. وأنظر : محمد عباس عبد اللطيف، مرجع سابق الصفحة ، ص : 460.

(2) – السعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص : 159.

(3) – أنظر : سعيد حوى، الأساس في التفسير ، مرجع نفسه، ج6، ص : 2977.

من مضارها للمريض وذلك دون استمرار وجوده، والعسل باعتباره مادة سكرية يعمل على الحؤول دون وجوده.

- كمادة سكرية لا تزيد، بل على العكس تنقص، من إخراج سكر العنب، وإطراحه، وقد تم تفسير ذلك عمليا بعد أن تم اكتشاف (هرمون) مشابه (للأنسولين) في تركيب العسل الكيميائي[1].

وبناء على ما تقدم يتضح لنا أنّ العسل شفاء لبعض الأمراض وما زال العلم يكد ويجد ليصل إلى الجديد في حياة النّحل، وإلى المزيد من الوقاية والعلاج بما يخرج من بطونها من شراب وكلما توصل إلى جديد أضاف وجها جديدا، لإعجاز آيات القرآن الكريم، ومظهرا من مظاهر تسخير النّحل للإنسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) – السيد الجميلي، فيه شفاء للنّاس، مجلة الأزهر، العدد 57، مرجع سابق، ص:839، وأنظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، مرجع سابق، مج6، ص:2978.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا : النتـائج العامّـة

لما كانت غاية هذه الرّسالة إبراز الجانب الوظيفي لعلاقة الإنسان بالكون وهو التسخير من خلال سورة النّحل كان من المناسب أن تكون خلاصة البحث كالآتي :

1 – **الفصـل الأوّل** : تناولت فيه علاقة الإنسان بالكون وحقيقة التّسخير والتعريف بسورة النّحل.

حيث بينت في هذا الفصل علاقة الإنسان بالتسخير وعلاقة التسخير بسورة النّحل.

– **ففي المبحث الأوّل** عرضت علاقة الإنسان بالكون في الفكر الإنساني من الحضارات القديمة إلى اليهودية إلى المسيحية وخلصت من ذلك بأنّ هذه العلاقة تقوم على أساسين :

الأوّل : تأليـــه الإنسان لعناصر الكون والخضوع له.

الثّاني : إخضاع الكون للإنسان واستدماره وقهره لخدمته نتيجة للعلاقة العدائية بينهما.

ثم بعد ذلك بينت هذه العلاقة في الإسلام وكيف تعامل القرآن الكريم مع الاعتقادات الخاطئة عن الكون،حيث يطبّق القرآن منهج الهدم والبناء،فيعرض الاعتقادات الخاطئة ويفنّد خطأها وبعدها يبيّن العلاقة البديلة.

فأوضحت صلة الإنسان بالكون في الإسلام وبينت أنها تقوم على مبدأين :

الأوّل : صلة الاستثمار والانتفاع والتّسخير لمنافعه ومصالحه.

الثّاني : صلة الاعتبار والتأمل والتفكير في الكون وما فيـــه.

وتوصلت إلى النتيجـــة الآتيـــة :

أنّ الإنسان له مكانة عالية في الكون ونتيجة لهذه المكانة سخر الله له الكون لخدمته فالتّسخير جانب من جوانب علاقة الإنسان بالكون.

– **أمّـــا في المبحث الثّاني** وبناء على العلاقة السّابقة بين الإنسان والكون القائمة على سنة التّسخير عرضت حقيقة التّسخير، من تعريف لغوي واصطلاحي، وأقسامه،ومستوياته، وأهدافه، وميادينه،فخلصت إلى ما يلي :

* من ناحية أقسامه فهو مقسم إلى قسمين :

– الكون منفعل للإنسان. أي : أن الكون قائم بوظيفته من دون تدخل إرادة الإنسان.

– الكون منفعل بالإنسان. أي : أن الكون يقوم بوظيفته بتدخل إرادة الإنسان فعطاؤه متوقف على حركة الإنسان وجهده.

* أمّا من ناحية مستوياته فالتّسخير يتم على مستويتين :

– مستوى مـــادي وهو مجموع القوى والطّاقات والنّعم والخيرات المبثوثة في الأرض والسّماوات.

– مستوى معـــرفي وهو ما يبدو من أنبناء الكون مادة وحركة على قوانين وسنن ثابتة لا تتغير.

* أمّا من ناحية أهدافه فهي ثلاثة أهـــداف.

– الهدف المعرفي الغرض منه معرفة سنن الطّبيعة للوصول إلى معرفة الله تعالى.

– الهدف الإنساني الغرض منه استثمار الكون للحفاظ على النّوع الإنساني.

– الهدف الاجتماعي الغرض منه اكتشاف السنن الاجتماعية.

* أمّا من ناحية ميادينـــه فهي ثلاثة ميادين كذلك :

– ميدان الأفلاك والكواكب.

– ميدان البحـــار والمحيطات.

– ميدان البـــر.

– **أمّـــا في المبحث الثالث** لما كان موضوع التّسخير في هذه الدّراسة من خلال سورة النّحل،كان المناسب لذلك التعريف بسورة النّحل.

فبينت في هذا المبحث علاقة التّسخير بسورة النّحل، فوضحت موقع السّورة من القرآن الكريم وأسباب نزولها والمواضيع الأساسية في السّورة وركزت في ذلك على إبراز موضوع التّسخير خاصّة وعدد آيات التّسخير فيها.

وأثبت بذلك أن سورة النّحل من أكثر السّور ذكرا لموضوع التّسخير.

2 – **أمـــا الفصل الثّـــاني** وبناء على ما ذكرته في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل بأن صلة الإنسان بالكون في الإسلام تقوم على مبدأين أحدهما صلة الاعتبار والتأمل والتفكير

في الكون وما فيه، كان المناسب لهذا الفصل أن أتناول فيه التّسخير المعرفي والجمالي تفصيلا لهذه الصلة، وهو مستوى من مستويات التّسخير كما ذكرنا في المبحث الثّاني من الفصل الأوّل. فوضحت في هذا الفصل كيفية الوصول إلى معرفة الله تعالى وصفاته من خلال المسخرات الكونية. وقبل التّطرق إلى خلق السّموات والأرض والإنسان والحيوان والموجودات.

فكان الأولى في ذلك أن أبين وسائل التسخير فجاء في هذا الفصل العناصر التّالية :

- **المبحث الأوّل** وسائل التّسخير درست فيه توجيه القرآن الكريم الآيات ليخاطب بها حواس الإنسان مبرزا دورها المعرفي الهام، فوضحت خطاب القرآن الكريم للسّمع والبصر والفؤاد باعتبارها وسائل معرفة.

- **أمّـا المبحث الثّاني** التسخير المعرفي جاء فيه توجيه القرآن الكريم الإنسان إلى النّظر في الأفاق والأنفس ليرى كيفية خلق السّموات والأرض وخلق الإنسان والحيوان،وخلق النّبات والموجودات،من ماء وظلال ودلالتها على وجود الخالق –جلا وعلا–.

- **أمّـا المبحث الثّالث** التسخير الجمالي أبرزت فيه دور الجمال الكوني في معرفة الله تعالى بعد أن أثبت واقعية الجمال في القرآن الكريم،ودللت على ذلك بنماذج من الذكر الحكيم.

3 – **أمّـا الفصل الثالث** فتعرضت فيه إلى دراسة الجانب الثّاني من صلة الإنسان بالكون في الإسلام المذكور في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل وهي صلة الاستثمار والانتفاع والتسخير لمنافع الكون وهي المستوى الثّاني من مستويات التسخير وهو المستوى المادي المذكور في المبحث الثّاني من نفس الفصل فكان مناسب لهذا الفصل ذكر النّعم المسخّرة للإنسان من خلال القرآن الكريم وسورة النّحل خاصة، فدرست ما يلي :

- **المبحث الأوّل** تسخير الكون تناولت فيه تسخير النّجوم، والشّمس، واللّيل، والنّهار وأهميتها للحياة.

- **المبحث الثّاني** تسخير الأرض ذكرت فيه المسخّرات الأرضية ابتداء بالقمر باعتباره تابعا للأرض،وبينت أهميته للحياة على الأرض،وبعدها تسخير البحار والأنهار وبينت فيه الفوائد المشتركة بينهما وما يستطيع الإنسان الابتغاء من فضلها.

وبعدها بينت دور الجبال وتسخيرها للحفاظ على توازن القشرة الأرضية واستخدامها بيوتا للإنسان.

- **المبحث الثّالث** تسخير الماء وتطرقت فيه إلى دور الماء للحياة عامّة،وبعدها التفصيل في ذلك ابتداء بدوره في جسم الإنسان وانتهاء بدوره في حياة النّبات.

- **المبحث الرّابع** تسخير الحيوانات جاء فيه بيان النّعم المستمدة من الأنعام من ألبان وأصواف ولحوم وحمل وركوب غيرها من المنافع.

- **المبحث الخامس** تناولت فيه تسخير النّحل مبتدئين في ذلك بالحكمة من خلقها بعد توضيح جوانب من حياتها وكيفية تنفيذها لوحي الله تعالى،وبعدها ذكرت مكونات العسل باعتباره الشّراب المعروف،وفي الأخير دورها العلاجي باعتبارها شفاء للنّاس.

ثـــانيا : النتـــائج الرئيسية : وفي تقديري أن النتائج الرئيسة لهذه الرسالة كانت كـــالآتي :

1. طبيعة العلاقة بين الإنسان والكون تحدّد المسار الحياتي للإنسان.
2. القرآن الكريم يؤكد الوحدة بين الإنسان والكون من حيث الأصل والتكوين والمصير،ويؤسس في الإنسان بعدا كونيا يلقي في النّفس الشّعور بالقربى من الكون فتنشأ وشائج الألفة والرّحمة والوئام والوفاق، وتنتفي بذلك كل مشاعر الخوف من الكون والعداء ومن ثمّ الصّراع معه، الناتجة عن الاغتراب والتباعد.
3. هذا الشّعور بالألفة مع الكون جعل الإنسان مقبل على الكون متفتحا عليه يتعامل معه بتلقائية ويسر، وتتلاشى بذلك كل أسباب تعطيل الطّاقة الإنسانية والعوامل المثبطة للفعل الإنساني الإيجابي.
4. الكون مسخر بأكمله للإنسان،مخلوق بكيفية يستجيب بها له وهذا يمكّنه من اقتحام الكون وارتفاقه، فينفتح له فهم الكون ويتيسر له الانتفاع به، وينفي عنه الصّدود والارتكاس في مهاوي الانهزام واليأس ومخاطر التّمرد والتدمير.
5. الإنسان يتمتع بين الموجودات بالكرامة والاستعلاء والرفعة والتفوق وهذا ما يُنشئ في النّفس الشّعور والنّزوع إلى الفعل والاستغلال والتسخير تحقيقا لهذه الرفعة والتّفوق فيكون مؤثّرا فعالا وينفي عنه الشّعور بالمساواة والرّفعة المدمرة، والتّسخير من مظاهر تكريم الإنسان على الكون، وهو العلاقة الوظيفية للإنسان بالكون.
6. الكون مسخّر للإنسان بالقوة وبالفعل.

7. وجد الكون بنظام وانسجام تتكامل عناصره في اتجاه واحد،وهو يسير وفق قوانين تسمّى بالسنن الكونية، سخّرها الله تعالى للإنسان لاستثمارها لتحقيق التّسخير المـــادي ممّا يؤهله لتحقيق الخلافة الّتي من أجلها خلق.
8. خلق الله تعالى الكون،وبث فيه أدلة وجوده ففي كلّ ذرة من ذرات الكون توجد دلائل على وجود الله الحكيم العليم، وخلق الإنسان وزوده بالقدرات لمعرفة الله تعالى.
9. يشترك الإنسان مع غيره من الكائنات في الإحساس بالكون لكنّه يتفرد في معرفة الكون بالعقل والتفكير.
10. القرآن الكريم يدعو إلى معرفة الكون بصورة عامة،من خلق السّماوات والأرض إلى خلق الحيوان والنّبات وما فيهما من روعة في كيفية الخلق. وخلق الكائنات الجوية لمعرفة نواميس الكون في الجوّ ولم يغفل الجانب الروحي للإنسان فدعاه للنّظر في الجمال الكوني والتعمق في التفكير في هذه المخلوقات يقود إلى معرفة الله تعالى.
11. سورة النّحل من أكثر سور القرآن الكريم ذكرا لموضوع التسخير.
12. سورة النّحل أنموذجا تطبيقيا لعلاقة الإنسان بالكون في القرآن الكريم من خلال النّعم الواردة فيها.
13. سورة النّحل تعطي نظرة متكاملة لتسخير الكون للإنسان،ابتداء بالسّماوات والأرض والنّجوم والأقمار والشّمس واللّيل والنّهار والبحار والأنهار والجبال والحيوان والنّبات،وانتهاء بالحشرات وهي النّحل وما فيها من عجائب وغرائب.
14. الرؤية الكونية الإسلامية هي رؤية توحيدية تقوم على ثلاثة عناصر:هي الله والكون والإنسان، تعطي للحياة معنى وهدفا وروحا، فهي تضع الإنسان في طرق الكمال بالتّرقي نحو الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : 6]، وهي رؤية مباينة كل المباينة لغيرها من الرؤى في الدّيانات والفلسفات المختلفة قديما وحديثا، والّتي تقوم في أغلبها على مبدأ العبودية لمظاهر الكون أو تسلطه عليه وتدميره.

ثالثا : التوصيات :

بالرّغم ممّا ذكرناه حول سورة النّحل،إلا أنّ هناك جوانب في السورة لم أتوصل إلى دراستها وهذا من الإعجاز القرآني فمن خلال تعاملنا مع السّورة تبيّن لنا الإشارة إلى بعض المواضيع يمكن للباحثين دراستها نذكر منها ما يلي :

- التسخير الاجتماعي : يقصد منه تسخير السنن الاجتماعية والحضارية من خلال الأمم السّابقة لقوله تعالى : ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النّحل:36].

- تسخير الإنسان للإنسان : لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾.

- التّسخير المعنوي،ويقصد به أن الآيات القرآنية تذكر مبادئ يحتاجها الإنسان لتنظيم حياته لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل : 90].

- تسخير اللّغة:ويعبر عنها باللّسان لقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النّحل : 103].

أمّا عن الموضوع عامّة فيمكن تكملة هذه الدّراسة المرتكزة على النّظرة الإسلامية لعلاقة الإنسان بالكون بالنّظرة غير الإسلامية،وفي الأخير إجراء مقارنة بينهما وهي الدراسة بين << الرؤية الكونية التوحيدية والرؤية غير الإسلامية >>.

وأخيرا أسأل الله أن يكون توفيقه لي في نظرتي إلى آياته في سورة النّحل مزيدا لي في الإيمان به وبرسله واليوم الآخر مع اعترافي بأن الكمال له وحده، فإن كان ثم تقصير أو خلل في بحثي هذا فمردة إليّ وأعوذ بالله من ذلك، وإن كان العمل كاملا قيّما فلولا يده الكريمة وإلهامه ما تمكنت من كتابه سطر واحد ومازلت أردد.

ولولا أن لي في كل منبت شعرة لسانا يجيد الشّكر كنت مقصرة.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المواضيع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

الآيـــــــة	رقمها	الصحيفة
- البقرة -		
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . . . ﴾	31	27
﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار . . . ﴾	174	109
- آل عمران -		
﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . . . ﴾	109	18
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . . ﴾	190	45
- المائدة -		
﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾	18	18
﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾	103	42
- الأنعام -		
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي . . . ﴾	74	17
﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ . . . ﴾	75	15
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ . . . ﴾	76	15
﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا . . . ﴾	77	15
﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً . . . ﴾	78	15
﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً . . . ﴾	79	15
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . . ﴾	97	102

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
- الأعراف -		
﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا . . . ﴾	31	95
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . . . ﴾	32	95
﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ . . . ﴾	54	37-35
﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ . . . ﴾	185	43
- يونس -		
﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . . . ﴾	5	113
﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ . . . ﴾	101	43
- هود -		
﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ . . . ﴾	43	119
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ . . . ﴾	114	108
- الرعد -		
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ . . . ﴾	15	89
- إبراهيم -		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ . . . ﴾	32	49-41-39
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ . . . ﴾	33	41-39-35-34 .49-
- الحجر -		
﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . . . ﴾	16	101
﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . . . ﴾	17	93
﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ . . . ﴾	18	101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . . . ﴾	28	25
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . . . ﴾	29	25
﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ . . . ﴾	82	119
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . . . ﴾	92	52
﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . . . ﴾	93	52
- النحل -		
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ . . . ﴾	1	62-56-52
﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى . . . ﴾	3	81-63-56-52
﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا . . . ﴾	4	83-63-53-52-29
﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا . . . ﴾	5	-85-63-57-41-29 .134-132
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ . . . ﴾	6	-93-85-63-41-29 .94
﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا . . . ﴾	7	136-85-64-41
﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً . . . ﴾	8	.94-64-57
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ . . . ﴾	10	-57-53-42-31-28 .126-125-87-64
﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ . . . ﴾	11	-57-53-42-31-30-28 **127-126-125-87-79-64**
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ . . . ﴾	12	-64-58-49-42-30 104-99
﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ . . . ﴾	13	92-64-58
﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ . . . ﴾	14	-50-48-42-40-28 118-116-94-64-58
﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا . . ﴾	15	119-64-42
﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . . . ﴾	16	102-100

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ . . . ﴾	18	64-59-42
﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ . . .	22	59
﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . . . ﴾	36	153
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ . . . ﴾	48	89-64
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾	49	60
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ . . . ﴾	50	60
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ . . . ﴾	58	60
﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾	65	64-61
﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ . . . ﴾	66	133-64-61
﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا . . . ﴾	67	132-64-61
﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا . . . ﴾	68	138-64-61-31 139-
﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا . . . ﴾	69	138-64-61-31 143-141-140-
﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ . . . ﴾	71	153
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا . . . ﴾	77	62
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا . . . ﴾	78	70-69-65-62
﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ . . . ﴾	79	85-65-62
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ . . . ﴾	81	118-65-54
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ . . . ﴾	90	63
﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ . . . ﴾	103	153

الآيـــــــة	رقمها	الصحيفة
- الإسراء -		
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ . . . ﴾	12	110
﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . . . ﴾	36	74
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ . . . ﴾	70	78-24
- مريم -		
﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ . . . ﴾	25	127
﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا . . . ﴾	36	127
- الأنبياء -		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . . . ﴾	30	88-46-19
﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . . ﴾	42	108
﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ . . . مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	79	38
- الحج -		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ . . . ﴾	5	92-19
﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ . . . ﴾	65	50
- المؤمنون -		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . . . ﴾	12	82
﴿ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾.	13	82
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا . . . ﴾	14	82
- النور -		
﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ . . . ﴾	40	114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾	41	18
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ . . . ﴾	45	124
- الفرقان -		
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا . ﴾	2	18
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا . . . ﴾	47	111-109
﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ . . . ﴾	53	115
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا . . . ﴾	54	123
- النمل -		
﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا . . . ﴾	60	93
﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ . . . ﴾	86	101
﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . ﴾	111	123
- الروم -		
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . . ﴾	9	47-41
﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ . . . ﴾	41	3
﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ . . . ﴾	48	31
﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ . . . ﴾	49	31
﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ . . . ﴾	50	31
- لقمان -		
﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ . . . ﴾	10	118
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾	20	49-41-35
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . . ﴾	25	81

الآيـــــــة	رقمها	الصحيفة
- السجدة -		
﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ . ﴾	7	20
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ . . . ﴾	9	74
- الأحزاب -		
﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ . . . ﴾	62	47
- فاطر -		
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . . ﴾	12	116
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا . . . ﴾	27	92
﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ . . . ﴾	28	92
- يس -		
﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ . . . ﴾	23	17
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . ﴾	34	128
﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ . . . ﴾	38	104-22
﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ . . . ﴾	39	113-22
﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ . . . ﴾	40	22
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا . . . ﴾	71	112-40
﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . ﴾	72	132-40
﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . ﴾	73	132-40
﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ . . . ﴾	74	17

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ . . . ﴾	75	17
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا . . . ﴾	77	84-54
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ . . . ﴾	78	84
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ . . . ﴾	79	84
- ص -		
﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . ﴾	36	49-38
﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . ﴾	37	49
﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ . ﴾	71	25
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . ﴾	72	25
- الزمر -		
﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ . . . ﴾	21	31-23
- غافر -		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ . . . ﴾	67	23
- فصلت -		
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ . . . ﴾	53	45-30
- الزخرف -		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . ﴾	9	50
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . ﴾	10	50
﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا . . . ﴾	11	50
﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . ﴾	12	50

الآيـــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه . . . ﴾	13	50
﴿ لوإنا إلى ربنا لمنقلبون . ﴾	14	50
- الحجر -		
﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين . ﴾	38	81
- الجاثية -		
﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه . . . ﴾	13	- 36-34-2 49-46-41
﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر . . . ﴾	24	17
- ق -		
﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . ﴾	6	43
﴿ والأرض مددناها . . . . ﴾	7	43
﴿ تبصرة وذكرى لكل . . . ﴾	8	43
﴿ ونزلنا من السماء . . . ﴾	9	43
﴿ لمن كان له قلب . . . ﴾	37	77
- الذاريات -		
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون . ﴾	21	4
﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون . ﴾	47	82
﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ﴾	49	20
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ﴾	56	44-27
- النجم -		
﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . ﴾	39	69

جامعة أم القرى للعلوم الإسلامية

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ﴾	40	69
﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . ﴾	41	69
- القمر -		
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ . ﴾	49	21
- الرحمن -		
﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . ﴾	5	106
﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . ﴾	19	114
﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ . ﴾	20	114
- الواقعة -		
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . ﴾	75	100
﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . ﴾	76	100
- الملك -		
﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ . . . ﴾	3	46
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ . . . ﴾	5	101
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا . . . ﴾	15	39-29
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَانُ . . . ﴾	19	85
﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ . . . ﴾	23	76
- المعارج -		
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . ﴾	40	107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
- نوح -		
﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا . ﴾	16	104
- الإنسان -		
﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ . . . ﴾	1	84
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ . . . ﴾	2	84-83
- النبأ -		
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . ﴾	14	122
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . ﴾	15	122
﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ .	16	122
- عبس -		
﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . ﴾	17	83
﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . ﴾	18	83
﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ﴾	19	83
﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ﴾	20	83
﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ﴾	21	83
﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ . ﴾	22	83
﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . ﴾	23	83
﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . ﴾	24	88
﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ﴾	25	125-88
﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . ﴾	26	125-88

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . ﴾	27	125-88
﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا . ﴾	28	125-88
﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . ﴾	29	125-88
﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا . ﴾	30	125-88
﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . ﴾	31	88
﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . ﴾	32	88
- الطارق -		
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . ﴾	5	124
﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . ﴾	6	124
﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . ﴾	7	124
- الغاشية -		
﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . ﴾	17	135-43
﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . ﴾	18	43
﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . ﴾	19	43
﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . ﴾	20	43
- التين -		
﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . ﴾	1	126
﴿ وَطُورِ سِينِينَ . ﴾	2	126
- العلق -		
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . ﴾	1	25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــــــة	رقمها	الصحيفة
﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . ﴾	2	25
- العصر -		
﴿ وَالْعَصْرِ . ﴾	1	69
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . ﴾	2	69
﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . ﴾	3	69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحديث	الصحيفة
[اتخذي غنما فإن فيها بركة]	130
[إنّ الشّمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من النّاس]	16
[فأما من قال : بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب]	16
[كلوا الزّيت وادهنوا به فإنّه من شجرة مباركة]	127
[يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم]	130

فهرس الأعلام

العلم	الصحيفة
- أ -	
(أرسطو)	13
(الأصفهاني) الرّاغب	26
(أفلاطون)	12
- ب -	
(البيضاوي) ناصر الدّين	109
- ر -	
(الرّازي) فخر الدّين	20
(ابن رشد) أبو الوليد	36
- ز -	
(الزّجاج) أبو إسحاق	87
(الزمخشري) محمد أحمد الخوارزمي	38
- س -	
(ابن سيرين) محمد	78
- ش -	
(الشعراوي) محمد متولي	38
- ط -	
(الطّبري) محمد بن جرير	111
- ع -	
(ابن عاشور) الطاهر	22
(ابن عباس) عبد الله	77

العلم	الصحيفة
(العقاد) عباس محمود	26
(العلواني) طه جابر	45
- غ -	
(الغزالي) أبو حامد	77
(الغزالي) محمد	131
- ف -	
(الفيروز أبادي) مجد الدين الشيرازي	35
- ق -	
(القرطبي) أبو عبد الله الأنصاري	35
(قطب) سيّد	20
(ابن قيم الجوزية)	70
- ك -	
(كاريل) ألكسيس	19
(ابن كثير) إسماعيل	36
- م -	
(الماوردي)	111
(مجاهد) ابن جبر أبو الحجاج	77
(ابن منظور) محمد	78
- ن -	
(النّجار) عبد المجيد عمر	27
(نيوتن) إسحاق	113

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص .
- الكتاب المقدس.

أ/- الكتب باللّغة العربية :

- أ -

1. **(إبراهيم) محمد إسماعيل** . القرآن وإعجازه العلمي . دط. دب. دار الفكر. د ت .
2. **(ابن الأثير) المبارك بن محمد الشيباني الجزري**. جامع الأصول في أحاديث الرّسول -ﷺ-. دط. بيروت. دار الفكر. (1970م).
3. **(الأصفهاني) الراغب** . تفصيل النّشأتين وتحصيل السعادتين. تقديم. أسعد السحمراني. ط(1) . دار النّفائس. (1988م).
4. **(الأعظمي) . محمد ضياء الدّين** . فصول في أديان الهند. الهندوسية،والبوذية،والجينية،والسّيخية وعلاقة النّصوص بها . ط(1) . المدينة المنورة. دار البخاري (1417هـ-1997م).
5. **(إقبال) محمد** . تجديد التفكير الدّيني في الإسلام. ترجمة. عباس محمود. دط. بيروت. دار آسيا. (1985م).
6. **(الآلوسي) شهاب الدّين محمود** . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دط. بيروت. دار الفكر. (1403هـ-1983م).

- ب -

7. **(البّار) محمد علي** . خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ط (5). دب. الدار السعودية.(1984م).
8. **(باشا) أحمد فؤاد** . دراسات إسلامية في الفكر العلمي. ط(1). دب. دار الهدى. (1418هـ1997م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

9. **(باشا) حسان شمسي** . زيت الزيتون بين الطّب والقرآن. تقديم. علي الطنطاوي. ط1. الجزائر. دار المنارة.دار الفكر. (1991م).

10. **(عبد الباقي) محمد فؤاد.** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. تقديم. منصور فهمي. دط. دب. دار ومطابع الشّعب. دت.

11. **(البخاري) محمد بن إسماعيل.** صحيح البخاري .دط. دب. نشر وتصحيح وتعليق. إدارة الطّباعة المنيرية. دت.

12. **(البدوي) أحمد محمد** . سيّد قطب ناقدا. دط. القاهرة. الدّار الثّقافية. (2002م).

13. **(البروسوي) إسماعيل حقي** . تفسير روح البيان. ط(7). لبنان. بيروت. دار إحياء التّرات العربي.(1405هـ-1985م).

14. **(البعلبكي) منير** . معجم أعلام المورد. إعداد. رمزي البعلبكي. دط. بيروت. دار العلم للملايين. (1992م).

- موسوعة المورد.ط1. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. (1980م).

15. **(البوطي) محمد سعيد رمضان** . منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. دط. دمشق. دار الفكر.(1405هـ).

16. **(البيضاوي) تامر الدّين أبو الخير عبد الله الشّيرازي** . تفسير البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دط. بيروت. دار الفكر.(1982م).

- ت -

17. **(التركي) بشير.** لله العلم. ط(1). دب. دد. (1979م).

18. **(التفتزاني) أبو الوفا الغنيمي** . الإنسان والكون في الإسلام . دط. دب. دار الثقافة. (1995م).

19. **(التليدي) عبد القادر.** كتاب دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون. ط(1). لبنان. بيروت. دار ابن حزم. (1420هـ-1999م).

20. **(توفيق) محمد عز الدّين** . وفي أنفسكم أفلا تبصرون:دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث. ط(2). مصر. القاهرة. دار السّلام. (1998م).

21. **(ابن تيمية) أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم** . منهاج السّنة النّبويّة. تحقيق . محمد رشاد سالم. دط. دب. مؤسّسة قرطبة. (1406م).

- ج -

22. **(الجسر) نديم** . قصّة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن. دط. الجزائر. عين مليلة. دار الهدى. دت.

23. **(جلبي) خالد** . الطّب محراب للإيمان. دط. الجزائر. عين مليلة. دت.

24. **(ابن الجوزي) أبو الفرج جمال الدّين عبد الرحمن بن علي** . زاد المسير في علم التّفسير. تحقيق . محمد بن عبد الرحمن عبد الله. ط(1) لبنان. بيروت. دار الفكر. (1398هـ-1987م).

25. **(جونسون) رشال. (الزنداني) عبد المجيد. (عبد الباسط) مصطفى أحمد** . علم الأجنّة في ضوء القرآن والسنّة. مكة المكرمة. دد.دت.

26. **(جوهري) طنطاوي** . القرآن والعلوم العصرية. دط. الرّباط. مطبعة الأمنية. دت.

- ح -

27. **(أبو حجّة) أحمد عمر** . التّفسير العلمي للقرآن في الميزان. ط(1). بيروت. دار قتيبة. (1991م).

28. **(حسب النّبي) منصور** . الكون والإعجاز العلمي للقرآن. دط. دب. دار الفكر العربي. (1946م).

29. **(عبد الحليم) سمير.** الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني. ط(1). دمشق. دد. (1421هـ-2000م).

30. **(حنفي) محمد سيد أحمد.** الوعي الغذائي الصّحي. دط. الكويت. وكالة المطبوعات. دت.

31. **(حوى) سعيد** . الله -جل جلاله-. ط (3) . لبنان. بيروت. دد. (1981م).

32. الأساس في التفسير. ط(5). دب. دار السّلام. دد. (1999م).

33. **(الخالدي) صلاح عبد الفتاح** . سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. دط. دمشق. بيروت. دار القلم. (1999م).

34. **(خضر) عبد العليم عبد الرحمن** . الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن. ط(2). جدّة. الدّار السّعودية. (1405هـ-1985م).

- هندسة النّظام الكوني في القرآن الكريم. ط(1). جدّة. النّاشر هامة. (1403هـ-1983م).

35. **(خطّاب) عبد المعز** . سورة النّحل وجلائل النّعم. ط(1). دب. مكتبة التّراث الإسلامي. (1412هـ-1991م).

36. **(الخطيب) عبد الكريم** . التّفسير القرآني للقرآن. دط. دب. دار الفكر العربي. دت.

37. **(ابن خلكان) أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر** . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان. تحقيق . إحسان عبّاس. دط. بيروت. دار صادر.دت.

38. **(خليفة) محمد محمد** . مع آيات الله في كتاب الله. ط(1). دب. مكتبة النّهضة المصرية. (1403هـ-1983م).

39. **(خليل) عماد الدّين** . حول إعادة تشكيل العقل المسلم. ط(2). دب. دد. (1983م).

40. **(خليل) موسى أحمد** موسوعة المحيطات والبحار والأنهار. ط(1). الأردن عمّان. دار أسامة. (2002م).

- د -

41. **(الدباغ) أديب إبراهيم. بهجت أحمد السايح عبد الرّحيم. عبيد محمد رشدي شلبي. عبد الودود. خليل عماد الدّين. عاشور حسين** . بديع الزّمان النّورسي في مؤتمر علمي حول تجديد الفكر الإسلامي. دط. القاهرة. دد. (1992م).

42. **(الدّرينى) فتحي** . دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر. ط(1). سوريا. دمشق. دار قتيبة. (1988م).

43. **(الدّسوقي) طه** . عقيدتنا وصلتها بالكون والإنسان والحياة. دط. دب. دار الهدى. (1405هـ-1984م).

44. (الدّمرداش) محمود فرج. وعلّم آدم. الأسماء كلّها. ط(1) . القاهرة. (1996م).

- ر -

45. (الرّازيّ) محمد فخر الدّين . التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ط(1). لبنان.بيروت. دار الفكر. (1401هـ-1981م).

46. (عبد الرحمن) عائشة . القرآن وقضايا الإنسان. ط(5). بيروت. دار العلم للملايين. (1982م).

47. (عبد الرحيم) محمد. العسل شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للنّاس. ط(1). دمشق. دار أسامة. (1411هـ-1991م).

48. (ابن رشد) أبو الوليد . مناهج الأدلة في عقائد الملّة. تحقيق . محمود قاسم. ط(2). دب. مكتبة الأنجلو. المصرية.(1964م).

- ز -

49. (الزحيليّ). وهبة. التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج. دط. لبنان. بيروت. دار الفكر. المعاصر. سورية. دمشق. دار الفكر. دت.

50. (الزرقانيّ) محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن. دط. دب. دار إحياء الكتب العربية. دت.

51. (الزركشيّ) بدر الدّين محمد بن عبد الله . البرهان في علوم القرآن. تحقيق . أبو الفضل إبراهيم. دط. بيروت. صيدا. المكتبة العصرية. دت.

52. (الزركليّ) خير الدّين . الأعلام. ط (7). لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. (1986م).

53. (بن زكريا) أبو الحسن أحمد بن فارس . مجمل اللّغة. تحقيق . زهير عبد المحسن سلطان. ط(2). دب. مؤسّسة الرّسالة. (1986م).

54. (زكيّ) أحمد. مع الله في الأرض. دط. دب. دد. (1411هـ-1991م).

- مع الله في السّماء. ط(1). لبنان. بيروت. دار القلم. (1983م).

55. (الزمخشريّ) محمود بن عمر . الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط (1) . مصر. دد. (1354هـ).

56. (زمزم) حمدي. عجائب الطب الشّعبي والتّغذية. ط(1). دمشق. دار الإيمان. (1409هـ-1989م).

57. (الزنداني) عبد المجيد عزيز . كتاب توحيد الخالق. ط(1) . لبنان. بيروت. مؤسسة الكتب الثّقافية. (1991م).

- علم الإيمان. دط. دب. دار المنابع. دت.

58. (أبو زهرة) محمد . المعجزة الكبرى القرآن. نزوله. كتابته. جمعه. إعجازه. جدله. علومه. تفسيره. حكم الغناء به. دط. القاهرة. دار الفكر العربي. دت.

59. (زيدان) عبد الكريم. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشّريعة الإسلامية، ط(1). لبنان. بيروت. مؤسّسة الرّسالة. (1994م).

- ❧ -

60. (سعدة) مشيد. الغذاء وصحّة الإنسان. دط. الجزائر. عين مليلة. دار الهدى. دت.

61. (سعدي) داود سلمان . أسرار الكون في القرآن. ط(2). دب. دار الحرف العربي. (1999م).

62. (أبو سليمان) عبد الحميد أحمد . أزمة العقل المسلم. ط(2). الجزائر. عين مليلة. دد. (1992م).

63. (السيوطي) الحافظ جلال الدّين . أسرار ترتيب القرآن. تحقيق . عبد القادر أحمد عطا. دط. تونس. در السّلام للطّباعة والنّشر والتوزيع. دت.

- ❧ -

64. (شحاته) محمود . أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن. دط. دب. الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1976م).

65. (الشرقاوي) محمد . تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم. ط(2) . الرّياض. دد. (1982م).

66. (الشّعراوي) محمد متولي . معجزة القرآن مشاهد يوم القيامة. ط(1) . الجزائر. شركة دار الشّهاب. (1990م).

- كيف نفهم الإسلام. دط. بيروت. دار العودة. (1985م).
- الله سبحانه إنكار الكافرين دليل وجوده. دط. دب. دار القبلة للثقافة الإسلامية. دت.
- الأدلة المادية على وجود الله. دط. الجزائر. شركة الشّهاب. دت.

67. (**شلبي**) **محمود**. حياة ابن عبّاس حبر الأمّة. ط(1). لبنان. بيروت. دار الجيل. (1410هـ-1995م).

68. (**الشهرستاني**) **أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد**. الملل والنّحل. تحقيق. محمد سيّد الكيلاني. دط. مصر. مطبعة مصطفى البابي وأولاده. (1387هـ-1967م).

69. (**الشوكاني**) **محمد بن علي بن محمد**. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدارية من علم التفسير. ضبط وتصحيح. أحمد السّلام. ط(1). لبنان. بيروت. دار الكتب العلمية. (1415هـ-1994م).

- هـ -

70. (**الصابوني**) **محمد علي**. صفوة التفاسير. ط(4) . لبنان. بيروت. دار القرآن الكريم. (1981م).

71. (**صافي**) **لؤي**. إعمال العقل من النّظرة التجزيئية إلى الرؤية التكاملية. ط(1). لبنان. دار الفكر المعاصر. (1998م).

72. (**عبد الصمد**) **محمد كامل**. الإعجاز العلمي في الإسلام. القرآن الكريم. ط(5) . الدار المصرية اللّبنانية. (2000م).

- الإعجاز العلمي في الإسلام. السنّة النّبوية. ط (2). دب. الدّار المصرية اللّبنانية. (1993م).

73. (**صوفي**) **ماهر أحمد**. آيات الله في البحار. ط (1). سوريا. دار المعارف. (1416هـ-1996م).

- ط -

74. (**طبارة**) **عفيف عبد الفتاح**. روح الدّين الإسلامي؛عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت العلم والفلسفة. ط(1) . بيروت. دار العلم للملايين. (1988م).

75. **(الطّبري) أبو جعفر محمد بن جرير.** تفسير الطّبري. دط. لبنان. بيروت. مؤسّسة الأعلى للمطبوعات. (1411هـ 6 1991م).

76. **(الطبا طبائي) محمد حسين.** الميزان في تفسير القرآن. ط(1). لبنان.بيروت.مؤسّسة الأعلى للمطبوعات. (1411هـ-1991م).

77. **(طعيمة) صابر.** الشّريعة الإسلامية. دط. بيروت. دار الجيل. (1988م).

78. **(طهماز) عبد الحميد محمود.** التوحيد والشّكر في سورة النّحل. ط(1). دمشق. دار القلم. بيروت. الشامية. (1415هـ-1994م).

79. **(الطوبي) محمد رشاد.** وجعلنا من الماء كلّ شيء حي. القاهرة. دار المعارف. دت.

- ع -

80. **(ابن عاشور) محمد الطّاهر.** تفسير التحرير والتّنوير. دط. تونس. الدّار التّونسية للنّشر. الجزائر. المؤسّسة الوطنية للكتاب. (1984م).

81. **(عبيد) محمد رشدي عليان.** الإيمان بالله -جل جلاله- في ضوء العلم والعقل.ط(1). لبنان. بيروت. دار القادري. (1996م).

82. **(العسقلاني) أحمد بن علي حجر.** فتح الباري بشرح البخاري. ترقيم. وتبويب. محمد عبد الباقي. إخراج وتصحيح. محب الدين الخطيب. دط. لبنان. بيروت. دار المعرفة. دت.

83. **(عطيّة الله) أحمد.** القاموس الإسلامي. ط(1) . القاهرة. مكتبة رحاب. دت.

84. **(العقاد) عباس محمود** . الإنسان في القرآن الكريم. دط. الجزائر. مكتبة رحاب. دت.

- التفكير فريضة إسلامية. ط(2). بيروت. دار الكتاب العربي. (1969م).

85. **(العلواني) طه جابر** . الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. ط(1). القاهرة. (1417هـ - 1996م).

86. **(عليان) محمد رشدي** . الدوري قطحان عبد الرحمن. أصول الدين الإسلامي. ط(4). بغداد. دد. (1990م).

87. **(عناية) غازي** . أسباب النزول القرآني. ط(1) . الجزائر. باتنة. دار الشّهاب للطّباعة والنّشر. دت.

- ف -

88. **(غالب) مصطفى** . في سبيل موسوعة فلسفية. دط. بيروت. دار مكتبة الهلال. (1983م).

89. **(الغرناطي) أبو جعفر إبراهيم بن الزبير**. البرهان في ترتيب سور القرآن. تحقيق. محمد شعباني. دط. دب. مطبعة فضالة (1990م).

90. **(الغزالي) أبو حامد**. جواهر القرآن. تحقيق. محمد رشيد قباني. ط(2). بيروت. دار الإحياء للعلوم. (1986م).

- إحياء علوم الدين. دط. دب. الدار المصرية اللّبنانية. دت.

91. **(الغزالي) محمد**. المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دط. دب. دار الصّحوة للنّشر. دت.

- ف -

92. **(ابن فرحون)**. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق. مأمون بن محي الدّين الجنان. ط(1). (1417هـ-1996م). لبنان. بيروت. دار الكتب العلمية. دت.

93. **(الفندي) محمد جمال الدين**. الله والكون. دط. دب. دار الكتب. (1976م).

94. **(الفيروز آبادي) مجد الدّين محمد بن يعقوب**. القاموس المحيط. دط. بيروت. دار لكتاب العربي. (1983م).

- ق -

95. **(القرضاوي) يوسف**. وجود الله. دار البعث. (1987م).

96. **(القرطبي) أبو عبد الله محمد الأنصاري** . الجامع لأحكام القرآن. تحقيق. أبو إسحاق إبراهيم اطفيش. دط. دب. دد. (1380م - 1961م).

97. **(قطب) سيّد** . مقومات التصور الإسلامي. ط (4). القاهرة. بيروت. دار الشروق. (1988م).

- في ظلال القرآن، ط(7). لبنان، بيروت : دار الشّروق، (1398هـ-1978م).

98. **(ابن قيم الجوزية) أبو عبد الله محمد.** مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. لبنان. بيروت. دار الكتب العلمية. دت.

- ك -

99. **(كاريل) ألكسيس.** الإنسان ذلك المجهول. تعريب. شفيق أسعد فريد. ط(1). لبنان. بيروت. مكتبة المعارف. (1423هـ - 2003م).

100. **(كامل) عبد الحليم.** وفي أنفسكم أفلا تبصرون. دط. الرّياض. دار المريخ. (1984م).

101. **(ابن كثير) عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل.** تفسير القرآن الكريم. دط. لبنان. بيروت. دار الأندلس. دت.

102. **(الكردي) محمود السعيد.** مبادئ العلم في الإسلام آيات النّبات والإبداع التّحريي في الزّراعة. ط(1). دب. دد. (1411هـ - 1991م).

103. **(الكيلاني) ماجد عرسان.** فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التّربوية المعاصرة. دط. لبنان. بيروت. مؤسّسة الرّيان. (1998م).

- ل -

104. **(عبد اللطيف) محمد عباس.** عالم النّحل. دط. دب. دار المعرفة الجامعية. (1994م).

105. **(عبد الله) محمد محمود.** صيدلية النحل. ط(1). دب. مؤسّسة الخليج العربي. (1993م).

- م -

106. **(ابن ماجة) ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.** سنن بن ماجة. تحقيق. وتعليق. محمد فؤاد الباقي. دط. دب. دار الفكر. دت.

107. **(المبارك) محمد.** نظام الإسلام العقيدة والعبادة. دط. دب. دار الفكر. دت.

108. **(المراغي) أحمد مصطفى.** تفسير المراغي. ط(1). مصر. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. (1365هـ-1946م).

109. **(المسيّـر) محمـد سـيّد أحمـد.** الإلهيـــات في العقيـــدة الإســـلامية. دط. دب. دار الاعتصام. دار النّصر. دت.

110. **(مطهّـري) مرتضـى** . الكون والتّوحيد في المنظار الإلهي. ترجمـة. محمـد عبـد المـنعم الخاقاني. ط(1). لبنان. بيروت. دار الأمير للثقافة والعلوم. دت.

111. **(ابن منظـور) محمـد.** لسان العرب. تحقيـق .عبـد الله علـي الكـبير. محمـد أحمـد حسب الله. هاشم محمد الشاذلي. دط. دب. دار المعـارف. دت.

- ن -

112. **(النجار) عبد المجيد عمر.** مباحـث في منهجيـة الفكـر الإسـلامي. ط(1). لبنـان. دار الغرب الإسلامي. (1992م).

- الإنسان في العقيدة الإسلامية. قيمة الإنسان. ط(1). المملكـة المغربيـة. الربـاط. دار الزيتونة. (1417هـ-1996م).

- الشهود الحضاري للأمّة الإسـلامية. فقـه التحضـر. ط(1).قطـر. دد. (1420هـ-1999م).

113. **(النورسي) بديع الزّمان سعيد.** الكلمـات. ترجمـة. إحسـان قاسـم الصّـالحي. ط (2). دب. شركة سوزلر. للنّشر. (1992م).

- هـ -

114. **(الهاشمي) عبد الحميد محمد.** لمحـات نفسـية في القـرآن الكـريم. دط. الجزائـر. مكتبة رحاب. دت.

115. **(هميمي) زكـريا.** الإعجاز العلمي في القـرآن الكـريم. دط. دب. مكتبـة للطّباعـة والنّشر. (2002م).

- و -

116. **(يحي) هارون.** المعجـزات القرآنيـة. ط(1). دب. مؤسّسـة الرسـالة (1424هـ-2003م). دت.

- خلق الكون. ط(1). لبنان. دد. (2033م).

117. **مؤسسة أعمال الموسوعة**. الموسوعة العربية العالمية. ط(2). السعودية. الرياض. دد. (1419هـ-1999م).

2/- الكتب باللّغة الأجنبية :

1. Galli Nard Jeunesse, dictionnaire visuel pour tous, découvert (1995).
2. Poirier J, poirier I, baudet J, Embryologie humaine, 3ème ed, paris ualoine, (1993).
3. Strachan I, read A.P génétique moléculaire humaine, paris Flammarion, (1998).
4. Winter PC, hichey GI, Fletcher HL, l'essentiel en génétique, paris, berti, (2000).

3/- فهرس الرسائل :

1. **بكار الحاج جاسم**. من سنن الطّبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم. رسالة ماجستير. قسم الفلسفة الإسلامية. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. مصر. (1999م).
2. **فريد مصطفى سليمان**. منهج القرآن الكريم في إثارة الأرض وعمارتها. رسالة ماجستير. كلية أصول الدّين. مصر. (1399هـ-1979م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجلات والدوريات

1. (**باحفظ الله**) **حسن**. الجبال أوتادا. مجلة. الإعجاز.دب. ع(1). دت.
2. (**التقاوي**) **محمد عبد المحسن**. تكريم الله للإنسان. **مجلة الأزهر**. القاهرة. ج(2). س(87).(1415هـ-1994م).
3. (**الجميلي**) **السيّد**. فيه شفاء للنّاس. مجلة الأزهر. القاهرة. ع(57). دت.
4. (**سراج**) **محمد**. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. **مجلة الأمّة**. قطر. ع(72).
5. (**السعودي**) **أحمد عطية**. الإستلهام الإبداعي لمفهوم التّكريم الإنساني. مجلة البيان. ع(142). (1420هـ-1999م).
6. (**شرفة**) **حسين**. خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم. مجلة الإحياء. الجزائر. باتنة. ع(2). (2000م).
7. (**عبد الصمد**) **فوزي أحمد**. العلم والقرآن. مجلة منار الإسلام. الإمارات العربية. ع(5). (1415هـ-1995م).
8. (**العمري**) **شوكت محمد**. أساليب القرآن في تنمية التفكير. مجلة الشّريعة والدّراسات الإسلامية. الكويت. ع(52). (1423هـ-2003م).
9. (**القباني**) **محمد عبد السّلام**. آية النّحل. مجلة الهداية. القاهرة. ج(1). (1351هـ).
10. (**القيعي**) **محمد عبد المنعم**. من نعم الله علينا الإحياء والتّسخير. مجلة الأزهر. القاهرة. ج(2). (1410هـ-1990م).
11. (**مختار**) **سهير**. الدين والطب.التوعية الإسلامية. مكة المكرّمة. ع(11). (1402هـ).
12. (**النجار**) **زغلول راغب**. ماهية الكون. مجلة القافلة.السّعودية. ع(7). (1421هـ-2000م).
13. (**النجار**) **عبد المجيد**. الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية. مجلة المسلم المعاصرة. ع(77). (1416هـ-1995م).
14. (**نوفل**) **عبد الرّزاق**. من آيات القرآن. مجلة الوعي الإسلامي. الكويت. ع(27). (1983م)

- **مواقع الانترنات**.

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
■ المقدمة :	1
الفصل الأوّل : **علاقة الإنسان بالكون وحقيقة التسخير**	
■ المبحث الأوّل : علاقة الإنسان بالكون.....	12
- *المطلب الأوّل :علاقة الإنسان بالكون في غير الإسلام*	12
أوّلا : علاقة الإنسان بالكون في الحضارات القديمة.....	12
ثانيا : علاقة الإنسان بالكون في اليهودية.....	13
ثالثا : علاقة الإنسان في الكون في المسيحية.....	14
- *المطلب الثاني : علاقة الإنسان بالكون في الإسلام*.....	15
أوّلا : إبطال الاعتقادات الخاطئة عن الكون.....	15
أ – تأليه الكواكب.....	15
ب – تأليه الدهر.....	15
جـ – عبادة الأصنام.....	17
ثانيا : أصول العلاقة بين الإنسان والكون في الإسلام.....	18
أ – وحدة التكوين	19
1 – الزوجية.....	20
ب – وحدة الحركة.....	21
1 – النّجوم والأقمار.....	21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحـة
2 – الموجودات الأرضية.....	23
– الإنســان	23
– النّبــات	23
جـ – استعلاء الإنسان على الكون.....	23
1 – الاستعلاء الوجودي	24
2 – الاستعلاء التكويني.....	25
3 – استعلاء التمثل والاستيعاب	27
ثــالثا: صلة الإنسان بالكون في الإسلام.....	28
أ – صلة الاستثمار والانتفاع والتسخير لمنافعه ومصالحه..	28
1 – وصف البحر.....	28
2 – وصف الماء والنّبات.....	28
3 – وصف الأنعــام.....	29
ب – صلة الاعتبار والتأمل والتفكير في الكون وما فيه.....	29
– ***المطلب الثالث : نتائج علاقة الإنسان بالكون***.....	32
▪ **المبحث الثاني : حقيقــة التسخيــر**.....	34
– ***المطلب الأوّل : التسخير وأقسامه ومستوياته***.....	34
أوّلا : التسخيــر لغة واصطلاحا.....	34
أ – التسخير لغــة.....	34
ب – التسخير اصطلاحا.....	36
ثــانيا : أقســام التسخيــر.....	37
أ – الكون منفعل للإنسان.....	37
ب – الكون منفعل بالإنسان.....	38
ثــالثا : مستويات التسخير.....	40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
أ – التسخير المـــادي.....	40
ب – التسخير المعـــرفي.....	42
– ***المطلب الثاني : أهـــداف التسخير***.....	44
أوّلا : الهـــدف المعرفي.....	44
ثانيا : الهدف الإنساني.....	45
ثالثا : الهدف الإجتماعي	47
رابعا : العلاقة بين أهداف التسخير.....	47
– ***المطلب الثالث : ميـــادين التسخير***.....	48
أوّلا : ميدان الأفلاك والكواكب.....	49
ثانيا : ميدان البحار والمحيطات.....	49
ثالثا : ميدان البر.....	50
■ **المبحث الثالث : التعريف بسورة "النّحل"**.....	51
– ***المطلب الأوّل : ترتيب السورة وعدد آيها وعلاقتها بما قبلـــها وبعدها وأسباب نزولها.***	
أوّلا : ترتيب السورة وعدد آيها.....	51
أ – ترتيب السّورة.....	51
ب – عدد آيهـــا.....	51
ثـــانيا : علاقة السورة بما قبلها وما بعدها.....	52
ثـــالثا : أسباب نزول السّورة.....	53
– ***المطلب الثاني : المحاور الكبرى للسّورة***	54
أوّلا : التوحيد في السّورة.....	56
ثانيـــا : التسخير في سورة "النّحل".....	56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
أ – تسخير الأنعـــام.....	56
ب – تسخير المـــاء.....	57
جـ – تسخير الليل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم.....	57
د – تسخير ما في الأرض.....	58
هـ – تسخير البحر.....	58
ثالثـــا : وحدة الألوهية.....	59
رابعـــا : دلالة التسخير على الوحدانية.....	60
أ – دلالة تسخير الماء على وجود الله تعالى.....	60
ب – دلالة تسخير اللبن على وجود الله تعالى.....	61
جـ – دلالة خلق الثمار على وجود الله تعالى.....	61
د – دلالة تسخير النّحل على وجود الله تعالى.....	61
خامسا : دلالة التسخير على القدرة الإلهية.....	61
أ – تسخير السّمع والبصر والفؤاد.....	62
ب – تسخير الطيـــر.....	62
جـ – تسخير بعض النّعم.....	62
سادسا : الأوامر والنّواهي في سورة "النّحل".....	63
– المطلب الرّابع : آيات التسخير في سورة "النحل" ونوعها**.....	
الفصل الثاني : التسخير المعرفي والجمالي	
■ المبحث الأوّل : تسخير وسائل المعرفة.....	69
– المطلب الأوّل : تسخيـــر السّمع.....	70
أوّلا : مكونـــات جهاز السّمع.....	71

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحـة
أ – الخـــارجية.....	71
ب – الوسطـــى.....	72
جـ – الداخليـــة.....	72
ثانيا : كيفية حدوث السّمع.....	72
ثالثا : قدرات الأذن.....	72
رابعا : علاقـــة السّمع بالنّطق.....	73
- ***المطلب الثاني :تسخير البصر***.....	74
أوّلا : كيفية حدوث عملية الإبصار.....	74
ثانيا : نوعية الإبصار لدى الإنسان.....	75
ثالثا : تميز حـــاسة البصر.....	75
رابعا : قيمة موقع العين.....	75
- ***المطلب الثالث :تسخير الفؤاد***.....	76
أوّلا : عـــلاقة الفؤاد بالقلب.....	76
ثانيا : عـــلاقة القلب بالعقل.....	77
ثالثا : بعض وظائف العقل.....	79
■ **المبحث الثّاني : التسخيـــر المعرفي**.....	80
- ***المطلب الأوّل : خلق السّموات والأرض***.....	80
- ***المطلب الثاني : خلق الإنسان والحيوان***.....	82
أوّلا : خلق الإنســـان.....	82
ثانيا : خلق الحيـــوان.....	85
- ***المطلب الثالث : خلق النّبات والموجودات***.....	87
أوّلا : خلق النّبات.....	87
ثانيا : خلق الموجودات.....	88

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
- ***المطلب الثّاني : تسخيـــر الشّمس***	104
أوّلا : تعريف الشّمس.....	104
ثانيـــا : أهمية الشّمس.....	105
أ – إرسال الضوء والحرارة.....	105
ب – تحريك الرياح.....	105
جـ – إنـــزال المطـــر.....	105
د – التركيب الضوئي.....	106
هـ – معرفة عدد الأيام والشهور والسنين ومواقيت الصلاة....	106
1 – عدد الأيام والشهور والسنين.....	106
2 – مواقيت الصّلاة.....	107
و – إرسال الطّاقة.....	107
- ***المطلب الثّالث : تسخير الليل والنّهار***	108
أوّلا : الفوائد المشتركة بين الليل والنّهار.....	108
أ – الذكر والصّلاة.....	108
ب – الذّكـــر.....	108
جـ – الصّـــلاة.....	108
د – الإنفـــاق.....	108
ثـــانيا : تسخيـــر الليـــل.....	109
أ – النّـــوم.....	109
ب – السّكـــن.....	110
ثالثـــا: تسخيـــر النّهار.....	110
أ – الابتغاء من فضل الله تعالى.....	110
ب – الإبصـــار.....	110
جـ – النشـــور.....	111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
- ***المطلب الثّاني : تسخيـــر الشّمس***	104
أوّلا : تعريف الشّمس.....	104
ثانيـــا : أهمية الشّمس.....	105
أ – إرسال الضوء والحرارة.....	105
ب – تحريك الرياح.....	105
جـــ – إنـــزال المطـــر.....	105
د – التركيب الضوئي.....	106
هـــ – معرفة عدد الأيام والشهور والسنين ومواقيت الصلاة....	106
1 – عدد الأيام والشهور والسنين.....	106
2 – مواقيت الصّلاة.....	107
و – إرسال الطّاقة.....	107
- ***المطلب الثّالث : تسخير الليل والنّهار***	108
أوّلا : الفوائد المشتركة بين الليل والنّهار.....	108
أ – الذكر والصّلاة.....	108
ب – الذّكـــر.....	108
جـــ – الصّـــلاة.....	108
د – الإنفـــاق.....	108
ثـــانيا : تسخيـــر الليـــل.....	109
أ – النّـــوم.....	109
ب – السّكـــن.....	110
ثالثـــا: تسخيـــر النّهار.....	110
أ – الابتغاء من فضل الله تعالى.....	110
ب – الإبصـــار.....	110
جـــ – النشـــور.....	111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة

■ المبحث الثّاني : تسخيـــر الأرض..... 112

– *المطلب الأوّل : تسخيـــر القمـــر*..... 112

أوّلا : تعريف القمـــر..... 112

ثانيا : أهمية القمـــر..... 112

أ – المـــد والجـــزر..... 112

ب – معرفة عدد السنين..... 113

– *المطلب الثّاني : تسخير البحار والأنهار*..... 114

أوّلا : تسخيـــر البحـــار..... 114

أ – اختلاف مياه البحـــار..... 114

ب – اختلاف مياه البحر المالح عن عذب..... 115

جـــ – فـــوائد البحـــر..... 116

1 – تسخير الثروات المعدنية..... 116

2 – تسخير طاقة المد والجزر..... 116

ثانيـــا : الفوائد المشتركة بين البحار والأنهار..... 116

أ – تسخير اللحم الطّري..... 117

ب – البحار والأنهار سبل للنّقل..... 118

– *المطلب الثالث : تسخير الجبـــال*..... 118

أوّلا : الجبـــال بيوت..... 119

ثانيا : الجبال الرواسي..... 119

■ المبحث الثّالث: تسخيـــر الماء..... 121

– *المطلب الأوّل : تسخير الماء للحياة*..... 121

أوّلا : مـــاء المطر..... 121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحـة
ثانيا : مياه الأنهار والينابيع.....	122
ثالثا : مـــاء البحـــر.....	122
– ***المطلب الثاني : تسخير الماء للإنسان***.....	123
أوّلا : خلق الإنسان من ماء.....	123
ثانيا : احتياجات جسم الإنسان.....	124
ثالثا : فوائد الماء للإنسان.....	125
– ***المطلب الثالث : تسخير الماء للنبات***.....	125
أوّلا : أهمية الماء للنّبات.....	126
ثانيا : دور النّبات في حياة الإنسان.....	126
أ – تسخير الزيتون.....	126
ب – تسخير النّحـــل.....	127
جـ – تسخيـــر الأعناب	128
■ **المبحث الرابع : تسخيـــر الحيوانات**.....	130
– ***المطلب الأوّل :الثروة الحيوانية والهدف من تسخيرها***.....	130
أوّلا : أهمية الثروة الحيوانية.....	130
ثانيا : الهدف من الثروة الحيوانية.....	131
– ***المطلب الثاني :فوائد الأنعام***.....	131
أوّلا : نعمـــة البيـــوت.....	132
ثانيا : نعمة الأثاث والمتاع.....	132
ثالثا : نعمـــة اللّبـــن.....	133
أ – كيفية خروج اللّبن.....	133
ب – مكونـــات اللّبن.....	133
جـ – فوائـــد اللّبـــن.....	133
رابعا : نعمـــة اللّحـــوم.....	134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
– *المطلب الثالث :تسخير الحيوانات للنّقل*.....	134
أوّلا : تسخيـــر الإبـــل.....	134
ثانيا : تسخير الإبل للحمـــل.....	136
ثالثا : تسخيـــر الدّواب.....	136
■ **المبحث الخامس : تسخيـــر النّحـــل**.....	138
– *المطلب الأوّل : حياة النّحل والحكمة من خلقها*.....	138
أوّلا : معنى الوحـــي.....	138
ثانيا : اتخـــاذ البيـــوت.....	139
ثالثا : كيفية بناء البيوت.....	139
رابعا : شكل غرف البيوت.....	139
خامسا : نظام النّحـــل.....	140
سادسا : جمع الرحيق.....	140
– *المطلب الثاني :مكونـــات العســـل*.....	141
– *المطلب الثالث : فـــوائد العســـل*.....	143
أوّلا : العسل علاج لفقر الدّم.....	143
ثانيا : العسل شفـــاء للجروح.....	144
ثالثا : العسل علاج لجهاز التّنفس.....	144
رابعا : العسل وأمراض الرئة.....	144
خامسا : العسل وأمراض القلب.....	144
سادسا : العسل وأمراض المعدة والأمعاء.....	145
سابعا : العسل وأمراض الكبد.....	145
ثامنا : العسل وأمراض والجهاز العصبي.....	145
تاسعا : العسل وأمراض السكـــر.....	145

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصّفحة
▪ الخـاتمـة :	147
▪ الفهـارس :	154
▪ فهرس الآيـات القرآنية :	155
▪ فهرس الأحـاديث :	168
▪ فهرس الأعـلام :	169
▪ فهرس المصادر والمراجع :	170
▪ فهرس المـواضيع :	183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية